البناء النفسي للشخصية الإسلامية في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

تأليف

م.د إسماعيل رديف يوسف - أ.د. عثمان فوزي علي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :-

فحين نتحدث عن البناء النفسي ، فنحن في الحقيقة نتحدث عن الإنسان في أعلى مراحل تطوره إذ إن الدين الإسلامي هو جماع الأديان السماوية وقمة تطورها المواكب لتطور الإنسان والشخصية الإسلامية مأمورةً بحمل هذا المنهج الشامل الراسخ و المتطور في آن واحد ومأمورة باحترام عنصري المكان و الزمان المتمثلين في التراكم الحضاري و الإبداع البشري المتواصل .

إذن فنحن أمامَ معادلةٍ أركانها المنهج الرباني مضروباً في الإنسان مضروباً في الزمان مضروب في المكان ، وناتج هذه المعادلة خليفة الله **(عز وجل)** في الأرض الذي أوكلت إليه مهمة عمارة الحياة . إذن فعلى هذا المستوى نتحدث ، ولذلك نتوقع أن لا يستغرب القارئ تطلعاتنا نحو البناء الشاهق المتكامل و المتوازن لشخصية المسلم المعاصر لأنه نموذج (**أو يجب أن يكون نموذجاً**) للإنسان الأرقى ليس بسبب جنسه أو لونه أو عرقه ،وإنما بسبب استيعابه لأبعاد المنهج الرباني ، وأبعاد الزمان والمكان وتجاوزه عن النزعات العنصرية والطائفية وقدرته على التعايش المتواضع والتسامح مع الأخر المختلف ، فهو يقيس كرمه بتقواه **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[1]

ويحترم سنة الله **(عز وجل)** في اختلاف مشارب البشر **(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ**

(١)- سورة الحجرات الآية :- ١٣

كَلِمَـةُ رَبِّـكَ لأَمْـلأنَّ جَهَنَّمَ مِـنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّـاسِ أَجْمَعِينَ) [1]وحين نتحدث عن البناء النفسي للمسلم ، فنحن ندرك أنَنا لن نبني في أرض فضاء ، وإنما نبني في أرض بها تراكيب و أبنية بعضها صالح وبعضها غير صالح؛ لذلك يصبح الحديث عن البناء متضمناً لإزالة الركام غير النافع لكي يقوم البناء الأحدث والأنفع مكانه ،وهذه العملية يجب أن تتم كل يوم في البناء النفسي للإنسان **(وهي التي أطلق عليها التخلية ثم التحلية)** لأن هناك عمليات هدم وبناء متوازية دائمة في خلايا الجسم لضمان بقائه وصحته ونموه وتطوره ،والنفس أولى بذلك من الجسم لأنها – في حال صحتها – أكثر سعياً نحو الإحلال والتجديد والارتقاء سعياً نحو وجه الله **(عز وجل)** .

أهداف الدراسة:

بيان وتوضيح مفهوم البناء النفسي في القرآن الكريم وأثره على سلوك الإنسان.

١-بيان دور البناء النفسي في صياغة الشخصية للفرد وتحديد ملامحها.

٢-فتح الباب أمام الباحثين للمزيد من الدراسات حول البناء النفسي في كتاب الله تعالى؛ على أنه ،أوثق المصادر، وأولاها في استنباط الحقائق التي تعنى بتقديم الحلول للمعضلات، التي تعترض حياة الفرد والمجتمع.

٣-العمل على تأصيل علم النفس الحديث؛ من خلال الأخذ بالمفيد منه ورفض ما تعارض منه مع ،حقائق القرآن الكريم ومقاصد الشريعة، خاصة بعد أن ثبت فشل النظريات الحديثة.

٤-قد تسهم الدارسة في تقديم تفسير لألغاز النفس المحيرة على تنوعها، بعد فهم أسلوب أو منهجية .

---

(١)- سورة هود الآيات:- ١١٨-١١٩

٥-التفكير لدى أصحابها، في اتخاذ القرارات بهدف تقديم العلاج، وحسن التعامل معهم ومحاورتهم.

منهج الدراسة:

من خلال النظر في الأمثال الذي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، والوقوف على إرشادات ا رت تدلل على البناء النفسي من خلاصة التجربة الإنسانية انتهج الباحث في دراسته:

- المنهج الوصفي : في محاولات للإفادة من المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، للوصول إلى نتائج البحث، واستخلاص القواعد والنظريات من كتاب الله تعالى التي تُعنى بالبناء النفسي.

- تحليل المحتوى للآيات التي تُعنى بموضوع الدراسة، للوصول إلى النتائج المطلوبة .

- كما عمد الباحثين إلى اجراءات تفي بالمطلوب على النحو الآتي:

* البحث المكتبي... وذلك بمراجعة المؤلفات والمراجع والدراسات التي تناولت موضوع البناء النفسي. وما توصل إليه من مقالات ومنشورات وبحوث ومؤلفات في موضوع البحث .

حدود الدراسة:

١- في ضوء الإشارات من كتاب الله تعالى

٢- مستعيناً بما اتفق عليه علماء التفسير.

٣- وما توصل إليه أهل الاختصاص من علماء الأمة والتربويين، ولا يخالف النص القرآني.

الدراسات السابقة:

ا- تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم ، أحمد يحيى المقري، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا الشرعية ، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

٢- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، البحث في النفس الإنسانية

والمنظـور الإسـلامي، محمـد عـز الـدين توفيـق، رسـالة دكتـوراه الجامعـة المغربية، كلية الآداب، دار السلام للطباعة، مصر،ط٢، ٢٠٠٢م.

٣- الـنفس الإنسـانية فـي ضـوء القـرآن الكـريم ، محمـد يوسـف الـديك ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ، جامعة آل البيت.

٤- طبيعـة الـنفس الإنسـانية فـي ضـوء القـرآن الكـريم وانعكاسـاتها التربوية محمد عمر، رسالة دكتوراه الأردن،٢٠٠٠م.

٥- تزكيـة الـنفس فـي الإسـلام وفـي الفلسـفات الأخـرى، علـي بـن عبـدة شـاكر أبـو حميـدة، رسـالة دكتـوراه مـن جامعـة أم القـرى، مكـة المكرمـة، ١٤٢٨هـ- ١٤٢٩هـ.

ونحن نحتاج في هذا الوقت إلى نفوس قد بُنيت بناءً نفسياً فريداً ، لان القوى الكافرة قوية وتريد أن تُضعُف الإسلام و أهله ،ولكل هذا كان الدافع في اختيار موضوعي والذي جاء بعنوان (البناء النفسي للشخصية الإسلامية في القرآن الكريم) دراسة موضوعية ، وتضمن البحث عدة مباحث هي :-

المبحث الاول: مفهوم البناء النفسي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني :- التخلية .

المبحث الثالث:- التحلية.

المبحث الرابع :- خصائص البناء النفسي للشخصية الإسلامية في القرآن الكريم.

المبحث الخامس:- أثر البناء النفسي في القرآن الكريم.

المبحث السادس :أثر البناء النفسي على الأسرة.

وخاتمة بأهم النتائج .

وقد اعتمدنا في كتابة هذا الكتاب على تفاسير القرآن الكريم ،وكتب علم النفس ومصادر أخرى وقد واجهتنا صعوبات كثيرة في كتابة هذا الكتاب منها صعوبة الحصول على المصادر وضيق الوقت والوضع الراهن الذي نعيشه . أخيرًا هذا ما يسر الله **(عزوجل)** لنا كتابته فما كان فيه من خطأ فمن نفسي وما كان فيه

من صواب فمن الله **(عز وجل)** .

والحمد لله رب العالمين .

المؤلفين

المبحث الاول : مفهوم البناء النفسي والشخصية الإسلامية لغة واصطلاحاً:

فلا بد من التعرف على معنى" :البناء"، و"النفس "في اللغة، واذا ما جرى تداول التعبير" بالبناء النفسي "في لغة العرب، بعد ذلك نتعرض إلى مفهوم البناء النفسي اصطلاحا في ضوء إشارات من القرآن الكريم، وما تكلم به العلماء والمختصون كما يلي:

١-البناء لغةً :

"من " بَنَي: والبَنْيُ: نَقيضُ الهَدْم، بَنى البَنَّاءُ البِناءَ بَنْياً وبِنَاءً وبِنًى مقصور..والبِناءُ: المَبْنيُّ، والجمع أَبْنِيةٌ، وأَبْنِياتٌ جمعُ الجمع". (١)

البناء اصطلاحاً:

البناء النفسي هو: الكيفية التي تجري بها إشباع الحاجات أو الغرائز، أو هو الكيفية التي تربط دوافع الإشباع بالمفاهيم(٢)

فعليه فلبناء النفسي الضابط لمجموع القواعد والأسس وسائر القوى والعناصر النفسية الأخرى؛ على أرضية معينة، من العقائد والقناعات؛ في نسق ثابت يشكل قوام النفس وعمادها، ويحدد ملامح الشخصية وسماتها، ويضبط المواقف والاتجاهات، ويميز الأفعال والسلوك.

ولقد أشار شهوان إلى البناء النفسي على أنه يتكون من ثلاثة أبعاد:

١ – البعد التكويني: ويتمثل في بناء الكيان العضوي للفرد، ويتمثل في أجهزته وأنسجته وخلاياه وغدده وإفرازته، أي وظائف كل من تلك الافرازات.

٢ – البعد الثقافي: والذي يحدده نمط الثقافة السائد، وتاريخها عبر الأجيال وما تطبعه على الفرد في نموه.

---

(١)– لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر – بيروت، ط ١/ ١٤ .

(٢)–**ينظر**: تحليل السلوك التنظيمي ،د.موسى المدهون ،إبراهيم الجرراوي :٢٧.

٣ – البعد الاجتماعي: الذي يحدد بدقة التفاعلات بين الأشخاص، وعمليات التطبيع؛ التي يتعرض لها الفرد داخل ثقافته، وبتكوينه المحدد بيولوجيا. (١)

وقد ذكر الفرماوي عن البناء النفسي: أنه يقوم على أسس وركائز نفسية؛ تجمع بين قواها المختلفة وهي: قوى الذات، النفس وقواها، خاصية التكامل والتوازن بين قوى الذات، والأعمار الثلاث للإنسان منحنى النمو. (٢)

منها:

٢-مفهوم الشخصية لغة واصطلاحاً:

كانت الشخصية وما تزال من المصطلحات المتداولة بين البشر عموما، وبين أهل الدراسة خصوصا، وكثيرا ما نسمع أن فلانا شخصيته قوية، وفلانا شخصيته ضعيفة، والآخر له شخصية إيجابية، وغيره له شخصية سلبية. وغير ذلك مما يتردد على ألسن الناس من استعمالات كثيرة لمصطلح الشخصية، وغالبا ما يريدون بذلك إظهار محاسن شخص معين أو ذم آخر.

ولقد اختلف العلماء في تعريف الشخصية اختلافا كبيرا ، حتى وصل الأمر إلى أن العالم الواحد قد يعرفها بتعريفات متبيانة، حتى جعل بعضهم يقول: إن تعريف الشخصية شيء افتراضي نسبي، فليس هناك تعريف صحيح والتعريفات الباقية خطأ(٣). وذلك لان هناك اتجاهات

---

(١)- **ينظر**: البناء النفسي لشخصية الأسير الفلسطيني وعلاقته ببعض المتغيرات إسلام محمود محمد شهوان: ، رسالة ماجستير، الجامعة – غزة- كلية التربية – قسم علوم النفس- ٢٠٠٧ م، ص ٢٠.

(٢)- **ينظر**: نظرية الركائز الأربعة للبناء النفسي حمدي علي الفرماوي: (فهم سلوك الإنسان في ظلال الفرقان)، عمان: دار الصفاء، ٢٠٠٩ م،. ص ٢٢

(٣)- **ينظر**: علم النفس الدعوي (دراسات نفسية تربوية)، د. عبد العزيز محمد النغيمشي، ط١،د. م، ١٤١٥ هـ ٣١٣.

مختلفة في تعريف الشخصية، والكل يدلو دلوه ويقيس بمقاييسه ويعرفها بما يراه مناسبا، أو يصفها من الزاوية التي ينظر منها إلى مفهوم الشخصية(١).

فهناك من ينظر إلى الشخصية من ناحية تأثير البيئة عليها، فيبدأ بتعريفها ووصفها من حيث استجابتها للواقع الاجتماعي والبيئة التي تعيشها، في حين ينظر إليها آخرون من خلال الواقع والمجتمع والبيئة التي يعيش فيها(٢).

كما ينظر آخرون إلى البعد العضوي الداخلي والخصائص الجسمية للفرد؛ فيبدؤون بتقسيمه إلى أنواع.. ثم يعّرفون الشخصية من منظور هذه الأنواع والتقسيمات، كما إن هناك من يعرف الشخصية من منظور البعد التاريخي وتأثير الحوادث في الماضي البعيد على هذا الفرد ومن خلالها يظهر معاني شخصية الفرد ومواصفاتها (٣).

كما ان هناك الكثير من التعريفات والتقسيمات الأخرى التي تجعل الدارس مشتت الذهن عندما يقدم على تعريف الشخصية.

والحقيقة إن هذا يرجع إلى سعة إطار طبيعة الإنسان وعمق داخله وعدم وجود حد فاصل للنفس(٤).

ومع كثرة وجهات النظر وكثرة طرق تعريف الشخصية، لا بد من ذكر عدد من تعاريفاتها، وبالنتيجة يرجح التعريف المناسب الذي يكون جامعا

---

(١)- **ينظر**: الشخصية الإسلامية نحو إعادة تشكيل، عبد الرزاق هادي صالح ط/ ١، دار السيدة- بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م ٨٧ .

(٢)- **ينظر**: علم النفس الدعوي ٣١٣ .

(٣)- **ينظر**: علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية، د. عبد علي الجسماني مطبعة دار الخلود- بغداد، العراق، ١٩٨٤ م ٢٢١ .

(٤)- **ينظر**: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة- إيران ٦١ .

مانعا ومفهوما. ولما كان مصطلح الشخصية يحتمل معاني عدة، لذا نبدأ ببيانها لغة.

الشخصية لغة:

ورد في لسان العرب: (الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات؛ فاستعير لها لفظ الشخص، ويقال رجل شخيص: إذا كان سيدا، وقيل: شخيص: إذا كان ذا شخص وخلق عظيم بيّن الشخاصة، وشخص الرجل بالضم، فهو شخيص: أي جسيم، وشخص بالفتح شخوصا: أي ارتفع، وشخص سهمك، إذا طمح في السماء. والشخوص: السير من بلد إلى بلد)[1].

(وأشخص فلان بفلان، وأشخص به: إذا اغتابه، والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد)[2].

إذن: فان مادة "شخص" في اللغة تعني: الارتفاع والظهور، كما تأتي وصفا ماديا للجسم، كما إنها تأتي مجازا لتكون وصفا معنويا للإنسان، وعليه يمكن أن يستعمل الشخص في الصفات الجسمية التي تؤثر في تكوين الشخصية.

ولفظ "الشخصية" بزيادة الياء المشددة والتاء المربوطة مصدر صناعي: وهو قياسي ويطلق على كل لفظ جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم، زيد في آخره حرفان هي ياء مشددة بعدها تاء تأنيث مربوطة، ليصير بعد زيادة الحرفين اسما دالا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة.

---

(١)- لسان العرب، ٣/ ٤٠٦ مادة (شخص) ، وينظر: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة الطاهر احمد الزاوي، مادة (شخص)، ط ٣، ١٩٨٠- لبنان.

(٢)- مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط ١، دار القلم- دمشق، ١٩٩٢ (٤٤٧).

وهذا المعنى الجديد هو مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ مثل كلمة إنسان؛ فانها اسم معناه الأصلي (الحيوان الناطق) فإذا زيد في آخرها ياء مشددة وبعدها تاء التأنيث المربوطة، صارت الكلمة (إنسانية) وتغيرت دلالتها تغيرا كبيرا، إذ يراد منها في وضعها الجديد معنى مجرد، يشمل مجموعة الصفات المختلفة التي يختص بها الإنسان، كالشفقة والحلم والرحمة والمعاونة والعمل الصالح النافع... ولا يراد الاقتصار على معناها الأول وحده، ومثلها الاشتراك: الاشتراكية، الأسد: الاسدية، الوطن: الوطنية، التقدم: التقدمية، الحزب: الحزبية،.. وهكذا[1].

من كل ما تقدم من معانٍ يتبين لنا أن (الشخصية) تعني: مجموعة الصفات الخاصة بذلك اللفظ، وتتغير دلالتها تغيرا كبيرا بزيادة الياء المشددة والتاء المربوطة؛ إذ تعني مع تلك الزيادة: الصفات المختلفة الجسمية والمعنوية لشخص ما مثل الطول والقصر والسمن والنحافة والصفات المعنوية مثل القوية والضعيفة، أو اجتماعية أو انعزالية، متفائلة أو متشائمة... الخ.

الشخصية اصطلاحا:

تعددت تعريفات الشخصية بتعدد النظريات والباحثين، فمنهم من ركز على الأثر الخارجي لما يحدثه الفرد في الآخرين، ومنهم من اهتم بأسلوب تكيف الفرد وسلوكه في البيئة الاجتماعية، وفئة ركزت على التنظيم الداخلي والمتكامل للفرد. أما التعريفات الإجرائية فاهتمت بما تقيس به مقاييس الشخصية، وتشير كثرة التعريفات إلى صفات مشتركة في مفهوم الشخصية، وهذا مما جعل بعض العلماء يقسم هذه التعاريف على مجموعات عدة، منها[2]:

---

(١)- **ينظر**: النحو الوافي، عباس حسن، ط ٤، انتشارات ناصر خسرو ١٨٧/٣

(٢)- **ينظر**: لموسوعة العربية، ط- ١، دمشق، ٢٠٠٥م - ١١/ ٦٠٦ .

المجموعة الأولى: تعريف الشخصية من حيث المظهر: وقد عرف هذا المصطلح من هذه الجهة بتعريفات عدة منها:

١-الشخصية: هي جميع أنواع النشاط التي تلاحظها عند الفرد عن طريق ملاحظته لمدة كافية من الزمن، تسمح لنا بالتعرف الكامل عليه.

٢-الشخصية: هي السلوك المميز للفرد.

٣-الشخصية: هي ما يجعل الفرد فعالا أو مؤثرا في الآخرين.

٤-الشخصية: هي مجموعة الأعمال والعادات التي تؤثر في الآخرين.

والمتمعن في هذه التعاريف يرى أنها تقترب كثيرا من قول العامة (فلان ذو شخصية قوية، أو له شخصية فعالة، أو شخصية شجاعة)[١].

إما الشخصية الإسلامية : هو السلوك الذي يسعى لإرضاء الدافع ،فالحركة في الشخصية يمكن إن نسميه **(سلوك)** والتفكير يكون من أجل أرضاء النية **(فالنيات)** دوافع والحركة سلوكاً أو تفكر **(أعمال)** [٢]

---

(١) علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية (٢١٤- ٢١٥).

(٢)- **ينظر**: ينظر الشخصية الإنسانية في القران الكريم دراسة موضوعية بلاغية ،د. سعيد خضر ٥٧ رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب بإشراف د. محس ن عبد الحميد سنة ١٤٢٤_٢٠٠٤م

المبحث الثاني :- التخلية

ويقصد بـ "**التخليـــة**": إزالة ما في القلب من آثام وذنوب، ومعاصٍ، وشهوات وشبهات، وتنقية التربة من الحشرات والحشائش الضارة حتى تصلح أرض القلب لما يزرع فيه من أعمال صالحة، وأخلاق فاضلة. (١)

وأول خطوات التخلية هي: "التوبة"، والتوبة ليس كلامًا، ولكن لا بد من اجتماع القلب والجوارح على إرادتها؛ لتؤثر في النفس صلاحًا وتغيرًا. القلوب أوعية تحتاج جهداً لإفراغها من الأمراض والآفات وملئها بما يزكيها من الصالحات للتخلية دور كبير في تصحيح العقيدة وإصلاح النفس وتحسين الأخلاق من أراد أن يكون ذا عقيدة سليمة فليبتعد عن الأفكار المنحرفة والاعتقادات الباطلة المؤمن القوي يحرص دائماً على سلامة قلبه وتطهيره ونظافته من المفسدات والآفات من زكَّى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه ،إنها المحطة المهمة التي يحتاجها كل إنسان، ليعيش سعيداً مرتاح البال في دنياه، ويحيا ويفوز الفوز العظيم في أخراه، تبدأ رحلة الوصول إليها بوضع الأثقال من الذنوب، والتخفف الكامل منها، ثم التزود بكل ما يصلح من الأعمال المناسبة في طريق الرحلة الطويل.

هي إذاً محطة تخلية وتنقية للظاهر والباطن من أدران الآثام وأقذار الخطايا كما أنها تنظيف وتطهير للقلوب والعقول من كل ما يدنسها ويعطل عملها ويمنع وصول الخير إليها، ومن ثَمَّ تكون التحلية بكل

---

(١)- **ينظـــر**: تحليل السلوك التنظيمي ،د.موسى المدهون ،إبراهيم الجر راوي :٢٧ ،دار الملاين.

جميل وصالح، أما الثمرة المرجوة من ذلك كله فهي عظيمة؛ إنها تزكية النفس.

قال تعالى **{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين}** (١).

قال ابن عاشور في "التحرير والتنوير": قدم ذكر علمه {بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} على ذكر علمه {بِالْمُهْتَدِينَ} لأن المقام تعريض بالوعيد للضالين ولأن التخلية مقدمة على التحلية، فالوعيد مقدم على الوعد. (٢).

قال تعالى { **إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**} (٣).

"قال القاسمي في "محاسن التأويل": وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية" . (٤).

قبل الدخول في موضوع التخلية لابد لنا أن نعرف البناء النفسي ،والشخصية الإسلامية .

إن التخلية التي نقصدها في مبحثنا هي تخلية النفس مما علق بها من شوائب ، لإعادة بناء التوازن وإعداد الجيل المتوازن في أطُر و مراحل البناء النفسي للشخصية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم فقد أصَل هذا البناء **(القرآن الكريم)** الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه فهذه هي الركيزة الأساسية في البناء الذي نتطلع إليه .

---

(١)- سورة القلم، الآية:٧.

(٢)- **ينظر**: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ، ٦٧/٢٩.

(٣)- سورة النحل، الآية:١٢٨.

(٤)- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت،ط١ – ١٤١٨ هـ، ٤٢٥/٦.

ما الذي نريد أن نخلي موقع البناء من آثاره ؟

التدين المرضي بمظاهره المختلفة والتي نوجزها في النقاط الآتية :-

١- تضخيم قيمة اللفظ على حساب المعنى .

٢- إعلاء قيمة المظاهر الخارجية للدين على حساب المعنى الروحي العميق .

٣- إعاقة النمو النفسي و الاجتماعي و الروحي .

٤- إعاقة التكامل الشخصي .

٥- الإنشقاق بين ما يبديه الشخص من مظهر ديني وبين ما يضمره من أفكار و مشاعر.

٦- الميل للاغتراب بعيداً عن حقيقة الذات .

٧- التعصب و التشدد خارج الحدود المقبولة شرعاً .

٨- تضخيم ذات الشخص وتعظيمها ، و الرغبة في السيطرة القهرية على فكر ومشاعر وسلوك الآخرين.

٩- ثم الرفض الصلب ، و العنيد لأي رأي آخر.

١٠-مع عدم القدرة على تحمل المناقشة الموضوعية.

١١-تحقير الذات وما يتبع ذلك من الميل إلى السلبية و الهروب من مواجهة الواقع . [١]

ونخص بالذكر هذه الأنواع من التدين المرضي :

المطلب الأول :- **التدين المرضي** :

وهو ما يصيب العقل من مظاهر مختلفة ، فتكون هذه المظاهر متمثلة بالسلوك و العاطفة و الفكر. فيأتي التدين المرضي على أشكال مختلفة ولا يأتي على عارض واحد ، وإنما على شكل مجموعات مختلفة في الشدة و تكون متباينة [٢] وهذا ما سنلاحظه فيما يتضمن بالتدين المرضي والذي ينقسم إلى :-

---

(١)- **ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر محمد المهدي :- ٤

(٢)- **ينظر**: النفس انفعالاتها و أمراضها و علاجها ، د. علي كمال :- ٥١٤، ط١٩٨٣، دار واسط .

أ - التدين النفعي (المصلحي) :

يلتزم الشخص بالكثير من مظاهر الدين الخارجية للوصول إلى مكانة اجتماعية خاصة، أو تحقيق أهداف دنيوية شخصية . وهذا الشخص يستغل احترام الناس للدين ورموزه ، فيحاول كسب ثقتهم ومودتهم بالتظاهر بالتدين ويسخر الدين لخدمته ، وتجده دائماً حيث توجد المكاسب والمصالح وتفتقده في المحن و الشدائد. كما جاء في قوله تعالى:(**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)** [١]

القول في تأويل قوله: {**الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا**} . [٢]

"قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:" الذين يتربصون بكم"، الذين ينتظرون، أيها المؤمنون، بكم"فإن كان لكم فتح من الله"، يعني: فإن فتح الله عليكم فتحًا من عدوكم، فأفاء عليكم فَيْئًا من المغانم="قالوا" لكم="ألم نكن معكمْ"، نجاهد عدوّكم ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيبًا من الغنيمة، فإنا قد شهدنا القتال معكم="وإن كان للكافرين نصيب"، يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظّ منكم، بإصابتهم منكم قالوا"، يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين="ألم نستحوذ عليكم"، ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين="ونمنعكم" منهم، بتخذيلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا="فالله يحكم بينكم يوم القيامة"، يعني: فالله يحكم

---

(١)- سورة النساء الآية :-١٤١.

(٢)- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ،الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،٣٢٣/٩.

بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل، بإدخال أهل الإيمان جنّته، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره="ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"، يعني: حجة يوم القيامة". (١)

"وذلك وعدٌ من الله المؤمنين أنه لن يدخل المنافقين مدخلَهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخَل المنافقين، فيكون بذلك للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم، إن أدخلوا مدخلهم: ها أنتم كنتم في الدنيا أعداءَنا، وكان المنافقون أولياءنا، وقد اجتمعتم في النار، فجمع بينكم وبين أوليائنا! فأين الذين كنتم تزعمون أنكم تقاتلوننا من أجله في الدنيا؟ فذلك هو"السبيل" الذي وعد الله المؤمنين أن لا يجعلها عليهم للكافرين". (٢)

فقد رسم القرآن الكريم صور مزرية من واقع ما يقومون به في الصف المسلم ، ومن واقع مواقفهم المتلونة حسب الظروف وهم يلقون المسلمين – إذا انتصروا – بالتملق والنفاق ، ويلقون الذين كفروا – إذا انتصروا كذلك – بدعواهم إنهم سبب انتصارهم ، وهم يقومون للصلاة كسالى يراؤون الناس وهم مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .، فالمنافق في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله ، لأن الكافر يعذب بالدنيا بالقتل ؛ أما المنافق فيسلم في الدنيا من القتل لكن عاقبته مضاعفة يوم القيامة. (٣)وقد أسس الإسلام تحريمه لهذه الانحرافات الباطنة على نفس الأساس الذي أسس عليه تحريم الانحرافات الظاهرة مثل التدين النفعي (المصلحي)

---

(١)- م.ن :٣٢٣/٩.

(٢)- جامع البيان ،للطبري: ٣٢٣/٩.

(٣)- **ينظر**: في ظلال القران ٥٤٨/٢، فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني :- ٤٢٧ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م ، دار ابن حزم.

قال تعالى :(**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْأِ ثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأِ ثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ)** [١]

اي: ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ما أعلنتم منه وما أسررتم . وقيل : ما عملتم وما نويتم وقيل : ظاهره الزنا في الحوانيت ، وباطنه الصديقة في السرّ . [٢]

فهم قد ارتابوا في نفوسهم ولم يؤمنوا بالله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم). ولم يكونوا من الذين قال فيهم الله (عز وجل)(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** [٣]

ولمرضهم وتدينهم النفعي يزعمون أنهم أولياء من دون الناس **(وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)** [٤] .

ب- التدين الانسحابي (الهروبي) وهو يحدث في الأشخاص الذين يشعرون بالعجز في مواجهة متطلبات و ضغوط الواقع فيلجأون إلى الدين احتماءاً من مواجهة الصعوبات التي عجزوا عن مواجهتها ، وإيثاراً للراحة في ظل بعض المفاهيم شبه الدينية ، فتجد الشخص من هؤلاء قد أهمل دراسته أو عمله أو مسؤولياته وتفرغ لممارسة بعض الشعائر الدينية التي لا تتطلب جهدا أو مشقة ، وهدفه – غير معلن – من ذلك يغطيه قصوره و عجزه و الهروب من المواجهة الحقيقية و الشريفة مع الواقع .

---

(١)- سورة الإنعام الآية:١٢٠

(٢)- **ينظر**: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢/٥٧.

(٣)- سورة الحجرات الآية :-١٥.

(٤)- سورة المائدة الآية:٨١.

وقد حذر القران الكريم من هذا النوع من التدين ،وحث على عدم القنوط من رحمه الله (عزوجل) في قوله تعالى :

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [١]

فالرهبانية التي عرفها تاريخ النصارى كانت اختياراً من بعض اتباع عيسى (عليه السلام) ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاءً لرضوان الله (عز وجل) ،وابتعاداً وتهرباً من مصاعب الحياة ،ولم يكتبها الله (عز وجل) عليهم ابتداءٍ . ولكن حين اختاروها و أوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله (عز وجل) بان يراعوا حقوقها ويحافظوا على مقتضياتها عن تطهر وترفع وقناعة وعفة ،وذكر وعبادة ؛ مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرد لله(عزوجل) ،التي قصدوا أليها بهذه الرهبانية التي ابتدعوها ،فمن خلال الآية نستدل على أن هذا التدين الهروبي لا يريده الله (عز وجل) ، بل هو دائما يعلن في قرآنه عدم القنوط والركون والهروب والانسحاب من واقع الحياة بل الحياة هي تجدد و نشاط وعمل وحركة وقد يكون زهداً في الدنيا وليس الهروب من الواقع ولكنه في كل حال غير محمود [٢] كما جاء في الحث على العمل في قوله تعالى **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** [٣]

ج –التدين الذهني :ويظهر في بعض المرضى النفسيين ، إذ يصطبغ المرض ببعض المفاهيم شبه الدينية الخاطئة ، فيعتقد المريض ويعلن انه ولي من أولياء الله (عز وجل) ، أو انه نبي بعث لهداية الناس ،أو انه (المهدي المنتظر)، ويتصرف على هذا الأساس ، وهذه الحالات تحتاج إلى العلاج الدوائي والنفسي ، وتكون المعالجة بمعرفة اضطرابات الجسم .سواء تلك التي

---

(١)– سورة المائدة الآية:٨١.

(٢)– **ينظر**: في ظلال القرآن :–٧/٧٤٠–٧٤١ .

(٣)– سورة التوبة الآية :– ١٠٥.

تنبع من الجسم مباشرة، أو تأتى عن فعل عوامل نفسية، وهؤلاء هم أشد الناس دهاءً و خبثاً فضلاً عن مرضهم النفسي [١] كما جاء تقرير هذا المعنى في قوله تعالى :**(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)** [٢] أي أطاع هواه كطاعة الإله أي انظر إليه يا محمد وتعجب منه أفأنت تكون عليه وكيلا وحفيظاً حتى ترده إلى الأيمان وتخرجه من الكفر ،ولست تقدر على ذلك ولا تطيقه ،فليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئتك ،وإنما عليك البلاغ . فالذي يتخذ من دون الله(عزوجل) آله لا شك انه مريض مرض نفسي يحتاج إلى علاج كما لا يخفى[٣].

ويدل على هذا المعنى الآيات القرآنية آلاتية :-

١ – في قوله تعالى:**(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** [٤].

"قصد الشيطان لمن نزع منه حظه وعصم من كل محنة علموا أنه لهم أشد قصداً وأعظم كيداً وصداً، فقال مؤكداً بأنواع التأكيد إشارة إلى شدة قصد الشيطان للفتنة وإفراطه في ذلك، ليبالغ في الحذر منه وإن كان قصده بذلك في محل الإنكار لعلمه بالعصمة – لذلك عبر بأداة الشك إشارة إلى ضعف كيده للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن الله تعالى أعانه على قرينه فأسلم: {وإما} أي إن، وأكدت ب {ما} إثباتاً للمعنى ونفياً لضده {ينزغنك} أي ينخسنك نخساً عظيماً {من الشيطان نزغ} أي نخس بوسوسته من شأنه أن يزعج فيسوق إلى

---

(١)- **ينظر**: النفس انفعالاتها وأمراضها و علاجها : ٤٢٨

(٢)- سورة القصص الآية :- ٧٩-٨٠.

(٣)- ينظر فتح القدير :- ١٢٥٨ .

(٤)- سورة الفرقان الآية :- ٤٣ .

خلاف ما تقدم من المحاسن في نحو غضب من جهل الجاهل وسفه السفيه أو إفراط في بعض أوجه كما تساق الدابة بما تنخس به، فيفسر ويجعل النخس ناخساً إشارة إلى شدته {فاستعذ} أي فأوجد أو اطلب العوذ وهو الاعتصام {بالله} أي الذي له جميع العز والعظمة والقدرة والقهر لا نقطاعك عن الإخوان والأنصار إليه فلا ولي لك ولا ناصر إلا هو، فإنه إذا أراد إعاذتك ذكرك من عزيز نعمه وشديد نقمه ما يريد عن الفساد رغباً ورهباً، فهذه حالة نفسية غير مستقرة وغير مطمئنة وغير واضحة من الافكارالتي تحتاج إلى تخليه العقل منها،فيجب على الفرد إن يستعيذ بالله من هذا التدين الذهني لأنه من الشيطان إذا استمر صار مرضاً. (١)

٢- في قوله تعالى(**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**) (٢).

ان الشيطانُ في فكره ما يخالفه فيرجعُ إلى الله تعالى في ذلك فيرفعُ اللهُ تعالى ذلك الغلط وتلك الوسوسة عن القلب، لان هذه الأفكار تصبح جزءاً من أفكار الشخص وهي فتنة الشيطان ،وقد سماها القران الكريم مسّاً ؛لكن الإنسان يحتفظ معها باستقلاله فيستجيب لها أو يردها والذي يجب الحفاظ عليه دائماً هو وحدة الإنسان ووحدة قراره. (٣)

---

(١)- **ينظر**: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) دار الكتاب الإسلامي القاهرة:٨/٢٠٤.

(٢)- سورة الحج الآية :- ٨

(٣)- **ينظر**: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (: ٧٤٣ هـ)مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م،١٠/٥١١.

٣- **(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)** [١].

المعنى أنه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فعلاً من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه ، وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريداً كارهاً عالماً ظاناً موقناً شاكاً في حالة واحدة. [٢]

د. التطرف :- وهو المبالغة الشديدة في جانب ، أو أكثر من جوانب الدين ، بما يخرج الشخص عن الحدود المقبولة شرعا كما صرحت عنه الآيات القرآنية الآتية في النهي عنه ودعوة الناس إلى الوسطية:-

١- في قوله تعالى **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ)** [٣].

فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعني خياراً ، من قولهم فلان وسط الحَسَبِ في قومه ، إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبه ، والثاني: أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين تَوَسَّطُوا في الدين ، فلا هم أهل غلوٍّ فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدَّلوا كتاب الله وقتَّلوا أنبياءهم وكَذَبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحب الأمور إليه أوسطها. والثالث: يريد بالوسط: عدلاً ، لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روى أبو سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} أي عَدْلاً. {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: لتشهدوا على

---

(١)- سورة الأحزاب الآية:٤

(٢)- **ينظر**: تفسير النسفى ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس . بيروت ٣،٢٠٠٥/٢٣٥.

(٣)- سورة البقرة الآية :-١٤٣

أهل الكتاب ، بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم. والثاني: لتشهدوا على الأمم السالفة ، بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم ، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الأمم السالفة تقول لهم: كيف تشهدون علينا ولم تشاهدونا ، فيقولون أعْلَمَنَا نبيُّ الله بما أُنْزِلَ عليه من كتاب الله. والثالث: أن معنى قوله: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} أي لتكونوا مُحْتَجِّينَ على الأمم كلها ، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة ، وهذا قول حكاه الزجاج. (١)

٢- في قوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)** (٢). في الآية دعوة إلى عدم السؤال بدون فائدة حتى يخرج الشخص إلى مفهوم التطرف.

٣-في قوله تعالى **(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ)** (٣)

وينقسم التطرف إلى :-

١- **التطرف الفكري** :- حيث يصعب النقاش على هذا الشخص حول ما توصل إليه من أفكار وينغلق على فكره فلا يقبل فكرا أو رأياً آخر ، ولا تشكو أمتنا فقراً في المبادئ أو القيم إذ أن المبادئ التي جاء بها الإسلام سوف تظل قادرة على تلبية حاجات الإنسان، فضلاً على أنها ستضل قادرة على إقامة التوازن بين جوانب الحياة المختلفة ، وبناء الشخصية العالمية والمواطن العالمي ، ولكن المشكلة التي نعاني منها هي انخفاض مستوى التقدم العلمي والفكري في تحريك طاقات المسلمين وجذبها نحوه ، مما جعل واقع الكثير من

---

(١)- **ينظر**: تفسير الماوردي ، النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ١٩٩/١.

(٢)- سورة المائدة الاية:١٠١

(٣)- سورة الأنفال الآية :- ٢١

المسلمين لا يختلف عن واقع الأمم التي حرمت نعمة الوعي و الهداية ؛ بل أنه كان اكثر سوءاً في بعض النواحي وهذا لا يساعدنا على أيجاد المخرج من هذه الأزمات[١] . ولهذا المعنى أشار القران الكريم في قوله تعالى **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ)** [٢]

فالآية تؤكد على شيء من آمر العقيدة، وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقد بلا تعقل ولا أدراك والسبب هو جهل الناس وعدم فهمهم للنصوص أو الاعتماد على نص واحد بمعزل عن بقية النصوص . وحتى إذا كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون[٣] ، فهم يصرون على التطرف فأي جمود فكري هذا وأي تقليد ؟! ويتجسد التطرف الفكري في قوله تعالى **(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)** [٤].

" قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى: وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين قال الله تعالى: وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا

---

(١)- **ينظر**: فصول في التفكير الموضوعي :٢١

(٢)- سورة البقرة الآية :- ١٧٠

(٣)- **ينظر**: في ظلال القرآن :- ١/ ٢١٩ .

(٤)- **سورة سبأ الآية :- ٤٣ .**

كتـاب لكنـا أهـدى مـن غيرنـا، فلمـا مـن الله علـيهم بـذلك كـذبوه وجحـدوه وعاندوه". [١]

٢-**التطـرف السـلوكي** :- وهنا نجد الشخص يبالغ مبالغة شديدة في إبداء الشعائر الدينية الظاهرية. بما يخرجه عن الحدود المقبولة شرعاً ،وكأن هذه الشعائر هدف في حد ذاتها ،لذلك نجدها تخلو من معانيها الروحية .وهو لا يكتفي بذلك بل يقوم بإجبار الآخرين أن يحذو حذوه وإذا خالفوها ربما يعتدي عليهم وقد وجُدَ في هذه الأمة – كما في كل أمة – من مال إلى التعنت و التصلب والابتعاد عن كثير من المباحات ، كما وجد فيها من أخذ نحو التفلت من الفرائض و الواجبات مدعياً انه صار فوق التكليف[٢]. ونستطيع أن نختزل هذين الاتجاهين في نموذجين صغيرين هما أصحاب الوسواس وأصحاب الحيل ،إذ يمثل الأولون الغلو والتعنت ، ويمثل الآخرون الالتفاف على مقاصد الشريعة الغراء متجاهلين أهداف التشريع و متعلقين بشكليات إجرائية بغية التفلت من الأحكام ومتابعة الأهواء ،فمن مظاهر الغلو ما ابتلي به بعض الناس في القضايا الظاهرة ، انه يريق كميات كبيرة من الماء ظاناً انه لم يسبغ الوضوء ، أو الغسل [٣]وفي ذلك يقول الله (عز وجل) **(لا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)** [٤] وقد يبتلى به بعض المخلصين

---

(١)- **ينظـر**: تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين، الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،ط١ – ١٤١٩ هـ،٦/٤٦٤.

(٢)- **ينظر**: فصول في التفكير الموضوعي :- ١٥٣ .

(٣)- **ينظر**: م.ن :- ١٥٣ .

(٤)- سورة البقرة الآية :- ٢٨٦ .

من المؤمن [١]ويجب إن يكون التفكير متزن لقوله تعالى**(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)** [٢]أي بقدر متوازن لا تزيد فيه ولا تنقص ،مما يؤدي إلى تطرفك . ويبقى الطريق واضح والبصيرة والسبيل والعمل في هذا المضمون أيضا واضح وقوله تعالى **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [٣].

أي قل أيها الرسول:هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الأوثان والأصنام هى سنتى ومنهاجى، وأنا على يقين مما أدعو إليه ولدىّ الحجة والبرهان على ما أقول، وكذلك يدعو إليها أيضا من اتبعنى وآمن بي وصدقنى. [٤].

٣- **التطرف العاطفي** :- إذ تصبح عواطف الشخص كلها متركزة على عاطفته الدينية ويصبح شديد الحساسية من هذه الناحية شديد المبالغة في الانفعال بها . وتؤثر ميول الإنسان ودوافعه وانفعالاته و عواطفه في تفكيره وتجعله يقع في التطرف العاطفي ، وقد بينت بعض الدراسات التجريبية في علم النفس حدوث أخطاء في التفكير نتيجة التطرف العاطفي . [٥]وقد أشار القرآن الكريم إلى تأثير الهوى في الإنسان ، وما يؤدي أليه من الانحراف بتفكيره عن اتجاهه السليم فيضلُ سبيلهِ ويعجز عن التمييز بين الحق و الباطل ، وبين الخير و الشر ، وبين الهدى والضلال كما في الآيات القرآنية الآتية :- ففي

---

(١)- **ينظر**: فتح القدير :- ١٨٦-١٨٧ .

(٢)- سورة الرعد الآية :- ٨

(٣)- سورة الحشر الآية :-١٩.

(٤)- **ينظر**: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر،ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م:٥٢/١٣.

(٥)- ينظر القرآن وعلم النفس :-١٣٩ .

قوله تعالى في إرشاد سيدنا داود (عليه السلام) في عدم أتباع الهوى و العاطفة في قوله تعالى **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)** [١].

فهي الخلافة في الأرض ، والحكم بين الناس بالحق ، وعدم إتباع الهوى ، وإتباع الهوى – فما يختص بنبي – هو السير مع الإنفعال الأول ، وعدم التريث و التثبت و التبين . مما ينتهي مع الإستطراد فيه إلى الضلال فهو حكم عام مطلق على نتائج الضلال عن سبيل الله (عز وجل) . وهو نسيان الله (عز وجل) و التعرض للعذاب الشديد يوم الحساب . [٢] وجاء ذلك المعنى في قوله تعالى **(فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [٣].

{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ} دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ولن يستجيبوا كقوله : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا وحذف المفعول وهو دعائك للعلم به ولأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالبا، {فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ} الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك أصلاً إذ لو كان لهم ذلك لأتوا به، {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ} استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أضل منه أي هو أضل من كل ضال،وقال بعضهم : هوى النفس قد يوافق الحق فلذا قيد الهوى به فيكون في موضع الحال منه {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ

---

(١)- سورة ص الآية :- ٢٦.

(٢)- ينظر: في ظلال القرآن :-٩٧/٧.

(٣)- سورة القصص الآية :-٥٠

الظَّـالِمِينَ} لا يرشـد إلـى دينـه الـذين ظلمـوا أنفسـهم بالانهمـاك فـي اتبـاع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين. (١)

وفي قوله **(أَفَمَنْ زُيِّنَ لَـهُ سُوءُ عَمَلِـهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّـهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)** (٢)

زيـن للكـافر سـوء عملـه الشـيطان بالوسـواس، ونفسـه تميلـه إلـى الشـبهة وتـرك النظـر فـي الحجـة المؤديـة إلـى الحـق، وخلـق الله تـدبير ذلـك فـي قلبهِ. خبر {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} محذوف، وفيه قولان:

الأول: تقديره: يتحسر عليه. وقيل: فإن الله يضلهُ.

الحسرةُ: شدة الحزن على ما فات من الأمر. (٣)

وقوله:(**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ)** (٤)

الْمَلَامَـة هُـوَ الْوَصْـف بـالقبيح علـى وَجـه التحقيـر، وَمعنـى قَوْلهَـا " فـذلكن الَّـذِي لمتنـني فِيـهِ " أَن هَـذَا هُـوَ الَّـذِي لمتنـني فِيـهِ، قالـت فـذلكن الفـاء فصـيحة والخطـاب للنسـوة والإشـارة حسـبما يقتضـيه الظـاهر إلـى يوسـف عليـه السـلام بـالعنوان الـذي وصـفته بـه الآن مـن الخـروج فـي الحسـن

---

(١)- **ينظـر**: تفسـير روح البيـان ، إسـماعيل حقـي بـن مصـطفى الإسـتانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربى هـ:٦/٢٩٩.

(٢)- سورة فاطر الآية :- ٨.

(٣)- **ينظـر**: تفسـير ابـن فـورك مـن أول سـورة المؤمنـون - آخـر سـورة السـجدة، محمـد بـن الحسـن بـن فـورك الأنصـاري الأصـبهاني، أبـو بكـر (ت ٤٠٦هـ)دراسة وتحقيـق: عـلال عبـد القـادر ، جامعـة أم القـرى - المملكـة العربيـة السـعودية،ط١ ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م،٢/١٦١.

(٤)- سورة يوسف الآية :-٣٢

والكمال عن المراتب البشرية والإقتصار على الملكية أو بعنوان ما ذكر مع الأخبار وتقطيع الأيدي بسببه أيضا فإسم الإشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى إن كان الأمر كما قلتن فذلكن الملك الكريم الخارج في الحسن عن المراتب البشرية أو الذي قطعتن أيديكن بسببه وأكبرتنه ووصفتنه بما وصفتنه هو الذي لمتنني فيه أي عيرتنني في الإفتتان فيه أو بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق بقولهن [١]،وكذلك وجه الله (عزوجل) الرسول (صلى الله عليه وسلم) عاطفة الإشفاق والألم المعنوي في قوله تعالى(**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً**) [٢]، فلعلك يا محمد مهلك نفسك بحزنك على آثار قومك في تمردهم عن الإيمان بالنبوة والتصديق بهذا القرآن[٣].

فالذي نخرج به من خلال هذه الآيات هو :-

١- يجب على الشخص أن يكون ذو عاطفة متوازنة في السلوك و التطرف .

---

(١)- **ينظر**: تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية،ط١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٤٩٠/٢، روح المعاني – الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢٣٢/١٢.

(٢)- سورة الكهف الآية : ٦

(٣)- **ينظر**: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، الأستاذ الدكتور مأمون حموش،المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش،ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م،٥٥٧/٤.

٢- التطرف العاطفي في العقيدة يؤدي إلى الغلو و التعنت وعدم البصيرة .

٣- يجب أن توجه العاطفة نحو مسارها الصحيح ، الذي أراده الله (عز وجل) لها في الزواج الطاهر العفيف . و إذا لم يتوفر الزواج فيكون الأمر بالوسائل التي أمرنا بها الله (عز وجل) و رسوله الحبيب محمد (**صلى الله عليه وسلم**) من الاستعفاف و الصيام .

المطلب الثاني :- **التفكير الخرافي** .

لابد من الصراع الفكري والجهاد النفسي والتربية اليقظة والجهد الضخم في إصلاح البيئة ،وتلك هي المهمة الأساسية لرسالة المسلم وعليه يرسو نظام التربية والدعوة في الإسلام ،والتفكير الخرافي تكمن خطورته في كونه يكتسي بأثواب دينية . وهذا النوع يفقد الأمن و الطمأنينة مع زوال الإيمان بكثير من الثوابت ، بالخوف من العالم والانطواء والتخلي عن المواقف الإيجابية تجاه الواقع ، ازدياد المواقف المبنية على ردود الأفعال ، التذمر بكل ما هو قائم

ونقده دون أي تمييز ضيق الأفق و الحيرة واليأس من انسداد السبل ، تدهور المناخ الفكري و انعدام الحوار ،ويحتاج المسلم القدرة على النظر في الأمور نظرة موضوعية ، لان التفكير الخرافي يؤدي إلى جمود التفكير. [١]

فهو التفكير الخرافي الذي يرجون منه نصرة الجمادات من دون الله ويظنون أنهم منتصرون كما يتطلب القدرة على النظر إلى الأمور نظرة تحليلية محايدة تمكنه من التمييز بين الحق و الباطل كما في قوله تعالى **(أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُون)** [٢]

وفائدته: الاشعار بمزيد الاعتناء بأمر التوبيخ، والتبكيت ببيان عجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها وأيسر، وهو مجرد الدلالة على المطلوب من غير تحصيله للطالب. [٣]

وهو تحدٍ لهم بما يزعمون أنهم أولياء الله (عز وجل) من دون الناس فما يخيفهم أذن من الموت ويجعلهم أجبن خلق الله ، والذي لم يقدم الزاد يجفل من ارتياد الطريق [٤]

وفي قوله تعالى:(**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ)** [٥]

إلى الحق ولا يبعد من الهدهد التهدي إلى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس إلهاماً من الله كما ألهمه وغيره من

---

(١)- سورة الكهف الآية :-٦

(٢)- سورة فاطر الآية :- ٨

(٣)- **ينظر**: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،٣٢١/١٠.

(٤)- **ينظر**: فصول في التفكير الموضوعي :- ٢٠

(٥)- سورة الجمعة الآية :- ٦

الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها.

{ أَلا يَسْجُدُوا } بالتشديد أي فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع " أن " وأدغمت النون في اللام ، ويجوز أن تكون " لا " مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا. (١)

ويبقى الخط الأخير الفاصل في قوله تعالى **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)** (٢)

وَأَصْلُ الضَّنْكِ مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، فَيَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ، وَالْمُؤَنَّثُ، وَالْمُفْرَدُ، وَالْجَمْعُ. وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ مَعِيشَةً ضَنْكًا أَيْ: عَيْشًا ضَيِّقًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى،وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِهَذَا الْعَيْشِ الضَّيِّقِ عَلَى أَقْوَالٍ مُتَقَارِبَةٍ، لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهَا بَعْضًا. وَقَدْ قَدَّمْنَا مِرَارًا: أَنَّ الْأَوْلَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ شُمُولَ الْآيَةِ لِجَمِيعِ الْأَقْوَالِ الْمَذْكُورَةِ. وَمِنَ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مَعَ الدِّينِ التَّسْلِيمَ، وَالْقَنَاعَةَ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، وَالرِّضَا بِقِسْمَتِهِ فَصَاحِبُهُ يُنْفِقُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ بِسَمَاحٍ وَسُهُولَةٍ، فَيَعِيشُ عَيْشًا هَنِيئًا. (٣)

وقد حرص القرآن الكريم على دعوة الناس إلى التحرر من الأوهام و الخرافات التي تعطل التفكير وتعوقه عن المعرفة الحقيقية وذلك متمثل بما يقوم به الناس من تعليق التمائم على البيوت وقراءة الفنجان ،والتردد على السحرة وادعاء الغيب ومتابعة الأبراج والتشاؤم والطيرة وعدم الاستنباط الدقيق من كتاب الله

---

(١)- **ينظر**: النسفي:٣/١٦٩.

(٢)- سورة طه الآية :- ١٢٤

(٣)- **ينظر**: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان،: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م،١٢٦/٤.

(عزوجل)وسنة الرسول الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد نهى القرآن الكريم عن الأخذ بهذه الخرافات [١]

قال تعالى:(**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)** [٢].

المطلب الثالث :- **الآفات الفكرية الأخرى** .

وذلك في الظن الكاذب على الناس ،وتقرير المصير على هذا الظن وتهويل الأمور البسيطة وإعطائها قيمة كبيرة بمدح لايتناسب مع جهدها ،وتهوين أمر الدين وعدم اتخاذ ه المرجع الرئيسي في كل الأمور ،وكل هذا مرجعه إلى الأفكار والإحداث والأشخاص حيث يمثلون المحاور الهامة والأساسية، وبين هذه الثلاثة أرتباطات كبيرة تجعل كل واحد منها يؤثر في الأخر ويتأثر به، ومع أن الأحداث تقع بصورة عامة نتيجة فكر وجه لطاقة بشرية نحو إنجازها ؛ إلا أن الأحداث قد تأتي بأفكار كثيرة حبيسة لم تكن تجد مساغاً في الواقع المعاش [٣] كما في قولة تعالى **(أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ)** [٤]

للتقريع و التوبيخ ، أي كيف يجعلون لله (عز وجل) شريكاً لا يخلقون شيئاً ولا يقدر على نفع لهم ولا دفع عنهم ،وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الأصنام مخلوقون ،فهم لا يستطيعون نصراً ومن عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غيره أعجز [٥]

---

(١)- **ينظر**: الإسلام في حياة المسلم، د. محمد البهي١٦٧-١٦٩، ط٢ ١٩٧٣ مكتبة وهبة القاهرة.

(٢)- سورة المائدة الآية :- ١٠٣

(٣)- **ينظر**: فصول في التفكير الموضوعي :- ١٣٧ .

(٤)- سورة الأعراف الآيات :-١٩١ -١٩٢ .

(٥)- ينظر فتح القدير :-٦٣٩ .

وجاء في قوله تعالى:(**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)** [١].

وَهَذَا حَقٌّ بَيِّنٌ لِكُلِّ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَأَقَامَ الْمِيزَانَ لِخَوَاطِرِهَا، وَمَنْ أَجْهَلُ مِمَّنْ يَتَّبِعُ خُطُوَاتِ عَدُوِّهِ حَتَّى فِي حِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْ مَنَافِعِهَا! [٢]

لأنها دعوة الشيطان إلى التمسك بهذه الآفات لان هذه الأفكار تقود إلى السوء والفحشاء وعليه لابد التخلص منها، والى جانب السيطرة على الشعور الباطني بالحوار الداخلي والكلام النفسي ،فعليه كذلك إن يتحكم بالآفات الفكرية الأخرى والانحرافات الباطنة والظاهرة التي يفضي إليها سوء الظن مثل الحسد، والحقد ،والغيبة ،والتجسس ،لان هذه الامورتاكل البناء النفسي المتين وتعوقه نحو السير إلى الله (عزوجل) فقال تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)** [٣]

هي الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، فـ {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

---

(١)- سورة البقرة الآية :- ١٦٩

(٢)- **ينظر**: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م،١٢٣/٨.

(٣)- سورة الحجرات الآية :- ١٢

{وَلا تَجَسَّسُوا} أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي. [1]

فهذه الأمور آفة فكرية تحجب نور التفكير الصائب الصادق الدقيق . [2]

وانطلاقاً من الإحساس بثقل التفكير فان الإنسان يجب أن يبذل الجهد بماله ،فهو لا يبذل منه إلا بمقدار وكذلك نحن مع المشكلات فا ننا نعطيها من الجهد العقلي ما نعتقد انه يتناسب مع حجمها وموقفنا هذا منطقي ، إذا إنا من غير المناسب أن نبذل أوقاتنا وجهودنا في حل مشكلة لا يأتي حلها علينا بفائدة تتكافأ مع العناء الذي بذلناه في سبيل حلها ؛ يجب أن يكون مسار التفكير صحيحاً وموقعه ايجابياً، لأنه إذا اتجه بالمسار السلبي فإنه يصبح آفة لا تبقي و لا تذر [3]

المطلب الرابع :- شوائب التراث المتراكمة عبر العصور .

وبخاصة في مراحل التدهور الحضاري، والتي قد اكتسبت قدسية لا تستحقه وأصبحت تشكل عبئاً على حركة العقل المسلم وتشويشاً لصفائه وتكبيلاً لحركته.

وإن من حق التراث علينا أن يكون هو النواة لكل دراسة يراد لها أن تجمع بين الحاضر والماضي ويتأكد هذا في المجالات التي تقتصر معظم الدراسات على ترسيم خطى النتاج الحديث من إغماض الطرف عن الجذور التي تساعد على

---

(١)- **ينظر**: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ٨٠١/١.

(٢)- **ينظر**: آفات على الطريق ،د. السيد محمد نوح:- .٢١٠/٣.ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣ – دار الفرقان.

(٣)- **ينظر**: فصول في التفكير الموضوعي :-٢٩ .

تحقيق الانتماء إلى هذه الأمة في دينها وعلومها وتطبيقاتها على مدى العصور .

وتسمى هذه الشوائب في لغة التراث النفسي بأنها الشعور بالخوف من شر متوقع والإحساس بالعجز عن مواجهته وهذه الحالة النفسية المرضية تتميز بعدم الرضا وبالإضطراب ، وتنجم عن الخوف لكنه خوف مما يمكن أن يقع غالباً أو مما كان قد وقع ، أكثر منه خوفاً من أوضاع مخيفة واضحة [١] وجاء هذا المعنى في قوله تعالى **(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)** [٢]

"أي: الله أو ليريه الغراب أي: ليعلمه؛ لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز {كيف يواري} أي: يستر {سوأة} أي: جيفة {أخيه} وقيل: عورته لأنه كان سلبه ثيابه فلما رأى قابيل ذلك {قال يا ويلتي} كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى: يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة {أعجزت} أي: مع ما جعل الله لي من القوّة الناطقة {أن} أي: عن أن {أكون} مع مالي من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك {مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي} أي: لأهتدي إلى ما اهتدى إليه وقوله تعالى: {فأواري} عطف على أكون وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعنى لو عجزت لواريت

---

(١)-**ينظر**: الأمراض النفسية علاجها الروحي في الإسلام د عبد الستار أبو غدة الكويت د.ت ٦١

(٢)- سورة المائدة الآية :- ٣١.

{فأصبح} أي: بسبب قتله {من النادمين} أي: على ما فعل لأنه فقد أخاه وأغضب ربه وأباه وما انتفع من قتله بشيء ".[1]

فقد علمه الغراب إن يتخلى عن شائبة فكرية وهي القتل .وهي كذلك العمى لأن الله (عز وجل) كرم النفس البشرية و الإسراف في القتل شائبة خطيرة فمبدأ التبصر والتثبت في الأمور ضروري جداً. [2]

وفي قوله تعالى (**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [3]

وأكل الميتة أن تتناول من عرض أخيك على وجه الغيبة ، وليس ذلك مما فيه رخصة بحال لا بالاضطرار ولا بالاختيار، وغير هذا من الميتة مباح في حال الضرورة، ويقال كما أنّ في الحيوان ما يكون المزكى منه مباحا والميتة منه حراما فكذلك من ذبح نفسه بسكاكين المجاهدات وطهّر نفسه- مباح قربه، حلال صحبته. ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخبيثة نفسه، محظور قربه، حرام معاشرته، غير مباركة صحبته، وإنّ السلف سموا الدنيا خنزيرة، ورأوا أنّ ما يلهى قربه، وينسى المعبود ركونه، ويحمل على العصيان جنوحه- فهو محرّم على القلوب ففي طريقة القوم حبّ

---

(١)-**ينظر**: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ١٢٨٥ هـ ،٣٧١/١.

(٢)- **ينظر** : تفسير أبي السعود:- ٢١/٢.

(٣)- سورة المائدة الآية:٣

الـدنيا حـرام علـى القلـوب، وإن كـان إمسـاك بعضـها حـلالا علـى الأبـدان والنفوس. [١]

وهذه المحرمات التي نهى عنها الإسلام ، تفقد الاستفادة من الخاصية الرئيسة التي خصه الله (عز وجل) بها وميزة بها عن الحيوان ،مما يهبط به إلى مستوى الحيوان ،بل إلى أدنى من مستوى الحيوان ، فقد حرص القرآن الكريم على حث الناس على التحرر من القيود التي تكبل تفكيرهم ،وتعطل عقولهم ، وقد وجه القرآن الكريم نقداً لاذعاً إلى المشركين الذين كانوا يقلدون آباءهم في أفكارهم وعقائدهم ويلغون عقولهم ،ويعطلون تفكيرهم ،فيقومون برفض كل فكرة جديدة دون أن يحاولوا التفكير فيها تفكيراً متحرراً من قيود التقليد . فهي دعوة إلى تحرير التفكير من شوائب التراث المتراكمة عبر العصور ، والإنطلاق نحو آفاق المعرفة والبحث العلمي [٢] كما بين سبحانه وتعالى ذلك في قوله:**(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** [٣].

---

(١)- **ينظر**: لطائف الإشارات ، تفسير القشيري،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)،المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر،ط٣، ٣٩٩/١.

(٢)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس :-١٣٥ .

(٣)- سورة فصلت الآية :-٥٣ .

المطلب الخامس :- العنصرية .

فالدين رحمة وتسامح وتعايش وخير لكل البشر ، وهو دعوة عالمية تتجاوز الحدود الجغرافية وتتجاوز الألوان والأعراف والأجناس ، يحدده الله (عز وجل) وحده بناءً على التقوى .، وهي تقوم على قاعدة **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** [1]

أمر الله بالدعوة وبالجدال على الوجه المذكور، فكلاهما واجب على المسلمين أن يقوموا به، فكما يجب لسبيل الرب جل جلاله، أن تعرف بالبيان بالحكمة، وأن تحب بالترغيب بالموعظة الحسنة؛ كذلك يجب أن يدافع من يصدون عنها بالتي هي أحسن، إذ لا قيام لشيء من الحق إلاّ بهذه الثلاث غير أن الدعوة بوجهيها والجدال ليستا في منزلة واحدة في القصد والدوام فإن المقصود بالذات هو الدعوة، وأما الجدال فإنه غير مقصود بالذات وإنما يجب عند وجود المعارض بالشبهة، والصادّ بالباطل عن سبيل الله فالدعوة بوجهيها أصل قائم دائم، والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه ولهذا كانت الدعوة بوجهيها محمودة على كل حال، وكان الجدال مذموماً في بعض الأحوال؛ وذلك فيما إذا استعمل عند عدم الحاجة إليه، فيكون حينئذ شاغلًا عن الدعوة ومؤديًا –في الأكثر– إلى الفساد والفتنة، فإذا كان جدالًا لمجرد الغلبة والظهور، فهو شر كله. وأشد شراً منه إذا كان لمدافعة الحق بالباطل. [2]

---

(١)– سورة النحل الآية :–١٢٥

(٢)– **ينظر**: تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١ ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ٣٢٥/١.

وتعزز فكرة التعايش والتعارف والتواصل مع الآخر المختلف كما في قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** (١)

كذلك لتتفاخروا بآبائكم الذين مضوا في الشعوب والقبائل، وإنَّما جعلناكم كذلك لتعارفوا، أي: ليعرف بعضكم بعضاً، وقرابته منكم وتوارثكم بتلك القرابة، ولما لكم في معرفة القبائل من المصالح في معاقلكم، ثم قال: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الآية. أي: إن أرفعكم منزلة عند اللَّه أتقاكم، وفي هذه الآية نهي عن التفاخر بالنسب(٢)

وحتى في حال الصراع مع الآخر المعتدي ، فإن لذلك الصراع قواعد أخلاقية تقوم على دفع الضرر ، ولا تقوم على الإبادة أو التطهير العرقي والحمية العنصرية أو إلغاء الآخر ، والسلام غاية تقبل عند أول فرصة سانحة تحقق العدل **(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** (٣)

أي: مالوا {لِلسَّلْمِ} ، أي: المسالمة، والمصالحة، والمهادنة. {فَاجْنَحْ لَهَا} ، أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك، لهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجابهم إلى ذلك، مع ما اشترطوا من الشروط الأخر(٤)

---

(١)- سورة الحجرات الآية :- ١٣

(٢)- **ينظر**: تفسير الإمام الشافعي المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) دار التدمرية – المملكة العربية السعودية،ط١: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، ١٢٨١/٣.

(٣)- سورة الأنفال الآية :-٦١

(٤)- **ينظر**: توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت ١٣٧٦هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق

والاعتداء منهي عنه(**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) [١]

هو عام يخص بما إذا اقتضت المصلحة ترك قتال المقاتل مداراة عند الضعف عنه كما في الهدنة والصلح، أو خديعة له إذ الحرب خدعة أو نحو ذلك.{وَلا تَعْتَدُوا} عام مطرد في ترك العدوان الحقيقي. [٢]

وفي قوله تعالى(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) [٣]

وَيُعَلِّمُكُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لِتَعْرَفُوا الْخَيْرَ فَتَعْمَلُوا بِهِ، وَالشَّرَّ فَتَتَّقُوا، وَيُخْبِرَكُمْ بِرِضَاهُ عَنْكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُ، وَلِتَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَجْتَنِبُوا مَا يُسْخِطُهُ عَنْكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ [٤]

جاءت هذه لتقرر ، إن الكريم حقاً هو الكريم عند الله (**عز و جل**) . وهو يزنكم با لتقوى والعلم(**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [١]

عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة،ط١ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، ٣١٠/٢.

(١)– سورة البقرة الآية :–١٩٠

(٢)– **ينظر**: الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ٨٦/١.

(٣)– سورة الحجرات الآية :–١٣

(٤)– **ينظر**: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية،ط٣– ١٤١٩ هـ، ٨٠٩/٣.

"ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ، ويعلمكم من الآداب الجميلة ، ويعظكم به من المواعظ الشافية ، والله عالم بكل شيء ، فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة" . [٢]

وهكذا يسقط جميع الفوارق ويرتفع ميزان واحد هو تقوى الله (عزوجل)، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر وإلى هذه الأصل يرجع اختلاف البشر في الميزان ، وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع و الخصومات في الأرض ، ويرخص جميع ما يتكالب عليه الناس . ويظهر سبب واحد للتسامح والتعاون هو ألوهية الله **(عز وجل)** للجميع وخلقهم من أصل واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته لواء التقوى في ظل الله (عز وجل) وهذا هو اللواء ، الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من العصبية للجنس والعصبية للأرض ، و العصبية للقبيلة والعصبية للبيت ، وكلها من الجاهلية العارية من الإسلام. [٣]فمن أهم تلك الدوافع الاستفادة ممن نتعصب له فالقبيلة مثلا تؤمن نوعاً من الحماية والتكافل لأبنائها وثمن هذا هو ، الإشادة بها وتأويل أخطائها ، و إبراز محاسنها ، وكثيراً ما يتعصب شعب أو فرد لماضيه نتيجة لسوء الواقع وهي أنشودة العالم الثالث اليوم . وكثيراً ما يكون الدافع قهرياً لا حيلة للمرء فيه ، وذلك حين تكون التربية الاجتماعية المتوارثة قائمة على رؤية **(صغيرة)** للأشياء و الأحداث و الأفكار . وهذه الرؤية تكون في العادة عاجزة عن كشف القضايا الكلية ، وعقد الموازنات ، ورؤية الألوان المتعددة. حين تستمر تلك التربية لفترة طويلة من الزمن فأنها تنشئ مرضاً خطيراً للغاية هو **(التركيب العقلي الأحادي)** الذي يكون في العادة عاجزاً عن الاستفادة من أكداس المعلومات المتاحة له ، لأنه يمتص منها ما يغذيه ، ويزيده انحرافاً ، لا إلى ما يعدله و يصححه ، وأخيراً فإن أي فكرة مهما تكن– تافهة–إذا توفرت لها الدعاية اللازمة فأنها تجد من يعتنقها ، ويتحمس لها

---

(١)– سورة البقرة الآية :– ٢٨٢

(٢)– الكشاف، للزمخشري، ٢٢٥/٣.

(٣)– سورة البقرة الآية :– ٢٨٢

ولذا فأن المتعصب كثيرا ما يقع ضحية لدعاية منظمة حجبت عنه الصور الكلية وأغرقته تفاصيل كثيرة لا تؤدي إلا إلى التعصب والتحيز. [١] وجاء قوله تعالى ليدلل على هذا المعنى **(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)** [٢]

فانه غارق في الظلمات لأنه لم يرى النور على حقيقته ،لأنه محاط ببحر متلاطم أدى به إلى عدم النظر في الأمور نظرة موضوعية صائبه .

ويبقى الحل هو الإيمان لأنه معراج الروح وبه تنشرح النفس من هذه الظلمات وهو العنصر الوحيد الذي تسمو به العواطف ،لان العنصرية وعبادة الهوى والمصلحة والكرسي والمال والغرور بالنفس والتبعية هي ما انطوت عليه الحضارة الحديثة ؛إذ هي مرض الشعوب على نقيض البناء المحكم [٣]

والإنسان نفخة علوية من روح الله (عز وجل) ، ولهذا يحن إلى أصله ، ويتطلع إلى معرفته ويسعى إلى التخلق بأخلاقه ، وهي فطرة بحاجة إلى ضبط و تنظيم و توجيه حتى لا تنحرف عن طريقها ، أو تصبح غامضة ليس لها أثر تربوي في النفس لان نفسية المؤمن قوية وشخصيته مهيبةلانه متوجه إلى الله (عزوجل) وبهذا التوجه الصادق يشعر إن معه اقوي القوى. [٤]

إذن فتكون الخشية من الله عزوجل (**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّـهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)** [٥]

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ} [يَعْنِي سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ] {وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} لَا يَخْشَوْنَ قَالَةَ النَّاسِ

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القران :- ٥٣٧/٧.

(٢)- سورة النور الآية :-. ٤٠

(٣)- **ينظر**: فتح القدير :-١٣٣٩.

(٤)- **ينظر**: منهج القرآن في التربية :- ٢١٢.

(٥)- سورة الاحزاب الآية :-. ٣٩

وَلَائِمَتَهُمْ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ، {وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} حَافِظًا لِأَعْمَالِ خَلْقِهِ وَمُحَاسِبَهُمْ. (١)

مقرونة بصدق **(وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)** (٢).

أي ذكرا جميلا وثناء حسنا وقبولا عاما في الأمم التي تجيء بعدي، فأعطاه الله سبحانه وتعالى ذلك، فكلّ أهل الأديان يتولّونه ويبنون عليه. (٣)

لاحق لأحد إن يغير أو يبدل بها **(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)** (٤)

المطلب السادس العشوائية :-

العشوائية في اللغة مأخوذة من (الأعشى) وهو الذي لايبصر في الليل ويبصر في النهار (والمرأة)عشواء ،وعشواء الليل الظلماء (٥).

فالكون قائم على النظام ، وأي سلوك عشوائي يصبح تشويشاً لذلك النظام وتشويهاً لفطرة الإنسان و العشوائية ، هي الحكم على الأمور و الأشخاص بالسوء دون طلب للدليل وفحص له و التأكد من صحته ، و الموازنة بينه وبين الظروف المحيطة و الواقع المعاش ، وهو ما يعرف بعدم التثبت أو التبين .

---

(١)- **ينظر**: معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)،المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، ٣٥٨/٦.

(٢)- سورة الشعراء الآية :- ٨٤.

(٣)- **ينظر**: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،ط١ ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م،١٧٠/٧.

(٤)- سورة ال عمران الآية :- ٨٣

(٥)- مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي:٤٥٣.

وقد يكون من الأسباب ، أو البواعث التي تدفع بالمسلم إلى أن يقع في الغيبة. [١]

قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** [٢]

أي يا أيها المؤمنون إن جاءكم الفاسق بأى نبإ فتوقفوا فيه وتطلّبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا على قوله، فإن من لا يبالى بالفسق فهو أجدر ألا يبالى بالكذب ولا يتحاماه- خشية إصابتكم بالأذى قوما أنتم جاهلون حالهم، فتندموا على ما فرط منكم وتتمنّوا أن لو لم تكونوا فعلتم ذلك. [٣]

ويخصص الفاسق لأنه مظنة الكذب . وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء ، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها ، فالأصل في الجماعة المسلمة أن يكون أفرادها موضع ثقتها ، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذاً بها . فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره ، وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ و الرفض لما يصل و يتردد من أنباء خاطئة تعوق المسير و تصيبه بالخلل ، فلا تعجل الجماعة في تصرف بناء على خبر فاسق فتصيب قوما بظلم عن جهالة وتسرع . فتندم على ارتكابها ما يغضب الله (عز وجل) ويجانب الحق و العدل في الدفاع [٤] وجاء تقرير هذا المعنى في قوله تعالى : **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**[٥]وقوله **(إِنَّ**

---

(١)- **ينظر**: آفات على الطريق :- ٥٩ .

(٢)- سورة الحجرات الآية :- ٦

(٣)- **ينظر**: تفسير المراغي:- ١٢٧/٢٦ .

(٤)- **ينظر**: في ظلال القرآن :- ٥٢٧/٨

(٥)- سورة البقرة الآية :- ١٧٠

الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [١]

{وَإِذَا قِيلَ} لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: {اتَّبِعُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ} عَلَى رَسُولِهِ، وَاتْرُكُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ (١) مِنَ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ، قَالُوا فِي جَوَابِ ذَلِكَ: {بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا} أَيْ: وَجَدْنَا {عَلَيْهِ آبَاءَنَا} أَيْ: مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَيْهِمْ: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ} أَيِ: الَّذِينَ يَقْتَدُونَ بِهِمْ وَيَقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ {لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ} أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ فَهْمٌ وَلَا هِدَايَةٌ!!.

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابن عَبَّاسٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالُوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. [٢]

فهذه عشوائية في التفكير وهي الكلام على الناس بدون حق ودليل من كتاب الله (عزوجل) وسنة رسوله الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم).،ونجد هذه العشوائية تدمر وتخرب لأنها تخاليط من الاوهاوم والخرافات التي لااصل لها ويكون التخلص من هذه العشوائية من خلال ما يأتي:

١- الاهتمام بالمعنى المتفق عليه والابتعاد عن المعنى المختلف عليه .

٣-الاهتمام بالمعنى الدقيق ،والابتعاد عن المعنى المشتت.

٤-الاهتمام بالمعنى العام الشامل ،والابتعاد عن المعنى الجزئي المحدد. [٣]

---

(١)- سورة النور ، الآية :٢٣.

(٢)- **ينظر**: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/٨١.

(٣)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان و الحياة :- ٧٧ .

المبحث الثالث :- التحلية

وهي العملية الإيجابية في البناء ، وتبدأ بتحديد الغاية من ذلك البناء ، ثم تحديد المنهج الذي يقوم عليه البناء ثم تحديد مدخل البناء ، وضمان وجود جهة مرجعية للتخطيط و المتابعة ، وهذه الجهة تضع مخططاً أساسياً للبناء و تحدد عوامل الثبات فيه ، ثم يبدأ العمل في مراحل منظمة ومتتابعة مستخدماً أفضل الوسائل المتاحة .

وفيما يأتي بيان ما قلناه :

المطلب الأول :- الغاية .

هو السعي نحو الله (عز وجل) ، فالمسلم لا يبغي علواً في الأرض ولا فساداً ، وليس هدفه النهائي تحقيق ذاته وتضخيمها ، وليس هدفه السيطرة على الآخرين

وإذلالهم واستنزاف ثرواتهم ، وإنما هدفه رضا الله تعالى من خلال عبادته وعمرانه للأرض وخلافته فيها و الغاية إلى الله (عز وجل) شعور ديني فطري في الإنسان ، ولذلك فإن طبيعة السلوك وتنوعه إزاء هذا الحب ومشاعره، هي التي تحول هذا الحب إلى سلوك جامع يدفع المؤمن الواعي إلى الدعوة إلى دين الله (عز وجل) ويبذل في سبيله المال و الجهد و الجاه و الولد ، بل يجاهد بحب الله (عز وجل) فيبذل نفسه ودمه وروحه رخيصة في حب الله (عز وجل) وغايته . [١]

المطلب الثاني :- المنهج

نقطة الإنطلاق في المنهج النفسي الإسلامي هو الوعي بالكتاب المقروء (**الوحي**) و الكتاب المنظور (الكون) ذلك الوعي الذي يوقظ العقل و الوجدان ويوسع دائرة نشاطها وينميها في ويحركها نحو الهدف المنشود. فالكتاب المقروء الوحي هو من عوامل المنهج الذي أنزله الله (عز وجل) وفيه الإرادة الإلهية المهيمنة على الكون والتي يعدها الإسلام عاملاً أساسياً في توجيه السلوك الإنساني والكتاب المنظور وهو الكون الذي جعله الله (عز وجل) كتاباً للمعرفة ووجه القلوب و العقول والأبصار إلى بدائع صنع الله (عز وجل) فيه ودعا إلى التفكير في آياته ، وفهم نظمه ونواميسه ، ففتح بهذا العرض و التوجيه باب العلم ، وحرر العقول و التفكير من أسر الجمود

---

(١)- **ينظر** :التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية : محمد عزالدين توفيق ،دار السلام. ١٩٦

والجهل . [1] قال تعالى **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)** [2]

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والهدى التَّوْحِيدُ، أَوِ الْقُرْآنُ، أَوْ بَيَانُ الْفَرَائِضِ ،ودين الْحَقِّ: الْإِسْلَامِ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي لِيُظْهِرَهُ عائد على الرسول لِأَنَّهُ الْمُحَدِّثُ عَنْهُ، وَالدِّينُ هُنَا جِنْسٌ أَيْ: لِيُعْلِيَهُ عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ كُلِّهِمْ. [3]

وفي قوله تعالى **(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)** [4]

ضَرَبْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ الأَمْثَالَ، فَأَخْبَرْنَاهُمْ أَنَّا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى، أَيْ لِيَذَّكَّرُوا فَيُؤْمِنُوا، لا يَنْزِلَ بِهِمُ مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. [5]

وفي قوله تعالى **(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** [6]

فُصِّلَتْ آياتُهُ ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة: من أحكام وأمثال ومواعظ، ووعد ووعيد، وغير ذلك. وقرئ: فصلت، أى: فرقت بين الحق والباطل. أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها، من قولك: فصل من البلد قُرْآناً عَرَبِيًّا نصب على الاختصاص والمدح، أى: أريد

---

(١)-**ينظر**: التصور الإسلامي للكون و الحياة ١٧، ومنهج القرآن في تربية المجتمع: ١٧.

(٢)- سورة التوبة الآية :-٣٣.

(٣)-ينظر: البحر المحيط:٥/٤٠٦.

(٤)- سورة الكهف الآية :- ٥٤.

(٥)-**ينظر**: تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)،تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م،١/١٣٦.

(٦)- سورة فصلت الآية :- ٣ .

بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت. وقيل: هو نصب على الحال، أى: فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين، لا يلتبس عليهم شيء منه. فإن قلت: بم يتعلق قوله لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ؟

قلت: يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت، أى: تنزيل من الله لأجلهم. أو فصلت آياته لهم. (١)

وهذا الدين بمدلوله الواسع ندرك من خلاله أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه ، والله (عز وجل) يعلن قضاءه بظهور الدين الذي أرسل للناس كلهم بهذا المدلول الشامل العام المتمثل بوحي الله(عز وجل) من السماء على رسوله الحبيب محمد (**صلى الله عليه وسلم**) . (٢) وجاء القرآن الكريم بمنهج جديد ، ووجه العقول و الأبصار إلى عالم الحس و الواقع وربط بين الفكر وبين ما في الكون من مظاهر وآيات. كما نلمسه في الآية القرآنية الآتية :-

في قوله تعالى **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ)** (٣)

وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقاً بقوله إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدّينَ لَوَاقِعٌ وَفِى الأرْضِ ءايَاتٌ لّلْمُوقِنِينَ تدلهم على أن الحشر كائن كما قال تعالى وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأرْضَ خَاشِعَةً إلى أن قال إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا فَانظُرْ إِلَى وثانيهما أن يكون متعلقاً بأفعال المتقين فإنهم خافوا الله فعظموه فأظهروا الشفقة على عباده وكان لهم آيات في الأرض وفي أنفسهم على إصابتهم الحق في ذلك فإن من يكون له في الأرض الآيات العجيبة يكون له القدرة التامة فيخشى ويتقى ومن له من أنفس الناس حكم بالغة ونعم سابغة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته وإذا

---

(١)-**ينظر**: الكشاف ، للزمخشري،١٣٦/١.

(٢)- **ينظر**: في ظلال القرآن : - ٢٠٧/٤

(٣)- سورة الذاريات الآيات :-٢٠.

قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير وإذا علم أن الرزق من السماء لا يبخل بماله فالآيات الثلاثة المتأخرة فيها تقرير ما تقدم وعلى هذا فقوله تعالى فَوَرَبّ السَّمَاء وَالأَرْضِ يكون عود الكلام بعد اعتراض الكلام الأول أقوى وأظهر. [١]

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) [٢]فهو كذلك دعاهم إلى التفكر والتدبر في هذا المنهج وإزالة الإقفال عن القلوب حتى يدخل نور القران.

وَهُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، جَعَلَهُ مَمْدُودًا لِأَنَّهُ ظِلٌّ لَا شَمْسَ مَعَهُ، كَمَا قَالَ: «فِي ظِلِّ الْجَنَّةِ» ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَمْسٌ. وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً، أي: دَائِمًا ثَابِتًا لَا يَزُولُ وَلَا تُذْهِبُهُ الشَّمْسُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الظِّلُّ مَا نَسَخَتْهُ الشَّمْسُ. وَهُوَ بالغداة، والفيء مَا نَسَخَ الشَّمْسَ، وَهُوَ بَعْدُ الزَّوَالِ، سُمِّيَ فَيْئًا لِأَنَّهُ فَاءَ مِنْ جَانِبِ الْمَشْرِقِ إِلَى جَانِبِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا، يعني عَلَى الظِّلِّ وَمَعْنَى دَلَالَتِهَا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَمَا عُرِفَ الظِّلُّ وَلَوْلَا النُّورُ لَمَا عُرِفَتِ الظُّلْمَةُ، وَالْأَشْيَاءُ تُعَرَفُ بأضدادها. [٣]

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [٤]

يعني أفلا يسمعون القرآن ويعتبرون به ويتفكرون فيما أنزل الله تعالى فيه من وعد ووعيد وكثرة عجائبه حتى يعلموا أنه من الله تعالى وتقدس " أم على قلوب أقفالها " يعني بل على قلوب أقفالها يعني أقفل على قلوبهم ومعناه أن أعمالهم لغير الله ختم على قلوبهم. [٥]

---

(١)- **ينظر**: تفسير الرازي : - ١٧٨/٢٨.

(٢)- سورة الفرقان ، الآية :-٤٥

(٣)- **ينظر**: تفسير البغوي : - ٤٤٧/٣

(٤)- سورة محمد الآية :- ٢٤

(٥)- **ينظر**: تفسير السمرقندي : - ٣٨٨/٣

المطلب الثالث :- الإطار المرجعي .

الإطار المرجعي يتضمن :-

أ - الكتاب . (القرآن الكريم)

ب- السنة . (السنة النبوية المطهرة)

أ- **الكتاب :-** القران كتاب الله (عز وجل) . أنزله منهجاً حسب الظروف و الحوادث ، لأنه كتاب بناء وتربية ، لا كتاب ثقافة أو متاع جاء بمنهاج للحياة و التربية لصياغة نفوس و بناء أمة و إقامة مجتمع ، ولا يؤثر في النفوس شيء ، كما تؤثر فيه التربية في ظل التجارب و الأحداث إذ تكون القلوب متفتحة للتوجيه و النفوس مهيأة للانطباع . ولا يملك التربية بهذا المنهج إلا رب الناس ، فهو الذي يكشف النوايا و السرائر ويعرض النفوس سافرة بلا ستار ، وينفذ إلى موضع التأثر و الاستجابة منها، ثم يصوغها وفق منهجه كما يشاء . وبهذا كان أسلوب تنزيله أساساً لنجاح التربية وعمق آثارها في النفوس ، فقد جعل الله (عز وجل) من كل هزيمة عبرة ومن كل نصرٍ درساً ، ولكل موقفٍ تحليلاً ، كما كان بناؤه مظهرًا رائعاً للخلود ، جعله صالحاً للسير مع النفوس و تشابه الأحداث [1]كما جاء في قوله تعالى **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [2]

{وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي الناس} ولماذا يمشي به في الناس فقط، وليس بين كل الأشياء؟؛ لأن الأشياء الأخرى من الممكن أن تحتاط

---

(١)- **ينظر:** منهج القرآن في التربية :- ٢٧٧.

(٢)- سورة الأنعام الآية :- ١٢٢

أنت منها ولكن كلمة الناس تعبر عن التفاعل الصعب لأنهم أصحاب أغيار. ويتابع الحق: {كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظلمات لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} وهذا تساؤل جوابه: لا أي ليس كل منهما مساويا للآخر، مثلما نقول: هل يستوي الأعمى والبصير؟ . والفطرة هنا تقول: لا، مثلما تؤكد الفطرة عدم استواء الظلمات والنور، أو الظل والحرور، وهنا يَأْمَنُنَا الله على الجواب؛ لأنه سبحانه – يعلم الأمر إذا طرح السؤال كسؤال وكاستفهام فلن نجد إلا جواباً واحداً هو ما يريد الحق أن يقوله خبراً. (١)

وللقرآن الكريم إشارات في ظل الأحداث الضخمة و الفتنة القاسية ، ونزل القرآن الكريم و فيه وصف للموقف و تفصيل لحال المؤمنين، وكشف لهمسات الصدور وخفقات القلوب.

كما جاء في قوله تعالى (**إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)** (٢)

{إذ جاءتكم جنود} وهم الأحزاب،{من فوقكم} أي فوق الوادي {وتظنون بالله الظنونا} ظن المنافقون أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يهلكون وظن المومنون أنه ينصره {ابتلي المؤمنون} أي أختبروا بالقتال والحصر لتبيين المخلص من المنافق {وزلزلوا} أزعجوا وحركوا بالخوف والمرض– والمرض النفاق. (٣)

ب- السنة النبوية :-

---

(١)– **ينظر**: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم،٧/٢٩١٤.

(٢)– سورة الأحزاب الآية :– ١٠

(٣)– **ينظر**: تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)تحقيق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م،١/٢٩٨.

السنة النبوية الإطار المرجعي الثاني الذي يجب أتباعه ، وهي شرحت وفضلت ما أجمله القران الكريم وخصصت عامه ،وقيدت مطلقه وجا ت بإحكام زائدة وغير ذلك، فلا غنى عن أتباعها وتتبع مواطن البناء فيها متمثلة بحياة الرسول الحبيب محمد (صلى الله عليه و سلم) وصحابته الكرام (رضوان الله عليهم)، فكان الرسول الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) المربي لصحابته في أحاديثه ، و الذي ينبغي أنِ نلاحظه إن كل ما ورد عن الرسول الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ودون في كتب الحديث من أقواله و أفعاله وتقريرا ته على أقسام:-

١)ما سبيله سبيل الحاجة البشرية ، كالأكل و الشرب و النوم و المشي و التزاور والمصالحة بين شخصين بالطرق العرفية و الشفاعة و المساومة في البيع و الشراء

٢)ما سبيله سبيل التجارب و العادة الشخصية ، أو الاجتماعية كالذي ورد في شؤون الزراعة والطب ، و طول اللباس و قصره وهذا من السنة التي يجب إتباعها.

٣) ما سبيله التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية .

وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس يملك الرسول الحبيب محمد **(صلى الله عليه وسلم)** فيها تشريعاً ولا مصدر تشريع .[١] وعلى كل حال فالسنة النبوية المرجع و الإطار الثاني لبناء شخصية المسلم مترابطا مع القرآن الكريم .

المطلب الرابع مفتاح الشخصية القرآنية :-

حب الله (عز و جل) هو مفتاح الشخصية ، قال تعالى**(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

---

(١)- **ينظر**: الإسلام عقيدة و شريعة :- ٥٢٠-٥٢١ .

(١)

فَجَعَلَ الله اتباع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علما لحبه، وكذب من خالفها، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى كُلّ قول دليلا من عمل يصدقه أَوْ يكذبه، فَإِذَا قَالَ العبد قولا حسنا، وعمل عملا حسنا رفع الله قوله بعمله، وإذا قَالَ العبد قولا حسنا، وعمل عملا حسنا رفع الله قوله بعمله، وإذا قَالَ العبد قولا حسنا، وعمل عملا سيئا رد الله القول عَلَى العمل[٢]، وذلك فِي كِتَابِهِ {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}

وعندما يفكر الناس في الشخصية ، فإنهم يرونها عادة لكونها التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين ، أو يرونها بكونها أهم الانطباعات التي يتركها الفرد في الآخرين كان يرونه مثلا شخصاً عدوانياً أو شخصاً مسالماً . أما علماء النفس فأنهم حينما يدرسون الشخصية فأنهم ينظرون إليها باعتبارها السلوك القويم للعيش في رحابه، والتي تميزه عن غيره من الناس . وبعبارة أخرى ، أن الشخصية هي التنظيم المستمر للفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفريد في توافقه مع بيئته . فعلماء النفس حينما يدرسون الشخصية ، ينظرون إلى الفرد ككل متكامل يعمل و يستجيب كوحدة تنتظم تتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية و النفسية و تحدد سلوكه و أستجاباته بطريقة يتميز بها عن غيره من الناس[٣]فصاحب الشخصية القرآنية هو الذي يتمتع برزانة العقل

---

(١)- **سورة ال عمران الآية:. ٣١**

(٢)- **ينظر**: كتاب تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)،قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر – المدينة النبوية،ط١ ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ١٦٩/١.

(٣)- **ينظر**: النفس انفعالاتها و أمراضها و علاجها :- ٧٨-٧٩ .

وبأنه سعيد ويتمتع بنشاط كاف واستغلال كامل لقابلياته [١] (ولا يستند مفهوم الشخصية أساساً على الأنماط السلوكية الملاحظة بل إلى التكوينات غير الملاحظة ، أو كما تسمى (التكوينات الفرضية) وهذه التكوينات نحاول أن نستنتجها و نستدل عليها من السلوك الذي يخضع للملاحظة و الضبط) [٢] فالشخصية (مجموعة من الصفات التي تميز الشخص عن غيره) [٣] والشخصية السوية في الإسلام هي التي توازن بين البدن و الروح ، وتشبع فيها حاجات كل من البدن و الروح . ويشير القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق التوازن في الشخصية كما في قوله تعالى:(**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**) [٤]

وعظ من حرم القبول كمثل البذر في الأرض السّبخة ولذا لم ينفعه نصحهم إياه، ولم يكن للقبول فيه مساغ.

«وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» : ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها، إنما النصيب منها ما تكون فيه فائدة بحيث لا يعقب ندما، ولا يوجب في الآخرة عقوبة ويقال النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنّفس، وعلى معرفته بالقلب، وعلى ذكره باللسان، وعلى مشاهدته بالسّرّ.

«وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» : إنما كان يكون منه حسنة لو آمن بالله لأنّ الكافر لا حسنة له. والآية تدل على أن لله على الكافر نعما

---

(١)- السلوك :-٦٠

(٢)- الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي ، د. نزار العاني :- ٣٧، ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار الفرقان – عمان .

(٣)- سورة القصص ، الآية :- ٧٧.

(٤)- **ينظر**: الإسلام عقيدة و شريعة :- ٥٢٠-٥٢١ .

دنيوية، والإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجوه الطاعة والخدمة، ومقابلته بالشكران لا بالكفران. ويقال الإحسان رؤية الفضل دون توهّم الاستحقاق[١]

(وفي هذا يتمثل إعتدال المنهج الإلهي القويم ؛ المنهج الذي يعلق قلب صاحب المال بالآخرة . ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها) [٢]؛ وربما كان أهم ما تتصف به الشخصية الإسلامية للإنسان المؤمن بربه و المتوكل عليه تمتعه بضمير إنساني متميز بنسيج رباني ذي بعدين أساسيين في علاقته مع ربه وهما : خشية الله (عز وجل) و الرجاء في عفوه و مغفرته و رحمته ، وهذا يشكل الضابط الأساسي لسلوكياته و المنظم التلقائي لعلاقاته مع المحيطين به والمخالطين له سواء كانوا في محيط الأسرة ، أو في رحاب الدراسة ، أو في موقع العمل ، فالإنسان المسلم المؤمن يراعي ضميره في كل خطوة من خطواته ، وفي كل مرحلة من مراحل حياته ، منذ فطرة الله (عز وجل) على الفطرة السليمة عند صرخته الأولى وحتى صمته الأخير ؛ فهو دائما يجد ونوراً في عقله و قلبه يضيء بصيرته فيهديه للصراط المستقيم ، وهو دائما يجد نورا يدق في أذنه و نفسه يذكره بما يرضي الله (عز وجل) ، وما قد يبعده عن طاعته ، فيهديه لاختيار الطريق القويم . وما أجمل تلك الآيات التي تضيء طريق الإنسان فتجعله يسير في أمان ، وما أكثرها تلك الآيات التي تحفظه من التعثر في خطواته فلا يضل عن طريقه في أي لحظة من حياته ، ولنبدأ بقوله تعالى في فاتحة الكتاب المبين (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ**

---

(١)- **ينظر**: لطائف الاشارات ، للقشيري:٨٣/٣ .

(٢)- في ظلال القرآن :- ٣٧٤/٦.

الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهدنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) [1]

ويؤكد الله (عز وجل) هدايته للبشر و تنقية ضمائرهم في محكم كتابه و قرآنه المجيد بقوله تعالى **(الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [2]

وغني عن القول أن الضمير في القول و العمل ، و الإخلاص في النية بما يحقق السعادة الذاتية للفرد المسلم المؤمن ، ويعود براحة البال عليه و بالاستقرار النفسي لحياته ، وذلك لأنه سيتمتع بالاحترام للنفس و إحترام الآخرين له ؛ ولعل التنبيه القرآني في قوله تعالى:**(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** [3]

لما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب ، عطف على قوله) خذ (قوله تحذيراً لهم من مثل ما وقعوا فيه : (وقل اعلموا (اي بعد طهارتكم) فسيرى الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة) عملكم) أي بما له من إحاطة العلم والقدرة فاعلموا عمل من يعلم انه بعين الله) ورسوله) أي بإعلام الله له. ولما كان هذا القسم من المؤمنين فكانت اعمالهم لاخفاء فيها ، قال) المؤمنون (فزينوا أعمالكم جهدكم وأخلصوا ، وفي الأحاديث (لو أن جلاً عمل في صخرة لا باب لها لأظهر الله علمه للناس كائناً ما كان [4]

---

(١)- سورة الفاتحة الآيات :- ١-٧.

(٢)- سورة البقرة الآيات :- ١-٥ .

(٣)- سورة التوبة الآية :- ١٠٥.

(٤)- **ينظر:** نظم الدرر، للبقاعي:٣٨٣/٣.

يعد دليلاً واضحاً على ضرورة يقظة المسلم المؤمن لكل ما يصدر عنه من أقوال و أفعال ، فتكون كلها خالصة لوجه الله (عز وجل) حتى تتفق مع قوله تعالى في حسن السير و السلوك الذي حدده في سورة الحشر :(**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** [١]

هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى. والآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه دخل فيها. وقال الحكم بن عمير – وكانت له صحبة – قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه. وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن. ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة. وأمرتم أن تأخذوا بقولي وتكتنفوا أمري وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن ومن استهزأ بقولي فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالى : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[٢]

وكذلك في قوله تعالى **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)** [٣]،

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، أَيْ: يُبْطِلُوا دِينَ اللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: النُّورُ الْقُرْآنُ، أَيْ: يُرِيدُونَ أَنْ يَرُدُّوا الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَكْذِيبًا، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، أَيْ: يُعْلِيَ دِينَهُ وَيُظْهِرَ كَلِمَتَهُ وَيُتِمَّ الْحَقَّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ.

---

(١)– سورة الحشر الآية :– ٧ .

(٢)– **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ٣:١٧/١٨.

(٣)– سورة التوبة الآية :– ٣٣ .

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ، يَعْنِي: الَّذِي يَأْبَى إِلَّا إِتْمَامَ دِينِهِ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْهُدى، قِيلَ: بِالْقُرْآنِ. وَقِيلَ: بِبَيَانِ الْفَرَائِضِ، وَدِينِ الْحَقِّ، وَهُوَ: الْإِسْلَامُ، لِيُظْهِرَهُ، لِيُعْلِيَهُ وَيَنَصُرَهُ، عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، على سائر الأديان كلها، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَاءُ عَائِدَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيْ: لِيُعَلِّمَهُ شَرَائِعَ الدِّينِ كُلَّهَا فَيُظْهِرَهُ عَلَيْهَا حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ. وَقَالَ الْآخَرُونَ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَظُهُورُهُ عَلَى الْأَدْيَانِ هُوَ أَنْ لَا يُدَانَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِهِ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالضَّحَّاكُ: وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَا يَبْقَى أَهْلُ دِينٍ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ. (١)

فعندما يشعر المؤمن بأنه أخطأ الطريق ، وقد نبهه ضميره و ذكره بما يجب فعله وبما يجب إلا يفعله يكون قريبا إلى الله (عز وجل) فأنه يسارع إلى الله (عز وجل) بالتوسل والرجاء و طلب المغفرة ، العفو و الرحمة . وعندما يخاف المؤمن من عقاب الله (عز وجل) فإنه يلتجئ إلى الله (عز وجل) و يسعى إليه ، ولا يبتعد عنه ويرمي بنفسه على باب رحمته ويتوسل أليه بدموع توبته ، وهذا كله يوقظ في مجمله الضمير الإنساني من الصنع الرباني وهو من أهم ما يميز سمات الشخصية الإسلامية للإنسان المسلم (٢).

---

(١)- ينظر: تفسير البغوي، ٣/٣٤٠.

(٢)- **ينظر**: الخصائص المميزة السيكولوجية الشخصية الإسلامية ، د. ماهر محمد عمر :- ١-٢ د.ت

المطلب الخامس : مراحل التكوين .

فالشخصية الإسلامية هي نتاج تفاعل كيان نفسي بشري مع منهج رباني وهذا التفاعل يمر بالمراحل الآتية :-

١- **المعرفة الدينية** :- هي الاستيعاب والفهم لمعنى النصوص ومن لوازم المعرفة الدنية إعطاء قيمة للعقل ليفكروا ،وان إغلاق العقل تعطيل لأعظم نعمة في الإنسان وهبة من ربه ،ولحكمة بالغة كان أول ما أنزل من القران الكريم **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** [١].

ى: اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله، ثم اقرأ. فإن قلت: كيف قال خَلَقَ فلم يذكر له مفعولا، ثم قال خَلَقَ الْإِنْسانَ؟

"هو على وجهين: إما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه. وإما أن يقدر ويراد خلق كل شيء، فيتناول كل مخلوق، لأنه مطلق، فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض. وقوله: خَلَقَ الْإِنْسانَ تخصيص للإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق، لأن التنزيل إليه وهو أشرف ما على الأرض[٢]. ويجوز أن يراد: الذي خلق الإنسان، كما قال الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ فقيل: الَّذِي خَلَقَ مبهما، ثم فسره بقوله خَلَقَ

---

(١)-سورة العلق الآية :-١

(٢)- الكشاف ، للزمخشري:٤/٧٧٦.

الْإِنْسانَ تفخيما لخلق الإنسان. ودلالة على عجيب فطرته. فإن قلت: لم قال مِنْ عَلَقٍ على الجمع، وإنما خلق من علقة، كقوله مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ؟ قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ. الْأَكْرَمُ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي وإطراحهم الأوامر[1]، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم، فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية تكرم، حيث قال: الأكرم الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ فدلّ على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره ودليل إلا أمر القلم والخط، لكفى به." [2].

ودستورنا الخالد(القرآن الكريم) مشتق من القراءة وأعظم اختراع اخترعته البشرية كان الكتابة و الكتابة غير ذات قيمة إذا لم تعقبها القراءة ، فقد تكثفت خبرة الأجيال على اتساع إمداد الزمان و المكان ، في الكتابة ، فهو الجسر الذي يؤمن التواصل بين الأجيال ، فإذا لم يتهيأ لنا أن نقرأ ما كُتِبَ حرمنا من نعمة تراكم المعرفة ، الذي يمكننا من تجاوز كينوناتنا الثقافية . إن القراءة و المعرفة تمكننا من توسيع مساحات الرؤية ، إذ نرى كل نتائج الأعمال السابقة الإيجابية و السلبية ، وذلك يمكننا من امتلاك (البصيرة) التي من لوازمها القدرة

---

(١)- م.ن:٤/٧٧٦.

(٢)- الكشاف ، للزمخشري:٤/٧٧٦.

علـى خطـو الخطـوة المناسـبة ، والتـي تمنحهـا الحصـانة مـن أن نلـدغ مـن جحـر واحـد مـرتين و مـرات . و القـرآن الكـريم كلـه دعـوة إلـى المعرفـة الدينيـة ، ولا نكـاد نـرى سـورة مـن سـوره إلا وفيهـا كثيـر مـن الإرشـاد إلـى هـذا الطريـق و الـدعوة إلـى التفكيـر و الحـث عليـه . [١] كمـا جـاء فـي قولـه تعالى**(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [٢]

وَلْنَذْكُرَ تَفْسِيرَهَا فِي مَسَائِلَ:

الْمَسْـأَلَةُ الْأُولَـى: لَمَّـا قـال الله تعـالى: فَأَصَـمَّهُمْ وَأَعْمـى أَبْصـارَهُمْ كَيْـفَ يُمْكِـنُهُمُ التَّـدَبُّرُ فِـي الْقُـرْآنِ قَـالَ تَعَـالَى: أَفَـلا يَتَـدَبَّرُونَ وَهُـوَ كَقَـوْلِ الْقَائِـلِ لِلْأَعْمَـى أَبْصِـرْ وَلِلْأَصَـمِّ اسْـمَعْ؟ فَنَقُـولُ الْجَـوَابُ: عَنْـهُ مِـنْ ثَلَاثَـةِ أَوْجُـهٍ مُتَرَتِّبَـةٍ بَعْضُـهَا أَحْسَـنُ مِـنَ الْـبَعْضِ الْأَوَّلُ: تَكْلِيفُـهُ مَـا لَا يُطَـاقُ جَـائِزٌ وَاللَّـهُ أَمَـرَ مَـنْ عَلِـمَ أَنَّـهُ لَا يُـؤْمِنُ بِـأَنْ يُـؤْمِنَ، فَكَـذَلِكَ جَـازَ أَنْ يُعْمِـيَهُمْ وَيَـذُمَّهُمْ عَلَـى تَـرْكِ التَّـدَبُّرِ الثَّـانِي: أَنَّ قَوْلَـهُ أَفَـلا يَتَـدَبَّرُونَ الْمُـرَادُ مِنْـهُ النَّـاسُ الثَّالِـثُ[٣]: أَنْ نَقُـولَ هَـذِهِ الْآيَـةُ وَرَدَتْ مُحَقِّقَـةً لِمَعْنَـى الْآيَـةِ الْمُتَقَدِّمَـةِ، فَإِنَّـهُ تَعَـالَى قَـال: أُولَئِـكَ الَّـذِينَ لَعَـنَهُمُ اللَّـهُ أَيْ أَبْعَـدَهُمْ عَنْـهُ أَوْ عَـنِ الصِّـدْقِ أَوْ عَـنِ الْخَيْـرِ أَوْ غَيْـرِ ذَلِـكَ مِـنَ الْأُمُـورِ الْحَسَـنَةِ فَأَصَـمَّهُمْ لَا يَسْـمَعُونَ حَقِيقَـةَ الْكَـلَامِ وَأَعْمَـاهُمْ لَا يَتَّبِعُـونَ طَرِيـقَ الْإِسْـلَامِ فَـإِذَنْ هُـمْ بَـيْنَ أَمْـرَيْنِ، إِمَّـا لَا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ فَيَبْعُـدُونَ مِنْـهُ، لِأَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى لَعَـنَهُمْ وَأَبْعَـدَهُمْ عَـنِ الْخَيْـرِ وَالصِّـدْقِ، وَالْقُـرْآنُ مِنْهُمَـا الصِّـنْفُ الْأَعْلَـى بَـلِ النَّـوْعُ الْأَشْـرَفُ، وَإِمَّـا يَتَـدَبَّرُونَ لَكِـنْ لَا تَـدْخُلُ مَعَانِيـهِ فِـي قُلُـوبِهِمْ لِكَوْنِهَـا مُقْفَلَـةً، تَقْـدِيرُهُ أَفَـلَا يَتَـدَبَّرُونَ القـرآن لكـونهم ملعـونين معبـودين، أَمْ عَلَـى قُلُـوبٍ أَقْفَـالٌ فَيَتَـدَبَّرُونَ وَلَا يَفْهَمُـونَ، وَعَلَـى هَـذَا لَا نَحْتَـاجُ أَنْ نَقُـولَ أَمْ بِمَعْنَـى بَـلْ، بَـلْ هِـيَ عَلَـى

---

(١)-**ينظـــر**: فصـــول فـــي التفكيـــر الموضـــوعي : ٢٩-٣٠، والإســـلام عقيـــدة و شريعة :- ٣٥.

(٢)-سورة محمد الآية :- ٢٤

(٣)- تفسير الرازي:٢٨/٥٦.

حَقِيقَتِهَا لِلِاسْتِفْهَامِ وَاقِعَةٌ فِي وَسَطِ الْكَلَامِ وَالْهَمْزَةُ أَخَذَتْ مَكَانَهَا وَهُوَ الصَّدْرُ، وَأَمْ دَخَلَتْ عَلَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْكَلَامِ. (١).

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ عَلَى قُلُوبٍ عَلَى التَّنْكِيرِ مَا الْفَائِدَةُ فِيهِ؟ نَقُولُ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى كَوْنِهِ مَوْصُوفًا لِأَنَّ النَّكِرَةَ بِالْوَصْفِ أَوْلَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ فَكَأَنَّهُ قَالَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ أَوْ مُظْلِمَةٍ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ لِلتَّبْعِيضِ كَأَنَّهُ قَالَ أَمْ عَلَى بَعْضِ الْقُلُوبِ لِأَنَّ النَّكِرَةَ لَا تَعُمُّ، تَقُولُ جَاءَنِي رِجَالٌ فَيُفْهَمُ الْبَعْضُ وَجَاءَنِي الرِّجَالُ فَيُفْهَمُ الْكُلُّ، وَنَحْنُ نَقُولُ التَّنْكِيرُ لِلْقُلُوبِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْإِنْكَارِ الَّذِي فِي الْقُلُوبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ عَارِفًا كَانَ مَعْرُوفًا لِأَنَّ الْقَلْبَ خُلِقَ لِلْمَعْرِفَةِ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ الْمَعْرِفَةُ فَكَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ فِي الْإِنْسَانِ الْمُؤْذِي: هَذَا لَيْسَ بِإِنْسَانٍ هَذَا سَبُعٌ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ هَذَا لَيْسَ بِقَلْبٍ هَذَا حَجَرٌ. (٢).

وفي قوله تعالى **(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)** (٣).

"وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَسْأَلَةَ اللَّهِ إِيَّاهُ عِنْدَ وُقُوفِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاتَّقَاهُ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات: ٤٠] يَقُولُ: وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا فِيمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، وَلَا يَرْضَاهُ مِنْهَا، فَزَجَرَهَا عَنْ ذَلِكَ، وَخَالَفَ هَوَاهَا إِلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ". (٤).

---

(١)- م.ن:٥٦/٢٨.

(٢)-م.ن:٥٦/٢٨.

(٣)-سورة النازعات الآيات :- ٤٠-٤١

(٤)-جامع البيان ، للطبري:٩٨/٢٤.

لأنه مراقبة العبد مقام ربه لهو أساس التقوى و التقوى أساس العلم . [١]يقول الحق سبحانه **(وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [٢]

٢- **الفقه الديني (الحركي)** :- هو مرحلة أعلى من المعرفة حيث تتميز بالفهم العميق للمعلومات المتاحة . فالفقه الذي نقصده هو فهم الأحداث الجارية ، و أدراك المتغيرات و المستجدات المصاحبة لها زماناً و مكاناً وحالاً و أشخاصاً ، و القدرة على إعطاء الحكم الشرعي لتلك الأحداث وربطها بالأصول الشرعية و أتخاذ الموقف المناسب لها ، فهناك أمورا لانهاية ولاحصر لها ،ومشكلات لا عدلها تحدث في واقع الحياة في كل عصر وفي كل جيل وفي كل يوم يعرضها المسلم على كتاب الله وسنه رسوله الحبيب محمد(صلى الله عليه وسلم) فاذالم يجد فيها الحل بعد استقصاء الدراسة والتنقيب عن الحلول حينئذ يجتهدبرايه مستأنسا بروح النصوص والقواعد العامة كما في الفقه الديني (الحركي) . [٣]

فمنهج القرآن الكريم الحركي له سننه و معالمه من الحركة والجدة –والفطرة – والمدى البعيد و البناء العقائدي الحي و الاتساق مع نواميس الكون و الحياة ، إن هذا المنهج لا شك فيه أنه يخرج رجالاً من نوع خاص يتفق قدرهم مع قدر المنهج الذي تربوا عليه وتعلوا همتهم وتزكو نفوسهم بتزكية الله العلي الكبير الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . [٤]والفقه الديني (الحركي)المراد به تسخير جميع الوسائل التي تمكننا من انتصار الإسلام في معركة المبادئ القائمة كما في التعبير القرآني الذي يتحدث عن إعداد القوة ؛والقوة التي يجب

---

(١)–**ينظر**: في ظلال القرآن :- ٨/٤٥٠.

(٢)–سورة البقرة الآية :- ٢٨٢

(٣)–**ينظر**: الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر دراسة تأصيلية نقدية نقدية موسى إبراهيم الإبراهيم :- ٢٣ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – دار عمار .

(٤)– المصدر السابق :–٤٨

إعدادها مختلفة من زمان إلى زمان فإذا كان في زمن الحبيب محمد **(صلى الله عليه وسم)** كان إعداد القوة هي بإعداد السيف والخيل فضلا عن قوة الإيمان، فاليوم نحن بحاجة إلى قوى كبرى من الإعداد المادي والنفسي والروحي مقروناً بالإيمان الصادق ، كما جاء في قوله تعالى**(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)** [1]

"وَأَعِدُّواْ لَهُمْ} لبني قُرَيْظَة وَغَيرهم {مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} من سلَاح {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيل} من الْخَيل الروابط الْإِنَاث {تُرْهِبُونَ بِهِ} تخوفون بِالْخَيْلِ {عَدْوَّ الله} فِي الدّين {وَعَدُوَّكُمْ} بِالْقَتْلِ {وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ} من دون بني قُرَيْظَة وَسَائِر الْعَرَب وَيُقَال كفار الْجِنّ {لاَ تَعْلَمُونَهُمُ} لَا تعلمُونَ عدتهمْ {الله يَعْلَمُهُمْ} يعلم عدتهمْ {وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ} من مَال {فِي سَبِيلِ الله} فِي طَاعَة الله على السِّلَاح وَالْخَيْل {يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} يوف لكم ثَوَابه لَا ينقص {وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} لَا تنقصون من ثوابكم".[2]

وقوله **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)** [3]

"(وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا) بَيَّنَ لِمُنْكِرِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ لَيْسَ أَمْرًا بِدْعًا، بَلْ أَرْسَلْنَا الرُّسُلَ وَأَيَّدْنَاهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَأَحْلَلْنَا بِمَنْ خَالَفَهُمُ الْعِقَابَ." آتَيْنا" أَعْطَيْنَا." فَضْلًا" أَيْ أَمْرًا

---

(١)- سورة الأحقاف الآية :- ٣٥.

(٢)-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس،ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت ٦٨هـ)،جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان،١/١٥١.

(٣)-سورة سبا الآية :- ١٠

فَضَّلْنَاهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ. وَاخْتُلِفَ فِي هَذَا الْفَضْلِ عَلَى تِسْعَةِ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ- النُّبُوَّةُ. الثَّانِي- الزَّبُورُ. الثَّالِثُ- الْعِلْمُ".[١]

؛ فالفقه الحركي المستنبط من الآية الكريمة إن الله (عزوجل) يقول لنا إن الحديد قد أذاب فشكل منه ماتريد من صنع الطائرات والصواريخ لتدافع بها عن الإسلام واهله وقوله:(**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ)** [٢]

هذه المعجزة متضمّنة في قوله تعالى وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ فبعد أن ذكر أدوات الركوب المعروفة وقت نزول هذا النص، أشارت الآية إلى مركوبات للإنسان ستخلق لا يعلمها الإنسان حين نزول النص، وهذا الذي رأيناه في عصرنا أكثر من أي عصر مضى، وإذ كان القرآن خطابا لكل عصر، فهذا يفيد أن ما سيخلقه مما يركبه الإنسان ويكون زينة له سيكون متطورا يأتي في العصور اللاحقة ما لا يعلمه أهل العصور السابقة. [٣]

وذلك صنع السيارة والطائرة وهي المركب الجديد المتطور وهو(الفقه الحركي) الذي يقودنا إن نتعامل هكذا حتى نحتل القمة في كل الأمور ونكون مستعدين لاستقبال آيات الله (عزوجل) بفقه (حركي) أصيل مستمداً من قوله تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [٤]

---

(١)-الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي،١٤/٢٦٤.

(٢)-سورة الأنفال الآية :- ٦٠

(٣)-**ينظر**: الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)، دار السلام القاهرة،ط٦، ١٤٢٤ هـ،١٤/٢٦٤، ٦/٢٩٢٣.

(٤)-سورة فصلت الآية :- ٥٣.

اي : أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار {وفي أنفسهم} من لطيف الصنعة وبديع الحكمة {حتى يتبين لهم أنه} أي القرآن {الحق} المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به {أو لم يكف بربك} فاعل يكف {أنه على كل شيء شهيد} بدل منه أي أو لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما. فالسين هنا للاستقبال ؛ أي سوف نريهم آياتنا في آفاق العالم المتطور، وعلى الأنفس إن تعي التعامل مع هذه الآيات بفقه ديني (حركي) [1]

٢- **صياغة المشروع السلوكي الديني** :- فبعد أن نعرف ثم نفقه نحتاج ان نضع كل ذلك في صورة مشروع للسلوك في الحياة ، وهذا المشروع يجب ان يوائم بين متطلبات الدين و ظروف الحياة الراهنة دون الإخلال بالأصول و الثوابت . فإن للإسلام وسائله المحكمة في صياغة المؤمنين به صياغة تختلف عن الأديان الأخرى والمبادئ ، و الفلسفات الأرضية بما فيه من حكمة و عمق في خفايا النفس الإنسانية **(صِبْغَةَ اللَّـهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّـهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)** [2]

"قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره ب"الصبغة: صبغةَ الإسلام. وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم، جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية.

فقال الله تعالى ذكره -إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به:"كونوا هودًا أو نَصَارَى تَهتدوا"-: قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى، بل اتبعوا ملة إبراهيمَ، صبغة الله التي هي أحسن

---

(١)-**ينظر**: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الحديث - القاهرة ط٦، ١/٦٣٧.

(٢)-سورة فصلت الآية :- ٥٣

الصِّـبَغ، فإنهـا هـي الحنيفيـة المسـلمة، ودعـوا الشـركَ بـالله، والضـلالَ عـن محجَّة هُداه". [١]

وتكون الصياغة من خلال :

١- التصور السليم لموقع الإنسان في الكون .

٢- النظام الروحي – الذي يسهم في تقوية الصلة بين الإنسان وربه ،وكلما قويت الصلة الروحية بين الإنسان وربه ،قويت دوافع الالتزام بالخلق القويم .

٣- القيم الخلقية ، و المسؤولية الضخمة إزاءها .

٤- مسؤولية الأمة إذ تعمل على إقامة الإسلام سلوكا واقعياً تسهم به المرأة ؛ كما يسهم به الرجل لإقامة المجتمع الأمثل اللائق بالانتساب إلى الله (عزوجل).

٥- القدوة العملية في السلوك . [٢]

٤- تطبيق المشروع السلوكي على الواقع :-

وهذه هي مرحلة التطبيق الفعلي لكل ما سبق في الحياة اليومية بكل تعقيداتها وصعوباتها ، ولذلك تتطلب حكمة و مهارة لضبط إيقاع هذه الحياة بالمنهج الرباني وهذا التطبيق يتطلب معرفة صحيحة بالدين و فقهاً عميقاً لجوانبه وأولوياته وصياغة محكمة واقعية ومرنة للمشروع السلوكي الديني فضلاً عن الإلمام الكامل بظروف المجتمع . وقد يصبح الإلمام بالعلوم الاجتماعية والنفسية واجباً في هذه المرحلة لأنه إلمام بالبيئة التي يتم تنزيل المشروع السلوكي الديني فيه لكي يثمر في النهاية تديناً أصيلاً تعمر به الحياة ،ويجب في ذلك التطبيق مراعاة النظرة الإسلامية العامة للإنسان ومراعاة اختلاف أحوال البشر لان الإنسان خطاء ؛في ساحة المعترك بين الحق والباطل ،ويكون ذلك التطبيق للمشروع السلوكي باستبطان الأمور ،والنفاذ إلى الدوافع الخافية من اجل حكم متوازن منصف، ليتوصل بعد ذلك لأتحاذ القرار المناسب

---

(١)-جامع البيان، للطبري:١١٧/٣.

(٢)-سورة فصلت الآية :- ٥٣

.و الموقف المكافئ لهذا الواقع بما يحقق المصلحة والفائدة للفرد والجماعة .
(١)

ومن هنا جاء التوجيه القرآني في التبيان من أمر الفاسق فقال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)** (٢)

ان تناقل الأخبار آفة المجتمعات، فقد يكون بعضها إشاعة، أو كذبا، وقد يكون هناك كثير من المبالغة في الخبر وتضخيمه، وغالبا ما يكون نقل الخبر بحاجة ماسة إلى الدقة في النقل، وضبط اللفظ، وفهم المراد، وتأويل المسموع، لذا كان لا بد من الكتابة أو التدوين أو التسجيل ليكون الخبر صحيحا أو مطابقا للواقع. (٣)

والذين يطبقون المشروع هم أهل الصلاة فهم ينطلقون من محراب التائبين الراكعين الساجدين ،اماغير هؤلاء يصعب تطبيق هذا المشروع ،لان هؤلاء سوف يمكنهم الله (عزوجل) كما في التعبير القرآني (٤).

(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (٥). «أَعْطَيْنَاهُمْ مَا لَمْ نُعْطِكُمْ»(٦).

---

(١)-**ينظر**: التصور الإسلامي للإنسان و الحياة :- ١٧٣-١٧٩.

(٢)-سورة الحجرات الآية :- ٦.

(٣)-**ينظر**: التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق:٣/٢٤٧١.ط١ - ١٤٢٢ هـ،٣/٢٤٧١.

(٤)-**ينظر**: الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر :- ١٥ .

(٥)-سورة الحج الآية :- ٤١.

(٦)- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، سنة ١٤١٩هـ، ٢/٤١.

ويبقى الأمر النهائي بالسير في تطبيق هذا المشروع:(**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) [١].

المطلب السادس : المخطط النفسي .

إن فكرة التوحيد هي مركز الشخصية الإسلامية والتي يبنى عليها الإيمان بالرسل و بالملائكة واليوم الأخر ، و بالقدر خيره و شره ، وكل هذا يكون نواة الشخصية الإسلامية، وهو ما نسميه (الإيمان الصادق) فتوحيد المعبود يوحد مصدر التلقي ومصدر التوجيه ، فتكون المحصلة تضافر ملكات النفس ،وتكون الثمرة ذلك؛ نمواً ايجابياً مطردًا مع سلام داخلي وتصالح بين مكونات النفس ،بل وتصالح بين مكونات النفس ومكونات الكون التي تتجه جميعها في نفس الاتجاه ، وهنا يحدث التناسق النفسي الداخلي ،والتناسق النفسي الكوني .وعلى العكس فان اتخاذ أرباب وآلهة مختلفة يشتت قوى النفس ويهدد استقرارها ويعوق نموها الصحيح (**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**) [٢].{يا صاحبي السجن} يعني: يا ساكنيه: {أأرباب متفرِّقون} يعني: الأصنام {خَيْرٌ} أعظم في صفة المدح {أَمِ اللَّهُ الواحد القهار} الذي يقهر كلَّ شيءٍ. [٣]

وجاء ذلك المعنى في قوله تعالى:(**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) [٤]

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها يعني: ونفس والذي سوى خلقها، ويقال: ونفس وما خلقها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها يعني: ألهمها الطاعة والمعصية، ويقال:

---

(١)-سورة الانعام الآية :- ١١.

(٢)-سورة يوسف الآية :- ٣٩.

(٣)-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)،تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم الدار الشامية – دمشق، بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ، ٥٤٧/١.

(٤)-سورة الشمس الآية :-٧-٩.

عرفها، وبين لها ما أتى وما تذر. ثم قال عز وجل: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها يعني: أصلحها الله، وعرفها وهذا جواب القسم لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لثقلها، لأن الكلام طال.

ثم قال وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها يعني: خسر من أغفلها وأغواها، وخذلها وأضلها. وقال القتبي: معناه قد أفلح من زكى نفسه، أي: أنماها وأعلاها، بالطاعة والبر والصدقة، وقد خاب من دساها، يعني: نقصها وأخفاها بترك عمل البر، وبركوب عمل المعاصي. وأصله دسس، فجعل مكان إحدى السينين ياء، كما يقال: قصيت أظفاري، وأصله قصصت. قال وأصل هذا؟ أن أجواد العرب، كانوا ينزلون في أرفع المواضع، ويوقدون من النار للطارقين، لتكون أنفسهم أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والأهضام، لتخفي أماكنهم على الطارقين، فأخفوا أنفسهم. والبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر، والفاجر دساها. ويقال: إن الله تعالى، يطلب من عباده المؤمنين يوم القيامة ستة أشياء بمكان النعمة، الشكر: وبمكان الشدة وبمكان الصحة العمل بالطاعة، وبمكان الذنوب التوبة، وبمكان العمل الإخلاص، فمن يجيء بهذه الأشياء، فقد أفلح ونما، ومن لم يجيء بهذه الأشياء، فقد خسر وغبن". (١)

أروع مخطط نفسي يحدد للنفس مسارها الفالح من زكاها بالإيمان والفاجر من دساها بالطغيان وقوله:**(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)** (٢)

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرناً بعد قرن، ومِنْ ظُهُورِهِمْ بدل مِنْ بَنِي آدَمَ بدل البعض. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب «ذرياتهم» .

---

(١)-تفسير السمرقندي:٣/٥٨٥.

(٢)-سورة الأعراف الآية:- . ١٧٢.

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنا أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: أَلَسْتَ بِرَبّكُمْ قَالُوا بَلَى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ أي كراهة أن تقولوا. إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ لم ننبه عليه بدليل مخطط رائع بالفطرة واشهدوا انفسهم بقولهم **(بلى)** .(١)

وقوله:(**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** (٢) .

هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم:" وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون"؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلا بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني: بشرك ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا، أحقّ بالأمن من عقابه مكروهَ عبادته ربَّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم = أمَّا في عاجل الدنيا فإنهم وجِلون من حلول سخَط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذابِ الله. (٣)

---

(١)- **ينظر**: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١ – ١٤١٨ هـ، ٤١/٣.

(٢)–سورة الإنعام الآية:– ٨٢

(٣)- **ينظر**: جامع البيان، للطبري: ٤٩٢/١١.

فالنفسُ رهينة بالشهوات وهي تركيبة الصانع لها ، وفي الوقت ذاته يجب أن تكون بصيرة على تصرفاتها التي أراد الله (عز وجل) أن تكون راجعة إليه في كل وقت وحين لتدخل أفق الاطمئنان والأمن النفسي . [١]

المطلب السابع : الوسائل .

نظام تربوي إسلامي في البيت و المدرسة و المسجد و الإعلام يراعي إكمال الجوانب الآتية :-

أ – الجانب الإيماني

أن المتأمل في العلاقة بين تعاليم الدين الإسلامي ، وبين تنظيم الحياة للإنسان و تعديل سلوكه لا بد إن يلاحظ التأثير الايجابي للالتزام بتعاليم الدين على الصحة النفسية ، ويتضمن ذلك الوقاية والعلاج من الاضطرابات النفسية التي تزايد أنتشارها في العصر الحالي ، و المثال على ذلك تأثير التنشئة الدينية للصغار على ضبط سلوكياتهم و منعهم من الاستجابة للانحراف ، و كذلك الدعوة الدائمة إلى حسن الخلق في التعامل الإنساني بما يخفض من فرص الصراعات التي تسبب القلق ، و دعوة الدين إلى إفشاء السلام ، وهي دعوة إلى الطمأنينة التي تمثل وقاية ضد القلق والاكتئاب و النهي عن الفساد في الأرض يضمن للإنسان وسط صحي بعيد عن كل أسباب التلوث المادي و المعنوي الذي يؤدي إلى الإصابة بالأمراض . [٢]

وقد بدأت كذلك تظهر حديثاً اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية ، وترى إن الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يتعرض له الكثير من الناس الذين يعيشون في هذا العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية ويسوده التنافس

---

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان و الحياة : ١١٨، الإيمان بالله هو الطريق إلى النفس المطمئنة ، د. لطفي الشربيني :٣، د.ت

(٢)-**ينظر**: القرآن و علم النفس :- ٢٣٩-٢٤٠.

الشديد من اجل الكسب المادي والذي يفتقر في الوقت نفسه إلى الغذاء الروحي ، مما سبب كثيراً من الضغط و التوتر لدى الإنسان المعاصر ، وجعله نهباً للقلق وعرضة للإصابة بالأمراض النفسية . [١] فالأصل أذن هو عمق الإيمان ، وليس مجرد الأخذ بظاهر اللفظ الظاهري ، وأن عمق الإيمان يستلزم رباطة جأش النفس و صفاء الجنان . [٢]والوسيلة العظمى مقرونة بالتقوى والإيمان قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)** [٣]،مَخْرَجًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [٤]

ونفس المؤمن صافية مطمئنة لمكانتها بين يدي خالقها(**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [٥]

الَّذِينَ آمَنُوا بدل من الأول، وفيه إشارة إلى أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال الصالحة بل هو كلها وطُوبى لَهُمْ خبر الأول فيتم التقابل بين القرينتين وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا والَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمَئِنُّ وبين جزئي التذييل: يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ ومن الناس من زعم أن الموصول الأول مبتدأ والموصول الثاني خبره وأَلا بِذِكْرِ اللَّهِ اعتراض وطُوبى لَهُمْ دعاء. [٦]

وله مكانته في الأمة: **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ**

---

(١)-**ينظر**: القرآن و علم النفس :- ٢٣٩-٢٤٠.

(٢)-**ينظر**: المصدر نفسه :- ٢٣٩-٢٤٠.

(٣)-سورة الأنفال الآية :-،٢٩ **وينظر** :علم النفس القرآني و التهذيب الوجداني :٩٩.

(٤)- **ينظر**: تفسير مجاهد، ٣٥٤/١.

(٥)-سورة الرعد الآية :٢٧.

(٦)- **ينظر**: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ١٤٣/١.

وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [١]

بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ في مقابلة قوله في المنافقين بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً، تعنى أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك، ونحوه سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى، سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ. عَزِيزٌ غالب على كل شيء قادر عليه، فهو يقدر على الثواب والعقاب حَكِيمٌ واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وَمَساكِنَ طَيِّبَةً عن الحسن قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد ،وهذه المكانة هي من منطلق إيمانه بالله (عزوجل) فهو يحتل المكانة العالية والرائعة لأنه سمى بهذا الإيمان الذي في قبله. [٢]

ب- الجانب الوجداني .

النفس في القرآن الكريم جانب هام من شخصية الإنسان ، فهي قوة من قوى الإنسان ، ومن أجل هذا تهتم التربية الإسلامية بتربية النفس ، أو بتربية الوجدان ، و الغرض من ذلك هو إن يجعل الإنسان المتعلم لنفسه خلقاً تصدر عنه الأعمال كلها جميلة ، و الطريق إلى ذلك هو فهم قوى النفس و طريقة التعامل معها ويكون ذلك بالابتعاد عن الملاهي والخمور والفن الماجن والإغراء بالجنس ،والعهر والدعارة ،لان هذا كله يصيب البناء النفسي بالهدم الكبير . [٣]

والقرآن الكريم يربط العواطف بالله (عزوجل)،ويريد إن يكون المرء دائما في رعاية الله(عزوجل) حيث أمر بغض البصر لما فيه من حفظ للنفس فقال (عزوجل): [٤]

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ

---

(١)-سورة التوبة الآية :٧١.

(٢)- **ينظر**: الكشاف، للزمخشري،٢/٢٨٩.

(٣)- **ينظر** :علم النفس القرآني و التهذيب الوجداني :٩٩.

(٤)-**ينظر**: القرآن و علم النفس :- ٢٣٩-٢٤٠.

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [1]

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ) بالله وبك يا محمد (يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم (ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ) يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحلّ النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين؛ أطهر لهم عند الله وأفضل (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغضّ عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له. [2]

وهو كذلك يدعوالؤمن لإيجاد التوازن وعدم الانجرار وراء عواطفه وشهواته:(**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)** [3]

راودته على الأمر مراودة: طلبت منه فعله مع المخادعة، فالمراود يتلطف فى طلبه تلطف المخادع ويحرص عليه، وقال الراغب: المراودة أن تنازع غيرك فى الإرادة فتريد منه غير ما يريد كما قال إخوة يوسف (سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) أي نحتال عليه ونخدعه عن إرادته ليرسل بنيامين معنا، وهيت لك بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وضمها أي أي هلم أقبل وبادر، وقد روى أنها لغة عرب حوران، واختيرت لأنها أخص ما يؤدى المراد مع النزاهة الكاملة، ومعاذ الله: أي أعوذ وأتحصن بالله من

---

(١)-سورة النور الآية :٣٠.

(٢)-**ينظر**: جامع البيان، للطبري، ١٥٤/١٩.

(٣)-سورة يوسف الآية :٢٣.

أن أكون من الجاهلين الفاسقين، وهمت به: أي همت لتبطش به لعصيانه أمرها، وهمّ بها ليقهرها فى الدفع عما أرادته ويرد عنفها بمثله، وبرهان ربه: إما النبوة التي تلى الحكم والعلم اللذين آتاه الله إياهما بعد بلوغ الأشد، وإما مراقبة الله تعالى ورؤية ربه متجليا له ناظرا إليه والمخلصون: هم الذين اجتباهم الله واختارهم لطاعته، واستبقا الباب: اى تسابقا إلى الباب وقصد كل منهما سبق الآخر إليه، فهو ليخرج وهى لتمنعه من الخروج، وقدّت قميصه من دبر: أي قطعته طولا من خلف، وألفيا: أي وجدا. (١)

ودعى القران الكريم إلى الاستعفاف لحين إن يسهل الله(عزوجل)أمر الزواج ،ويكون نتيجة هذا الاستعفاف الصادق أن يفتح الله عليه من فضله فقال تعالى: **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** (٢)

وليجتهد في العفة وظلف النفس ، كأن المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه) لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً (أي استطاعة تزوج . ويجوز أن يراد بالنكاح : ما ينكح به من المال) حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ (ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ، ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفاً لهم في استعفافهم ، وربطاً على قلوبهم ، وليظهر بذلك أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء ، وما أحسن ما رتب هذه الأوامر : حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد مواقعة المعصية وهو غضّ البصر ، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به

---

(١)-**ينظر**: تفسير المراغي، ١٢٨/١٢.

(٢)-سورة النور الآية: ٣٣

الاستغناء بالحلال عن الحرام ، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه) وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ (مرفوع على الابتداء . أو منصوب بفعل مضمر يفسره) فَكَاتِبُوهُمْ (كقولك : زيداً فاضربه ، ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط . (١)

ويؤمن الإنسان من المجهول الذي يخافه : **(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)** (٢)

وبشارة بلا واسطة بقول الملك، إذ يبشّرهم ربّهم برحمة منه، وذلك عند الحساب.

يبشرهم بلا واسطة بحسن التولّى فعاجل بشارتهم بنعمة الله، وآجل بشارتهم برحمة الله، وشتان ما هما! ويقال البشارة بالنعمة والجنة لأصحاب الإحسان، والبشارة بالرحمة لأرباب العصيان، فأصحاب الإحسان صلح أمرهم للشهرة فأظهر أمرهم للملك حتى بشّروهم جهرا، وأهل العصيان صلح حالهم للستر فتولّى بشارتهم- من غير واسطة- سرّا.

ويقال إن كانت للمطيع بشارة بالاختصاص فإنّ للعاصى بشارة بالخلاص. وإن كان للمطيع بشارة بالدرجات فإن للعاصى بشارة بالنجاة. (٣)

فالقرآن الكريم بهذا يؤمن عواطف الإنسان من الخوف من الناس و يوجهها إلى الخوف من الله (عز وجل) (١):(**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** (٢)

---

(١)-**ينظر**: الكشاف ، للزمخشري، ٢٤٢/٣.

(٢)-سورة فصلت:٣٠

(٣)-**ينظر**: لطائف الإشارات ،للقشيري، ١٦/٢.

قولـه تعـالى يُخَـوّفُ أَوْلِيَـاءهُ ففيـه سـؤال وهـو أن الـذين سـماهم الله بالشـيطان إنمـا خوفـوا المـؤمنين فمـا معنـى قولـه الشَّـيْطَانُ يُخَـوّفُ أَوْلِيَـاءهُ والمفسـرون ذكـروا فيـه ثلاثـة أوجـه الأول تقـدير الكـلام ذلكـم الشـيطان يخـوفكم بأوليائـه خـوف أوليـاءه المنـافقين ليقعـدوا عـن قتـال المشـركين والمعنـى الشـيطان يخـوف أوليـاءه الـذين يطيعونـه ويـؤثرون أمـره فأمـا أوليـاء الله فـانهم لا يخافونه إذا خوفهم ولا ينقادون لأمره ومراده منهم وهذا قول الحسن. (٣)

ومـن أهـم الـدوافع المعرضـة للانحـراف هـو الـدافع الجنسـي الـذي يجـب أن يحظـى بتربيـة عميقـة ، وقـد وضـح القـرآن الكـريم هـذا الجانـب وهـو (**الجنسـية المثيلـة**) التـي مارسـها قـوم لـوط ، وقـد ظهـر أول مـرة فـي تـاريخ البشرية بين قوم لوط :**(وَلُوطـاً إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ أَتَـأْتُونَ الْفَاحِشَـةَ مَـا سَـبَقَكُم بِهَـا مِـنْ أَحَـدٍ مِّـن الْعَـالَمِينَ ۞ إِنَّكُـمْ لَتَـأْتُونَ الرِّجَـالَ شَـهْوَةً مِّـن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)** (٤).

أتـى المـرأة إذا غشـيها { شَـهْوَةً } مفعـول لـه أي للاشـتهاء لا حامـل لكـم عليـه إلا مجـرد الشـهوة ، ولا ذم أعظـم منـه لأنـه وصـف لهـم بالبهيميـة { مِّـن دُونِ النِّسَـآءِ أي لا مـن النسـاء { بَـلْ أَنـتُمْ قَـوْمٌ مُّسْـرِفُونَ }أضـرب عـن الإنكـار إلـى الإخبـار عـنهم بالحـال التـي توجـب ارتكـاب القبـائح وهـو أنهـم قـوم عـادتهم الإسـراف وتجـاوز الحـدود فـي كـل شـيء فمـن ثـمّ أسـرفوا فـي باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. (٥)

فعلى وجه عام ، فان الإسراف في إشباع الدوافع ، وعجز الإنسان عن ضبطها والتحكم فيها يؤدي إلى انحراف هذه الدوافع عن أهدافها الحقيقية في استمرار

---

(١)-**ينظر**: السلوك :-٨٤.

(٢)-سورة آل عمران الآية :- ١٧٥.

(٣)-**ينظر**: مفاتيح الغيب ، للرازي، ٨٣/٩.

(٤)-سورة الأعراف الآية: ٨١

(٥)-**ينظر**: تفسير النسفي ، للنسفي ، ٥٦/٢.

حياة الفرد و بقائه و تحقيق توافقه . [١] وتقوم العواطف بدورٍ هاماً في تكوين الشخصية إذ أنها تعد مقوماً هاماً من مقومات الشخصية الإنسانية ، والعاطفة استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية كان مثيراً لعدة ميول مختلفة ، ونتج عن تكرر هذه الاستثارة حتى أصبح الفرد مستعداً للإستجابة الانفعالية (على نحوٍ ما) له استجابة تختلف باختلاف الموقف الذي يوجد فيه . فالعاطفة إذن : هي عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه ، مكتسبة بالخبرة و التعليم . والفرق كبير بين العاطفة والانفعال . فبينما يكون الانفعال تجربة عابرة ، إذاً فالعاطفة نزعة مكتسبة تكونت بالتدريج ، بعد أن مرت خلال تجارب وجدانية و أعمال عدة . [٢] وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)** [٣]

قوله: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ} أي: بما جعل في طباعهم من الميل إلى هذه الأشياء {الشَّهَوَاتِ} : جمع شهوة، وهي توقان النفس إلى الشيء ميلا إليه.{وَالْقَنَاطِيرِ} جمع قنطار، وهو المال الكثير و {الْمُقَنْطَرَةِ} قال قتادة: المال الكثير بعضه على بعض. وقوله: {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ} الخيل: جمع لا واحد له من لفظه، كالقوم والنساء والرهط وهو متاع الدنيا والاخرة عند الله خير وأبقى. [٤]

---

(١)-**ينظر**: فلسفة التربية الإسلامية :-١٩٦

(٢)-القرآن و علم النفس :-٦٢.

(٣)-سورة ال عمران الآية:١٤

(٤)-**ينظر**: تفسير الوسيط ، للواحدي:١/٤٨١.

وقوله تعالى :**(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)** (١)

"نُسوة" بضم النون ، وهي قراءة الأعمش والمفضل والسلمي ، والجمع الكثير نساء. ويجوز : وقالت نسوة ، وقال نسوة ، مثل قالت الأعراب وقال الأعراب ؛ وذلك أن القصة انتشرت في أهل مصر فتحدث النساء. قيل : امرأة ساقي العزيز ، وامرأة خبازه ، وامرأة صاحب دوابه ، وامرأة صاحب سجنه. وقيل : امرأة الحاجب ؛ عن ابن عباس وغيره. {تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ} الفتى في كلام العرب الشاب ، والمرأة فتاة. {قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً} قيل : شغفها غلبها، قوله تعالى : {إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} أي في هذا الفعل. وقال قتادة : "فتاها" وهو فتى زوجها ، لأن يوسف كان عندهم في حكم المماليك ، وكان ينفذ أمرها فيه. وقال مقاتل عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال : إن امرأة العزيز استوهبت زوجها يوسف فوهبه لها ، وقال : ما تصنعين به ؟ قالت : أتخذه ولدا ؛ قال : هو لك ؛ فربته حتى أيفع وفي نفسها منه ما في نفسها ، فكانت تتكشف له وتتزين وتدعوه من وجه اللطف فعصمه الله. (٢)

والجانب الوجداني يتمثل بالتوافق بين تطلعات الشخص و عواطفه ، فإذا بلغت عواطف الشخص في أن تأخذ مكانها الطبيعي في الزواج الطاهر العفيف(٣)ولم

---

(١)-سورة يوسف الآية:٣٠.

(٢)-**ينظر**: الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ١٧٥/٩.

(٣)-فإذا بلغ الشباب و الشابات سن الزواج ووقف المال عارضاً دون أن تحقق رغباتهم فيجب أن يبادر إلى الأخذ بوسائل الاستعفاف من الصيام و غض البصر ؛ وتبقى الحاجة ملحة إلى إيجاد الحلول و الوسائل لإنقاذ من يقف المال عارضاً في بناء شخصيته بمنهج تفصيلي يستمد أصله من القرآن الكريم و السنة النبوية.

تجد ذلك ، يعكس على الشخص ما يسميه علماء النفس (التناقض الوجداني) والتذبب العاطفي : oscillation ambivalent وهذا يحصل حين يعجز الفرد من التوصل إلى قرار حاسم بشأن ما هو أخذ نفسه في الانهماك ببحثه فيحدث التردد في مشاعره بين دوافعه الايجابية و السلبية حيال الموضوع ، الذي يشغل به كيانه كله . يترتب على هذا احتدام بين دوافع المرء المختلفة .

وهناك وجوه شتى يظهر فيها التردد و التناقص الوجداني ، ولكن أبرزها وجوه ثلاثة :-

١- التناقص الوجداني ، أو التردد العاطفي في

الإرادة : و الإرادة هنا يمكن إن تكون على إشكال هي :-

أ- إرادة حتم و إمضاء وهي إرادة نفس المخلوق . ولهذا يبقى متردداً بين الإقدام والإحجام .

ب- إرادة تخيير و تمكين وهي إرادة الخالق سبحانه لعباده ولذا عليها يتوقف التوفيق.

٢- وذلك في عدم التوفيق في الاختيار الأفضل والأنسب ،حيث يكون مترددا في ذلك ؛ثم يقرر في ضوء ذلك مايريد.

٣- التناقض الوجداني في المجال العاطفي وفي كيان الفرد كله إذ يشعر بأنه ملزم إلزاماً ذاتياً في المضي ببحث المسألة رغم علمه مدى صعوبتها و إنها شائكة . [١]

ج- الجانب العلمي :-

العلم قيمة ضخمة وهبة عظيمة ، وسر كبير من أسرار تكوين الإنسان ، فقد خلقه الله (عز وجل) وكونه بحيث يتجاوب بعقله و تفكيره مع كل مظاهر الحياة على الأرض ومع كل آيات الله (عز وجل) في الكون ، وبهذا أصبح أهلاً لرسالة الاستخلاف في الأرض يعمرها و يرقى في الحياة على هدى ربه ووفق نهجه وتوجيهه ،وبهذا يصبح العلم عبادة أو فريضة وتصبح دور

---

(١)-**ينظر** :علم النفس القرآني و التهذيب الوجداني:- ١٣٣-١٣٤ .

العلم و المعاهد و المعامل كالمساجد و المحاريب فيصبح التوجه بهذا المفهوم ويستقيم الطريق ،وبياناً لقيمة العلم حكى القرآن الكريم قصة بني إسرائيل الذي بعث الله (عز وجل) لهم طالوت ملكاً فاعترضوا على هذا الاختيار بأنه لم يؤت سعة من المال ، فصحح الله (عز وجل) لهم القيم ودلهم على تفاهة ما يعظمون من مال لا يرفع أنسانا ولا يؤهل لملك :(**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** [1]

قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ أَيِ: اخْتَارَهُ صَفْوَةً، إِذْ هُوَ أَعْلَمُ تَعَالَى بِالْمَصَالِحِ، فَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَى اللَّهِ.

وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ قِيلَ: فِي الْعِلْمِ بِالْحُرُوبِ، وَالظَّاهِرُ عِلْمُ الدِّيَانَاتِ وَالشَّرَائِعِ، وَقِيلَ: قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ ونبىء، وَأَمَّا الْبَسْطَةُ فِي الْجِسْمِ فَقِيلَ: أُرِيدَ بِذَلِكَ مَعَانِي:

الْخَيْرِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَقَهْرِ الْأَعْدَاءِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ: الِامْتِدَادُ، وَالسَّعَةُ فِي الْجِسْمِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ طَالُوتُ يَوْمَئِذٍ أَعْلَمَ رَجُلٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَجْمَلَهُ وَأَتَمَّهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ الْمُفَسِّرِينَ فِي طُولِهِ، وَنَبَّهَ عَلَى اسْتِحْقَاقِ طَالُوتَ لِلْمُلْكِ بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتارُ مَا كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ «١» وَبِمَا أَعْطَاهُ مِنَ السَّعَةِ فِي الْعِلْمِ، وَهُوَ الْوَصْفُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَشْرَفُ مِنْهُ: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ[2]

ورفع قيمة العلم فوق قيمة الملك ، فقد توجه (**داود وسليمان عليهما السلام**) إلى ربهما بالحمد لتفضيلهما على كثير من عباده المؤمنين بنعمة العلم ، ولم

---

(١)–سورة البقرة الآية :– ٢٤٧.

(٢)–**ينظر**: البحر المحيط ، ٥٧٥/٢.

يذكرا ما آتاهما الله من ملك على ما كان عليه من عظمة و اتساع [١] **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)** [٢]

وقد علموا ذلك وَلَقَدْ آتَيْنا يعني أعطينا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً بالقضاء وبكلام الطير وبكلام الدواب وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. [٣]

وقال تعالى :**(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)** [٤]

يقنتُ ساجدًا أحيانًا، وأحيانًا قائمًا، يعني يطيعُ والقنوت عندنا الطاعة، ولذلكَ نصب قوله {سَاجِدًا وَقَائِمًا} لأن معناه: أمَّن هو يقنت آناء الليل ساجدًا طورًا وقائمًا طورًا، فهما حال من قانت).قلت: والآية تشير إلى قيامِ الليل وما فيهِ من طول السجود والصبر على القيام، وفيها استحبابُ ذلكَ وأنه من صفات المؤمنين. [٥]

(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [٦]

يقول الحق جلّ جلاله: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ أي: يخافه مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ لأنهم هم الذين يتفكرون في عجائب مصنوعاته، ودلائل قدرته، فيعرفون

---

(١)- **ينظر** : منهج القرآن في التربية :-٢٧٠-٢٧١.

(٢)-سورة النمل ، الآية :١٥.

(٣)-**ينظر**: مقاتل بن سليمان ، ٢٩٩/٣.

(٤)-سورة الزمر الآية :-٩.

(٥)-**ينظر**: التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ٦٠٠/٦.

(٦)-سورة فاطر الآية :- ٢٨.

عظمتـه وكبريـاءه، وجلالـه وجمالـه، ويتفكـرون فيمـا أعـد الله لمَـن عصـاه مـن العـذاب ومناقشـة الحسـاب، وفيمـا أعـد لمَـن خافـه وأطاعـه مـن الثـواب، وحسـن المـآب، فيـزدادون خشـية، ورهبـة، ومحبـة، ورغبـة فـي طاعتـه، وموجب رضوانه، دون مَن عداهم من الجهّال[١]

معنـى هـذا إن الإفـراد مكلفـون بـالتعليم وهـو يجـب أن يـوفره المجتمـع لأفـراده [٢]فالعلم عبارة عن معرفة مرتبة ، أو مجموعة من القوانين والقواعد التي تحكم ظاهرة ما .وهذه القوانين **(هي بالمصطلح القرآني)** سنن يجب أن تكون من الشمول بحيث لا يمكن تأطيرها في مكان أو زمان محدد إن العلم لا يكون علماً حتى يكون عالمياً وما لم يكن كذلك فهو ظنون أو أوهام [٣] والعلم يجب أن يكون مستند على اليقين :

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً) [٤]

وَإِنَّ الَّـذِينَ اخْتَلَفُـوا فِيـهِ. أي: فـي عيسـى عليـه السـلام، والاخـتلاف فيـه إن كـان أثنـاء القتـل، أو قبلـه، يكـون المختلفـون اليهـود، وإن كـان فيمـا بعـد فـالمختلفون النصـارى. لَفِـي شَـكٍّ مِنْـهُ. أي: لفـي شـك مـن شـأنه وقتلـه. مـا

---

(١)-**ينظـر**: البحـر المديـد فـي تفسـير القـرآن المجيـد، أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد بـن المهـدي بـن عجيبـة الحسـني الأنجـري الفاسـي الصـوفي (ت ١٢٢٤هـ)المحقق: أحمـد عبـد الله القرشـي رسـلان، الـدكتور حسـن عبـاس زكـي – القـاهرة،ط١: ١٤١٩ هـ،٥٣٧/٤.

(٢)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية:- ١ / ٧٧ – ٧٩ .

(٣)- م.ن .

(٤)-سورة النساء الآية :-١٥٧ .

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ. أي: ما لهم بالمسيح من علم قاطع، ولكنهم يتبعون الظن، وأنى يجوز الظن في باب العقائد. وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. (١)

(وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) (٢).

يكون المعنى تحرمون عليكم بعض الأنعام التي ذكر عليها اسم الله عند ذبحها، وأنتم تعلمون ما بينه الله من محرمات أباحها للضرورة، ولم يكن المنع قيها إلا في حال الاختيار، ولا منع فيها في حال الاضطرار.

ويكون التوبيخ على أنهم علموا تحريم الله وأن ما عداه حلال، ومع ذلك حرموا ما حرموا من تلقاء أنفسهم. والمعنى على قراءة البناء للمجهول بضم الفاء والحاء يكون المعنى تحرمون ما تحرمون بغيا، وقد علم بالتفصيل ما حرم عليكم(٣)

ويكون الاهتمام بالجانب العلمي من خلال وسيلتين هما :-

١- وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي .

٢- تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط فهو يبدأ بتفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين ، وإنما قامت على مجرد التقليد و الظن . فينعى على المقلدين الذين يقولون: **(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)** (٤)

---

(١)-**ينظر**: الأساس في التفسير ، سعيد حوى،١٢٢١/٢.

(٢)-سورة الأنعام الآية :-١١٩ .

(٣)-**ينظر**: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، ٢٦٤٦/٥.

(٤)-سورة الزخرف الآية :-٢٣ .

فيه للنذير، وفي قراءة أبي جعفر: أو لو جئتكم للنذر كلهم {بأهدى} أي أمر أعظم في الهداية وأوضح في الدلالة {مما وجدتم} أي أيها المقتدون بالآباء {عليه آباءكم} كما تضمن قولكم أنكم تقتفون في اتباعهم بالآثار في أعظم الأشياء، وهو الدين الذي الخسارة فيه خسارة للنفس وأنتم تخالفونهم في أمر الدنيا إذا وجدتم طريقاً أهدى من التصرف فيها من طريقهم ولو بأمر يسير، ويفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر مما حصل، فيا له من نظر ما أقصره، ومتجر ما أخسره.

ولما كان من المعلوم أن النذر قالوا لهم ما أمروا به؟ فتشوف السامع إلى جوابهم لهم، أجيب بقوله: {قالوا} مؤكدين رداً لما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من أنهم يبادرون النظر في الدليل والرجوع إلى سواء السبيل: {إنا بما أرسلتم به} أي أيها المدعون للإرسال من أي مرسل كان، ولو ثبت ما زعمتموه من الرسالة ولو جئتمونا بما هو أهدى {كافرون} أي ساترون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لأحد ولا يتبعهم فيه مخلوق. (١)

أن يتدبروا نواميس الكون التي تجري بدقة عجيبة ونظام لا يختل .وفوق ما يوحيه ذلك للقلب البشري من تقوى الله (عز وجل) الصانع المدبر والتوجه إليه في كل أمر . (٢)

---

(١)-**ينظر**: نظم الدرر، للبقاعي، ٤١٣/١٧.

(٢)-ينظر منهج التربية الإسلامية:- ١ / ٧٧ – ٧٩ .

المبحث الرابع

خصائص البناء النفسي للشخصية الإسلامية

المطلب الأول :- الشمولية والتكامل .

إن دعوة محمد (**صلى الله عليه وسلم**) ليست دعوة محددة بزمن من الأزمان أو بناحية من نواحي الأرض، وإنما هي دعوة شاملة كاملة ،ما دامت السمٰوات والأرض . وهي النتيجة اللازمة المنطقية لكمال الدين وتمام النعمة ؛ ولا

تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات و النبوات السابقة في طاعتها وإتباعها ،وان تتوقف سلسلة الرسالة والنبوات بالنسبة للمستقبل .وهذان الأمران – نسخ الأديان السابقة وانتهاء سلسلة النبوة – من الخصائص الامتيازية لرسالة محمد **(صلى الله عليه وسلم)** ولذا قد بينها القرآن الكريم ، وفصل فيها القول بأوضح ما يكون من الكلمات . (١)

قال تعالى **(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)** (٢)

مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوه نبوّة محمد (صلى الله عليه وسلم) بالتكذيب ، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق أو الإضاءة . ليطفئه بنفخة ويطمسه) لِيُظْهِرَهُ (ليظهر الرسول عليه السلام) عَلَى الدّينِ كُلّهِ (على أهل الأديان كلهم . أو ليظهر دين الحق على كل دين . فإن قلت : كيف جاز ، أبى الله إلاّ كذا ، ولا يقال : كرهت أو أبغضت إلا زيداً ؟ قلت : قد أجرى (أبى) مجرى (لم يرد) ألا ترى كيف قوبل) يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ (بقوله) وَيَأْبَى اللَّهُ (وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلاّ أن يتمّ نوره. (٣)

وقوله تعالى**(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** (٤)

---

(١)– **ينظر**: الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها :– ١٩٢ – ١٩٣ .

(٢)–التوبة الآية :– ٣٣ .

(٣)– **ينظر**: الكشاف ، للزمخشري، ٢٥٣/٢.

(٤)–سورة المائدة الآية :– ٣

بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم قد نسُوها بالكلية ولم يُخطروها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط وإضافةُ النعمة إلى ضمير الجلالةِ لتشريفها وإيجابِ تخصيصِ شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما أن الإنسان مجبولٌ على حب النعمة فإذا نظرَ إلى ما فاض عليه من النعم حملَه ذلك على الرضا والشُكر قيل أريد بها ما أنعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلُها وعليهم من فنونِ النعمِ التي أجلُّها إدراكُ عصر النبي عليه السلام وقرئ اذَّكِروا من الافتعال ونعمتيْ بإسكان الياء وإسقاطها في الدرْج وهو مذهبُ من لا يحرك الياءَ المكسورَ ما قبلها {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى} بالإيمان والطاعة {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الأولَ مضافٌ إلى الفاعل والثاني إلى المفعول فإنه تعالى عَهِد إليهم بالإيمان والعملِ الصالح. (١)

والقرآن الكريم قدم لنا حقائق أساسية ، من خلال نسيج آياته جميعا – صيغة للنشاط البشري على الأرض تتميز بالتوازن والتداخل والتكامل بين قيم الروح والمادة انطلاقا من تكويننا الآدمي المكون عن(**نفخة الروح**) في (**قبضة التراب**) وحدثنا من خلال حشود سوره ومقاطعه عن تجربة المسلم ،فرداً وجماعة ،وتلك التي لن تأخذ مسارها الصحيح المنسجم مع موقف الاستخلاف في الأرض ،إلا بموازنة متطلباتها الروحية والمادية على السواء وعن القيمة الكبيرة المتجسدة في مطلبي الروح و المادة . (٢)

ففي معظم التجارب الدينية التي جنحت باتجاه الروح ،ونظرت إلى المسألة الجسدية أو المادية نظرة احتقار و استعلاء و ازدراء . فان معنى هذا إن أي خلل في هذا التوازن الذي يؤكده القرآن الكريم ، و يدعو أليه كشرط أساسي للإستخلاف سيؤول بالضرورة – إلى تفكك و انحلال الفرد و الجماعة و تمزقها

---

(١)– **ينظر**: تفسير ابي السعود،٩٤/١.

(٢)– **ينظر**: التفسير الإسلامي للتاريخ :-٢٩٤

و تشتتها بهذا الاتجاه أو ذاك الأمر الذي يقود ولا ريب إلى تأزم في الفاعلية البشرية و بالتالي إلى تدهور معطياتها الحضارية ، مما يعرض (**الجماعة**) لإنتكاسة قاسية قد تأتي عليها من القواعد فيخر عليها سقفها [١]

بعد هذه المقدمة نشرع في بيان مضامين هذا المطلب :-

١- **شمولية الدوائر الأفقية للنفس**:- ويتلخص نشاط النفس البشرية في ثلاث دوائر رئيسية هي المعرفة والوجدان و السلوك ، و الشخصية السوية يجب إن يتوازن فيها و يتناغم نشاط تلك الدوائر الثلاث. [٢]

و السلوك هو المسمى العام الذي نراه ماثلاً في نشاط الإنسان لكنه موجه بموثرات منها داخلية ومنها موثرات خارجية ، وكلها تسمح بتحديد ضروب من السلوك الذي يتمثل على مسرح النشاط الفردي الذاتي للمرء. [٣]

وقد عنى القرآن الكريم بهذه الدوائر الأفقية للنفس وقد تناولنا هذه المعطيات الثلاثة في ما مضى من هذا البحث . [٤]

٢- **شمولية المستويات الرأسية** (**التصاعدية**) **للنفس**:-

وهي المستوى الجسدي للنفس ، ثم المستوى العقلي ، ثم المستوى القلبي وأخيراً المستوى الروحي . أما أنواع الاضطرابات الجسمية الناتجة عن الاضطرابات العاطفية و النفسية متعددة و الأعراض التي يشكو منها المرضى كثيرة في تنوعها و في الأعضاء الجسمية التي ترتبط بها[٥] أما المستوى الجسدي ، الذي يرتبط بالاضطرابات العاطفية ، فقد عالجه شمولية المنهج

---

(١)- **ينظر**: المصدر السابق :-٢٩٤

(٢)- **ينظر**: المصدر نفسه :-٢٩٤

(٣)- **ينظر**: علم النفس القرآني و التهذيب الوجداني :-٢٢٩

(٤)-**ينظر**: م.ن :- ٣٨٠.

(٥)-سورة المائدة الآية :- ٣

القرآني فقد وضع القرآن الكريم الفرد في حالة عاطفية متوازنة لا تلقي به في ويلات الأمراض الجسدية . [١]

وقد راعى المستوى العقلي و القلبي و المستوى الروحي . الذي هو النظام التعبدي الذي يحدد طبيعة الصلة بين الإنسان و ربه ، و يحدد الوسائل العملية التي يسلكها الإنسان ، ليسمو بالروح في مدراج الكمال ، فالنفس البشرية خليفة الله (عز وجل) في الأرض فقد فوض أليها أمر التصرف و المسؤوليات في الحياة ، فالنفس بموهبتها و قدرتها تسخر الجسد ، وان الحياة ليست دار ألم أوتعذيب للنفس ، وإنما هي ميدان للعمل و الكفاح . وقد نفث الله (عز وجل) الروح في الجسد فبث فيه الحياة ، و خلق فيه النفس بما تملك من طاقات و دوافع للسلوك الإنساني ، لتقوم بواجب الخلافة الربانية ، و مسؤولية العمل الدائم المتواصل . فالجسد خادم والحياة مسرح الأعمال والناس – كل الناس– مسؤولون و ممتحنون فيها [٢]

٣- **شمولية الزمان** :- وهو الوعي الممتد من الماضي إلى اللحظة الراهنة . فالقرآن الكريم يعرض فكرة المداولة كفعل مستمر يستهدف تمحيص الجماعات البشرية ، و إثارة الفكر الدائم بينها ، الأمر الذي يتولد عنه تحريك الفعل التاريخي ، وإيجاد التحديات المستمرة أمام المنتمين إلى هذا المذهب أو ذاك ؛ حيث انه لا يفرزها تشاؤماً و حزناً كما هو الحال في بعض المواقف التفسيرية الوضعية ، ولا يعرضها عبثاً بدون جدوى كما هو الحال في مواقف أخرى ولا يقدمها كحتمية قاهرة يتحول الناس إزاءها إلى عبيد مسلوبي الإرادة ، و العقل الحر والاختيار المسبق.ولكن يطرحها للاستفادة من شمولية الزمان ،وفهم المتغيرات على ضوء الثوابت .

إن (**المداولة**) توصي بالحركة الدائمة ، و بالتجدد و بالأمل ، و تقرر إن الأيام ليست ملكاً لأحد ومن ثم لا داعي لليأس و الهزيمة ، فمن هم في القمة

---

(١)–سورة المائدة الآية :– ٣

(٢)–**ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان و الحياة :–١٠٨

الآن ستنزل بهم حركة الزمان إلى الحضيض ، ومن هم في القاع ستصعد بهم الحركة نفسها ، إن شمولية الزمان تحمل كافة الجوانب في حركة العالم المستمرة و تمخض الصراع الفعال،و ديمومة الأمل البشري الذي يؤكد على مداولة الأيام. (١)

قال تعالى (**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)** (٢)

قيل : هذا في الحرب ، تكون مرة للمؤمنين لينصر الله عز وجل دينه ، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم ؛ فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون. وقيل : {نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر. (٣)

٤- **شمولية المكان** :- وهو الوعي الممتد من البيت إلى المسجد إلى المدرسة إلى العمل إلى المجتمع إلى العالم إلى الكون المرئي و غير المرئي إلى عالم الملكوت .

فإن للمكان أهمية و ضرورة في تشكيل الإنسان المسلم ، و تنميته اجتماعيا ، و جعله إنساناً عابداً لله (عز وجل) ، عن طريق غرس الفضائل الاجتماعية فيه ، ففي البيت هو الشخص المسلم الذي قد نمى فكره تنمية شاملة ليكون صالحاً مع أسرته و أهله ثم يغذي هذا الشمول في المسجد ثم في العمل ثم في ثنايا المجتمع ، و شموله للكون الرائع البديع ، فهذا التصور و الشمول يصبح المجتمع الإسلامي بابه مفتوحاً لا يغلق مدى الدهر ، وكل من دخله و آمن بفكره و خُلقه وتصوره فهو أخ لجميع المؤمنين ، نحب له ما نحب لأنفسنا ، فالبيت هو الأسرة فهي أهم مؤسسة في المجتمع البشري ، فيها يتم التقاء

---

(١)-**ينظر**: م.ن١٠٨

(٢)-سورة آل عمران ، الآية :١٤٠.

(٣)- **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،٤/٢١٨.

الزوجين ، و إنجاب الأطفال ، و تربيتهم الأولى وفيها يعيش الأخوة و الأخوات مع بعضهم ، ومع أبويهم ويتلقيان التربية و الخلق عنهم وتتبلور شخصيتهم لحد بعيد بجو الأسرة وخاصة في نشأتهم الأولى . [١]

فشمولية المكان لها الأثر البالغ و العميق في بلورة شخصية الفرد المسلم بما يحققه من خلال هذه الأماكن وفي فهم التعامل مع هذه المعطيات قرآنياً ، فلكل من البيت و المدرسة و المسجد والعمل كلها مفاهيم قرآنية لها أولويات في التعامل فصلها القرآن الكريم و أطال الوقوف عندها فلنتوجه بقلوبنا و أرواحنا صوب القرآن الكريم مع كل فقرة من هذه الفقرات حتى يكون لكل واحد منا ذلك المسلم الذي يشار إليك بالبنان . فقال عن مكان البيت عندما يصبح مكان للوعظ**(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)** [٢]

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاة} أُمر صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أهلَ بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أُمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خَصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفتَ أربابِ الثروة {واصطبر عَلَيْهَا} وثابرْ عليها غيرَ غيرَ مشتغلٍ بأمر المعاش {لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً} أي لا نكلّفك أن ترزُقَ نفسَك ولا أهلَك {نَّحْنُ نَرْزُقُكَ} وإياهم ففرِّغْ بالَك بأمر الآخرة {والعاقبة} الحميدةُ {للتقوى} أي لأهل التقوى على حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مُقامَه تنبيهاً على أن مَلاك الأمرِ هو التقوى. [٣]

---

(١)-سورة ال عمران الآية :-١٤٠، **وينظر**: التفسير الإسلامي للتاريخ :-٢٥٩.

(٢)-سورة آل طه الآية :- ١٣٢.

(٣)- **ينظر**: تفسير أبي السعود ،٥١/٦.

وأهل العلم هم المدارس فهو المكان الذي يجب إن يهتم به**(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)** [1]

أما المساجد في النور والمكان الذي يخرج رجال من طراز خاص **(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)** [2]

ولما كان كأنه قيل : فأي شيء يكون هذه المشكاة ؟ قال شافياً على هذا السؤال : (في بيوت) أي في جدران بيوت ، فجمع دلالة على أن المراد بالمشكاة الجنس لا الواحد ، وفي وحدتها ووحدة آلات النور إشارة غلى عزته جداً) أذن الله) أي مكن بجلاله فأباح وندب وأوجب) أن ترفع (حساً في البناء ، ومعنى بإخلاصها للعمل الصالح ، من كل رافع أذن له سبحانه في ذلك ، فعلى المرء إذا دخلها أن يتحصن من العدو بما رواه أبو دواد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه كان إذا دخل المسجد قال : (أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم) قال عقبة بن مسلم : فإذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سائر يوم . [3]

فالسورة سورة النور والمكان كله نور ومن يتخرج منه يحمل لواء النور **(وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)** [4]

المطلب الثاني :- شمولية صنوف المعرفة النقلية و العقلية و القلبية

.

---

(١)-سورة طه الآية:-١٣٢، ينظر فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم :-٢١٧،و مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان و الحياة :-١٨٥-١٨٦.

(٢)-سورة النور، الآية :٣٦، **وينظر**: التفسير الإسلامي للتاريخ :- ١٠٦.

(٣)- **ينظر**: نظم الدرر، للبقاعي ،٢٢٦/٥.

(٤)- سورة النور من الآية :٤٠.

يبين لنا القرآن الكريم ، و يحثنا إلى المطالعة الجادة الذكية الواعية المتلزمة لإثارة الفكر البشري ودفعهُ إلى التساؤل الدائم و البحث الدائب عن الحق ، و تقديم خلاصات التجارب البشرية ، عِبَراً يسير على هديها أولو الألباب حيث أزاح ستار الغفلة و النسيان في نفس الإنسان ، وصقل ذاكرته وقدرته على المقاومة لكي تظل في مقدمة قواه الفعالة التي هو بأمس الحاجة إلى تفجير طاقاتها دوماً ، وهو يواصل الكفاح في عالم يرفض الذين يعانون الغفلة و الكسل الذهني و التواكل واليأس والنسيان و تقديم الدليل على علم الله (عز و جل) الواسع الذي أحاط بحركة التاريخ ماضياً وحاضراً و مستقبلاً ؛ ثم تأكيد البرهان على الحق الواحد الذي جاء به الأنبياء السابقون جميعاً وسعوا إلى أن يقودوا أممهم إلى مصدره الواحد الذي لا إله إلا هو [1]
قال تعالى **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** [2].
بعد هذه المقدمة سنتناول ما يتضمنه هذا المطلب :

١- الجانب الأخلاقي :-

فقد شمل القرآن الكريم هذا الجانب بالأخلاق المطلقة التي مصدرها الأساسي هو الدين ، وهي تتميز بالثبات و الأصالة ، ولقد جسد هذه الأخلاق المسلمون الأوائل ، حيث كانت أخلاقهم إسلامية مطلقة داخل حدود وطنهم و خارجه ، وكانت هذه الأخلاق هي مفتاح قلوب البشر في كل مكان خاصة ، وان البلاد التي فتحها المسلون كانت تعاني من الظلم و الخداع و سوء الأخلاق من حكامها ، فإذا دخل عليهم المسلمون فاتحين وجدوا فيهم العدل و الإنصاف و حسن الخلق . فعلى المسلم أن يعيد إلى وعيه بأن الخُلُق الحَسن ، هو مفتاح القلوب و رسول السلام إلى البشر جميعاً ، فإننا نقر سنة كونية صرح بها الله (عز وجل) في كتابه الكريم مادحاً و موجهاً لرسوله الحبيب محمد (**صلى**

---

(١)- التفسير الإسلامي للتاريخ :- ١٠٦.
(٢)-سورة طه الآية :١٣٢

الله عليه و سلم)، ولكل من يحمل رسالة الخير للناس من بعده (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)** [١]،فبرحمة من الله {لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} أي والله طهره من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما رؤوفا بالمؤمنين ، وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزى ء بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح. [٢]

ولقد أولى القرآن الكريم لحسن الخلق الإنساني أهمية كبيرة ، و قرر ما يأتي:-

١- أن حسُن الخَلق مصداق الإيمان ، بل كماله وهو ميزان التفاضل و التمايز بين المؤمنين .

٢- وهو أثقل ما في الميزان يوم الحساب . [٣]

٣- وهو وسيلة حب (الله عز و جل) لنا .

٤- وهو سبب قربنا يوم القيامة من الرسول الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وان الخلق الإسلامي – السلوك – إنما هو تعامل مع جميع الناس بمستوى قائم على تكريم الجنس البشري و احترامه من دون تمييز والتكريم قائم مستمد أصله من الله (عز و جل) . [٤]

٢- الذوق و الجمال :-

صفات الذوق الرفيع و الجمال في بناء المسلم ليست صفات كمالية أو ثانوية ، وإنما هي صفات أساسية مرتبطة بالإيمان حيث إن الله (عز و جل) الذي نؤمن

---

(١)-سورة آل عمران الآية :١٥٩.

(٢)- **ينظر**: نظم الدرر، للبقاعي ،٢٢٦/٥.

(٣)-**ينظر**: الدر المنثور في التفسير بالماثور،٨٧/٤.

(٤)-**ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان و الحياة :-١٥٦-١٥٧.

بـه يتحلـى بصفات جـلال و صفات جمـال ، وهذه الصفات حين تنشر ظلالها على حياة المؤمن بها ، فلا بد وأن تكون النتيجة على مستوى عالٍ من الذوق و الجمال .

و المتأمل لمخلوقات الله جميعاً يلحظ من أول وهلة صفات الجمال و الإبداع الراقي فلا يصح بعد ذلك إن يكون المؤمن بمظهره و سلوكه خارقاً لقانون الجمال الرباني بل مؤيداً له و مظهراً إياه ومقتدياً بالرسول الحبيب محمد **(صلى الله عليه و سلم)** في ذلك .

وتأتي أهمية التربية الجمالية في الإسلام ، من أن الكون حولنا ، ملئ بالأسرار؛ ملئ بآيات الجمال، و القرآن الكريم يلفت النظر و يشد الأذهان دائماً و معها القلوب إلى هذا الجمال في كثير من آياته المبثوثة في القرآن الكريم بثاً ، ويعيش معها المسلم الذي يحرك فيه القرآن الكريم كل قواه وفاعلي اته الذاتية و إمكانياته . (١)

ويسير بهذه الإمكانيات الحسية و العاطفية و الخيالية ، والعقلية والانفعالية والروحية ، ويسير بها صوب استجابة مكثفة قوية ، إزاء كل ما يحركها و يهزها و يدفعها إلى مزيد من الحياة .

ففي قوله تعالى:(**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)** (٢)

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري (يعني السفن التي) في البحر بما ينفع الناس (في معايشهم ،) وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به (يعني بالماء) الأرض بعد موتها (يبسها ،) وبث فيها (يعني

---

(١)-**ينظر** :في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل :-٣٠،ط ١٣٩٤هـ - ١٩٧٢- مؤسسة الرسالة .

(٢)-سورة البقرة الآية :- ١٦٤.

وبسط من كل دابة وتصريف الرياح (في العذاب والرحمة ،) والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) ، فيما ذكر من صنعه فيوحدوه. (١)

فهذا مشهد كوني رائع ، يتجلى على حواس المسلم و يحس به ، فيدرك فيه آيات الجمال ، حتى إنها دعوة للنفس و الروح في تذوق روعة الجمال في الكون من خلق الليل والنهار والبحار ، وهو مسخر لخدمة الإنسان أسير ذلك الجمال الرائع (٢).

٣- الوسطية و الاعتدال :

امتازت الأمة الإسلامية بخصائص ميزتها عن الأمم و الرسالات السابقة مما جعل الدين الإسلامي ديناً عالمياً خاطب البشرية كلها أن تلتزم تعاليمه ، و تطبيقه منهج حياة متكامل معتدل لا إفراط ولا تفريط ، ولا طغيان جانب على حساب جانب آخر وهذا ما أراده الله (عز وجل) لهذه الأمة فكانت وسطاً بين الأمم في شريعتها و عبادتها و أخلاقها و عقيدتها ، وإذا أردنا أن نعبر عن الصحة النفسية لشخص ما باستخدام كلمة واحدة فإننا لا نجد أفضل من كلمة (**التوازن**) وهو في اللغة الدينية الشائعة يعني (**الوسط العدل**) ولذلك يجب أن تتميز الشخصية الإسلامية في العصر الحديث بعدم الغلو أو التطرف ، ولا يعني الوسط التميع و الوقوف في وسط الطريق وإنما يعني الاعتدال في كل شيء . قال تعالى :(**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**) (٣)

---

(١)-**ينظر** تفسير مقاتل بن سليمان :١/٩٠ .

(٢)-**ينظر**: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم :- ٢٠١-٢١٠.

(٣)-سورة البقرة ، الآية :-١٤٣

فالشخصية الوسطية هنا تكون أشبه بالميزان الذي يوزن به الناس ، أو أشبه بوحدة القياس التي يقاس بها السلوك البشري ، فيوصف باعتداله أو جنوحه [١]

ويتمثل هذا التوازن فيما يلي :

١- الجمع بين خصائص و جوانب الإنسان كلها ، و التوسط فيها .

٢- التوسيط في تناول الفرد و المجتمع، فلا تطغى الفردية، ولا يطغي المجتمع .

٣- التوسط في إعداد الإنسان ، بين الماضي و الحاضر و المستقبل فهي لا تهمل احدها على حساب الأخر ، مثلما تفعل الفلسفات الأخرى ، ولكن هذا الوسط ليس الوسط الذهني ، الذي نادى به أفلاطون، وإنما هو الوسط النابع من القرآن الكريم المقام على قاعدة طويلة عريضة عميقة ، هي الإيمان بإله واحد يحكم هذا العالم بقوانين ثابتة ، لا تتغير، ويتساوى أمامه الجميع . [٢]

٤-إحترام البعد الزمني (المسارعة و المسابقة) .

لقد فرضت تقنيات الحضارة الحديثة إيقاعا سريعا للزمن و للتطور ، ولهذا لم يعد مقبولاً ولا محتملاً أن يمارس المسلم التثاؤب التاريخي على المقاهي ، أو أمام شاشات التلفزيون ، أو في ثرثرة فارغة ، بل أصبح لزاماً عليه احترام قيمة الوقت لتعويض ما فات و لتحصيل ما هو آت وأن لم يفعل ذلك فسوف يتجاوزه التاريخ ،إن الوعي الجاد بالزمن هو احد مقومات البناء النفسي للمسلم ؛ وكما

---

(١)-ينظر: فلسفة التربية الإسلامية :- ٢٩٩-٣٠٠ ، ومن التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون ، أنور الجندي :- ١٣٩ ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧

(٢)-**ينظر**: الإسلام والمذاهب الحديثة ، فتحي رضوان:- ٧٥ ط١ ١٩٧٧

يفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فانه في الوقت ذاته يكره الفراغ . [١]

أن الفراغ مفسد للنفس أفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لملئ والفراغ ، ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملئ الفراغ . والإسلام حريص على (شغل) الإنسان شغلاً كاملاً منذ يقظته إلى منامه ، بحيث لا يجد الفراغ الذي يشكو منه ، فهو متصل مع خالقه (عز وجل) منذ الصباح إلى العشاء في أداء صلاتهِ، فضلاً عن ممارسة عباداته الأخرى [٢].

٥- الترقي في مستويات الدين و الحياة :-

وهذا أساس هام في إنضاج نظرية الفقه الحركي في العمل الإسلامي الجماعي فيجب على الدعاة الترقي في مستويات الدين والحياة ، وان يربى الدعاة على معايشة عصرهم على تربية ميدانية ويجب أن توسع آفاق الدعاة من بداية الإعداد ويعودوا حمل هم الأمة الإسلامية جمعاء ، وان يعودوا قراءة ما بين السطور و الغور وراء أعماق الأحداث ، وأن تكشف لهم أباطيل الأساليب الإعلامية المزيفة التي تقلب الحقائق و تصنع من الأقزام عمالقة ، ومن الهزائم نصراً ، ومن الخونة أمناء بالإضافة إلى انه يجب إن تفتح إبصار الدعاة إلى هذه المعاني بشكل يومي و مستمر حتى يستطيعوا معرفة الواقع و التأثير فيه و ليحسنوا مخاطبته بالأسلوب الناجح و المناسب و الذي يصور الحقيقة عارية من كل غبش أو لبس [٣]. أما الإنزواء في مكتبة تراثية أو عصرية والانطواء على النفس و التقوقع بين مجموعة من الأتباع الذين لا يجيدون إلا المدح و الثناء على كل كلمة تقال أمامهم . أما هذا فهو قتل للمواهب و قهر الإبداع ،

---

(١)-**ينظر** : منهج التربية الإسلامية :-١/٢٠٦.

(٢)-**ينظر**: الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر :- ٢٤١

(٣)-م.ن :١٤٣.

و التقهقر في دركات الحياة ، و التربية الخاطئة تعمق الجهل و الغرور و تفسد الصغار قبل الكبار . [١]

والترقي هو احد المظاهر المهمة للصحة النفسية ، وهو سعي الشخص (**وسعي الأمة**) الدائم نحو الترقي ، ولا يحدث هذا إلا بتراكم الخبرات و استيعابها في منظومات قابلة للإضافة و النمو بشكل دائم . [٢]

٦- الإبداع :

حين نستعرض العلوم الحديثة (**المادية بشكل خاص**) نلاحظ غياب الأسماء والإسهامات العربية و الإسلامية ، ألا ما ندر وحتى إذا وجدنا إسهامات فهي في الغالب مستندة او متطفلة على الإسهامات ، و الأسماء الغربية و محتمية بها و باحثة عن مصداقيتها من خلال الاستدلال بها . [٣]

ولو توقف الأمر عند العلوم المادية الحديثة لهان الأمر بعض الشيء فالغربيون قد أعطوا الدنيا و المادة كل اهتماماتهم ، ولا غرابة أذا برعوا فيها ، ولكن الأمر تجاوز الحد حتى وصل إلى تفوقهم و تقهقرنا وإبداعهم المستمر و تطفلنا المستمر في مجال العلوم الإنسانية التي كان من المفروض أن يتفوق فيها العرب و المسلمون نظراً لما لديهم من كنوز دينية و تاريخية تثري هذا المجال، كأعلى ما يكون الثراء . [٤].

مما يجعلنا نتساءل : ما الذي أدى بنا إلى هذا الوضع ؟

هل نحن نوع خاص من البشر لا يملك قدرات إبداعية ، ولذلك ليس أمامنا إلا التطفل على إبداع غيرنا ، بالطبع هذا القول غير صحيح من الناحية العلمية و الواقعية ، حيث إنّ الإبداع طاقة فطرية موجودة في كل الشعوب و الأجناس كلها تحتاج إلى وسط مناسب يفرح بكل إبداع ويرعاه و يتبناه و ينميه حتى

---

(١)- **ينظر**: الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر : ٢٤١.

(٢)- م.ن :٢٤١.

(٣)- المصدر نفسه :٢٤١.

(٤)- المصدر نفسه :٢٤١.

يحدث التراكم الإبداعي الذي يجدد الحياة ، ويجعل لها معنى و مذاق متجدد . (١)

إذن فلنبحث عن الظروف التي كبتت الإبداع و أحبطته في مجتمعاتنا العربية و نوجزها فيما يأتي :-

١- الخلط بين مفهوم الإبداع و الابتداع مما جعل الناس بشكل مباشر ، أو غير مباشر ينفرون من الإبداع خوفاً من الوقوع في الابتداع .

٢- إعلاء قيمة الأتباع و الانقياد لما هو سائد على قيمة الإبداع .

٣- طريقة التربية والتي تعلي من قيمة الطاقة العمياء ، و الانقياد لإرادة و خيارات الكبار وتعطيل إرادة و خيارات الصغار .

٤- تقديس السابقين و تحقير اللاحقين . (٢)

٥- عدم الاحتفاء بالجديد بل النظر أليه بخوف و ارتياب ومعاملة من أتى به معاملة المارقين الخارجين عن الإجماع . (٣)

٦- المناخ العام في المدارس و الجامعات :- يسود في كثير من مدارسنا و جامعاتنا و معاهد أبحاثنا مناخ عام ينفر و يفزع (**بشكل معلن أو غير معلن**) من نبضات الإبداع الجريئة وينبذ صاحب هذه النبضات في اقرب فرصة ممكنة (٤)

٧- ولا يسمح إلا بإحتضان المسالمين (و المستسلمين) و المنقادين لخط التقليد (و التطفل) العلمي السائد طلباً للسلامة و الاستقرار العلمي الزائف .

٨- غياب الحرية ، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي .

---

(١)- **ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر:٥٠

(٢)-المصدر نفسه :٥٠

(٣)-المصدر نفسه :٥٠

(٤)-**ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر:٢٠

٩- فالإبداع لا ينمو إلا في مناخ حر يسمح بتعددية الرؤى و الاجتهادات و الممارسات ، أما في المناخ الاستبدادي حيث أحادية الرؤية والاتجاه و الممارسة ، فان الإبداع يموت ، أو يتوارى خشية الاتهام بالمروق و العصيان و التأمر .

١٠- الاحباط و ضيق الصدر فالمبدع يحتاج ان يكون منشرح الصدر ويشعر بالأمان والاطمئنان . [١]

١١- إنفاق الأموال على المسائل التافهة وعدم صرف المبالغ اللازمة للأبحاث.

٢١- عدم رعاية الأذكياء والاهتمام بهم وتقديم الدعم لهم ليساهموا في رفعة المجتمع. [٢]

٧- الانطلاقة الكونية :-

إذا كان وعي الشخصية الإسلامية وعياً كونياً يشمل النفس و الأرض و السماوات يشمل عالم الشهادة ، وعالم الشهود يشمل الماضي و الحاضر و المستقبل ، فإننا نتوقع أن تكون لهذه الشخصية انطلاقة كونية ترتاد كل هذه الأفاق بكل الوسائل المتاحة لها مثل التخيل و التفكير والاكتشاف ، و ارتياد كل دوائر المجهول التي تسمح ملكات الإنسان و أدوات التكنولوجية المتراكمة بارتيادها . [٣] و للأسف الشديد لم تحدث هذه الانطلاقة من المسلمين المعاصرين ، وإنما حدثت من غيرهم حين وعوا هذا المعنى فتخيلوا ، أو تفكروا وساروا في الأرض و غاصوا في النفوس وفي البحار، وتوغلوا في الغابات ، وطاروا في الفضاء ولكنهم فعلوا ذلك استعلاءً أواستغلالا و سيطرة فافسدوا كثيراً من سعيهم وجعلوه نقمة على البشر و مهدداً بالفناء ، وقد آن الأوان للشخصية الإسلامية أن تستعيد وعيها الكوني ، و تستعيد انطلاقتها الكونية الممزوجة

---

(١)-المصدر نفسه :٢٠.

(٢)-المصدر نفسه :٢٠

(٣)-**ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر:٢٠

بالنزاعات الإيمانية و النزعات الإنسانية التي تجعل هذه الانطلاقة لخير البشر .[١]

وقد آن الأوان أن تعود إلى الوعي بالآيات الكونية التي تحض على التأمل و النظر المسير(**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [٢]

قُلْ سِيرُوا حكاية خطاب من الله تعالى لابراهيم عليه السّلام بتقدير القول يعنى قلنا لابراهيم قل سيروا او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

على اختلاف الأجناس والأحوال ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ كان القياس ان يقول (فانظروا كيف بدا الله الخلق ثمّ ينشئ النّشاة الآخرة) فغيره على هذا النمط لان المقصود اثبات جواز الاعادة- فلمّا قررهم فى الإبداء بانه من الله احتج بان الاعادة مثل الإبداء فمن كان قادرا على الإبداء لا يعجزه الاعادة فكانه قال ثم الذي أنشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النّشاة الاخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز الله اسمه وأوقعه مبتدا- قال بعض المحققين ثمّ ينشئ النّشاة الآخرة معطوف على محذوف مفهوم ممّا سبق تقديره قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ فقد أنشأ الله النشاة الاولى ثم الله الذي أنشأ النشاة الاولى ينشئ النشاة الاخرة. [٣]

ويعرف الإنسان من خلال التأمل في الكون المسخر له لاستغلاله و الوصول من ذلك إلى عبادة الله حقاً ، و استغلال قوى هذا الكون ، في سبيل العبادة . [٤]

---

(١)-المصدر السابق :٢٠.

(٢)-سورة العنكبوت ، الآية ٢٠.

(٣)- **ينظر**: التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان،ط١ ،١٤١٢ هـ، ١٩٧/٧.

(٤)-**ينظر**: الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر :- ٢٤١

٨- المرابطة :-

هي الحفاظ على الفكرة المركزية الإسلامية « السعي نحو الله (عز و جل) » وذلك عن طريق :-

١- إخلاص النية لله وحده (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) (١)

٢- صرف الاهتمام عن ما لا يفيد (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) (٢)

٣- معاودة الرجوع إلى الفكرة المركزية كلما ابتعد عنها (مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في أخيته يجول ثم يرجع إلى أخيته ، وان المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ، فاطعموا طعامكم الأتقياء وولوا معروفكم المؤمنين). (٣)

أخيته :أي مكانه الذي انطلق منه.

فالمرابطة أساسها حب الله (عز و جل) ، و الخوف من عذاب الله (عز وجل) ، الأمل في رحمته ، مع حب الناس وحب الخير لهم ، كظم الغيظ و التحكم في انفعال الغضب ، وعدم الاعتداء على الآخرين و عدم إيذائهم و عدم حسد الغير ، وعدم العجب بالنفس ، و الرحمة ، و لوم النفس والشعور بالندم في حالة ارتكاب ذنب ما . (٤)

٩- العلاقة بالآخر : **ويتحدد ذلك** :-

١- إذا كان ذلك الآخر من أهل الحرب ، فالعلاقة به تتحدد بقوله تعالى:(**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ**

---

(١)-أخرجه البخاري:- ٢/١ ، و مسلم :- ٤٨/٦

(٢)-أخرجه أحمد في المسند :- ٣٥٢/٢

(٣)-أخرجه أحمد في المسند :- ١٧٢/١

(٤)- **ينظر** :القرآن و علم النفس :-٢١٥ .

فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [١] .أما إذا كان الآخر من أهل السلام ، فالعلاقة به تتحدد بقوله تعالى: **(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** [٢]

«أَنْ تَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ وَتَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَكَّةَ وَلَمْ يُهَاجِرُوا»[٣]

٢- النزعة الإنسانية : احترام الإنسان أيا كان لونه أو جنسه أو عقيدته على حسب الضوابط الشرعية، و القدرة على التعايش والتواصل و تبادل المنافع بعيداً عن القبيلة .

٣- عالمية الخطاب الديني ، وتخطيه للحواجز الثقافية و الحزبية والطائفية من خلال شخصية عالمية منفتحة و متقبلة و متسامحة . [٤]

فيجب أن تكون العلاقة بالآخر علاقة محبة ووئام وصدق متبادل . [٥]

إن البناء النفسي للمسلم بالخطوات والخصائص التي ذكرناها يكون ضرورة إنقاذ ليس للعالم الإسلامي وحده ،وإنما للإنسانية كلها ،فهذا النموذج الذي تحدثنا عنه حين يتحقق في عالمنا المعاصر ،فانه يصبح بمثابة سفينة نوح في زمان الطوفان .

والبشرية تقترب من مواجهة طوفان هائل يكاد يعصف بالمنجزات الحضارية المتراكمة ، عبر العصور ومظاهر هذا الطوفان تتلخص في الآتي :-

---

(١)-سورة الأنفال الآية :- ٦٠.

(٢)-سورة الممتحنة ، الآية :٨.

(٣)- **ينظر**: تفسير مجاهد، ٦٥٥/١.

(٤)-**ينظر**: الفقه الحركي للعمل الإسلامي المعاصر :-٤٤٧-٤٤٨، والبناء النفسي للمسلم المعاصر :- ١٥-١٤.

(٥)- **ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر:٢٠

١- حربان عالميتان يموت في الأولى ٢٠ مليون ، وفي الثانية ٤٥مليون نسمة اغلبهم من المدنيين .

٢- السباق المحموم نحو التسلح بأسلحة الدمار الشامل .

٣- الهيمنة الأمريكية على العالم و ممارسة الاستعلاء و السيطرة بشكل مستفز لكل المشاعر.

٤- اغتيال الشرعية الدولية بواسطة الدول المهيمنة (كما حدث في أفغانستان و فلسطين والعراق) وسيادة شريعة الغاب .

٥- الخلل الاقتصادي المتمثل في زيادة مساحة الفقر في اغلب دول العالم وزيادة الغنى الفاحش في عدد قليل من الدول الغربية التي تمارس الاستغلال و السيطرة

٦- التحلل الأخلاقي .

٧- انتشار الإدمان بشكل خطير ، و فشل كل المحاولات للسيطرة عليه

٨- ضعف الجوانب الدينية و الروحية أو تشوهها .

كل هذه العوامل تنذر بالطوفان ، ولذلك اصبح العالم بحاجة إلى نموذج إنساني يتحلى بمنهج رباني رحب و متسامح و عادل لكي يحافظ على ايجابيات الحضارة القائمة من عبث المجرمين بالقوة و السيطرة و الاستعلاء ، و يرسي قواعد الرحمة و التعايش سعياً لوجه الله (عز وجل). [١]

و البناء النفسي للشخصية الإسلامية متجسد في معرفة حيل الشيطان ومكائده من الباطل والآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة ،التي هي ضحالة الأذهان والحيرة التي تقذف في القلوب المظلمة ؛فهذه القلوب قد تقاذفت بها أمواج الشبهات فهم في حيرتهم يترددون ،نبذوا كتاب الله (عزوجل) وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل كثيرا وضلوا عن سواء السبيل قال

---

(١)- **ينظر**: البناء النفسي للمسلم المعاصر:٢٠

تعالى **(وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)** [1] .

ولما قامت الأدلة على بطلان قول اليهود ثم على بطلان مدعى النصارى ، ولم يبق لأحد علة ، أمره (صلى الله عليه وسلم) أ ، ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل في أمر عيسى عليه السلام : اليهود بإنزاله عن رتبته لانصارة برفعه عنها بقوله تعالى : (قل ياأهل الكتاب) أي عامة) لا تغلوا) أي تجاوزوا الحد علواً ولا نزولاً) في دينكم (ولما كان الغلو ربما أطلق على شدة الفحص عن الحقائق واستنباط الخفي من الأحكام والدقائق من خبايا النصوص ، نفى ذلك بقوله : (غير الحق (وعرّفه ليفيد أن المبالغة في الحق غير منهي عنها ، وإنما المنهي عنها ، وإنما المنهي عنه تجاوز دائرة الحق بكمالها ، ولو نكر لكان من جاوز حقاً إلأى غيره واقعاً في النهي ، كما جاوز الاجتهاد في الصلاة النافلة إلى الجد في العلم النافع ، ولو قيل : باطلاً ، لأوهم أن المنهي عنه المبالغة في الباطل ، لا أصله ومطلقه . [2]

---

(١) – سورة المائدة الآية :٧٧

(٢)– **ينظر**: نظم الدرر، للبقاعي:٥١٧/٢.

المبحث الخامس

آثار البناء النفسي في القرآن الكريم

بنى القرآن الكريم النفوس على الإيمان والتقوى، وكلما كان البناء جيداً كان الالتزام بمنهج القرآن الكريم جلياً واضحاً، لأن القرآن الكريم بنى لهذه النفس طريقاً لن تضله أبداً، فلكي تستطيع أن تحدث تعديلاً أو تغييراً في شخصية إنسان وفي سلوكه فمن الضروري أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته؛ إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته.

ولذلك فإن العلاج النفسي يهدف أساسا إلى تغيير أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم، وعن الناس، والحياة، والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في قلقهم. وحينما تتغير أفكار المريض النفسي نتيجة للعلاج، فانه يصبح أقدر على مواجهة مشكلاته واقدر على حلها، بل إنه غالباً ما يرى أن مشكلاته التي كانت تقلقه في الماضي والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها، ولم يكن هناك

في الحقيقة مبرر يدعو إلى قلقه الشديد بسببها.[1]

وقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكهم ولهدايتهم وتغيير ما هم فيه من ضلالة وجهل، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم، ومدّهم بأفكار جديدة عن طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة، وبقيم و أخلاق جديدة ومثل عليا للحياة.

وقد نجح القرآن الكريم نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، وفي تغييرها تغييراً كبيراً كانت له نتائج بعيدة الأثر في وضع أسس جديدة لنظام حياة الإنسان الشخصية، ولنظام العلاقات الإنسانية سواء في داخل الأسرة أو في المجتمع.

وقد كان له الأثر الواضح بين جميع الدعوات الدينية في جميع عصور التاريخ في أحداث تغييرات عظيمة الأثر في شخصيات المسلمين، وفي المجتمع الإسلامي.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[2]

وكان هذا النجاح في فترة وجيزة من الزمن، وكان هدفه تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة المطمئنة التي استطاعت بطاقتها الجبارة التي تولدت عن هذا التغيير الذي حدث فيها، ان تهز العالم وتغير مجرى التاريخ.

ولا نستطيع أن نجد في حديث العرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم صورة معينة لهذا الجمال الذي سموه تارة شعراً، وسموه تارة سحراً، ولا نستطيع أن نلمس صورة ما مسهم منه من تأثير فقد تلقوه مسحورين، يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون هؤلاء يسحرون فيؤمنون، وهؤلاء يسحرون فيهربون. ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما مسهم منه، فإذا هو حديث غامض لا يعطيك اكثر من صورة المسحور المبهور، الذي لا يعلم موضع السحر فيما يسمع من هذا

---

(١)- **ينظر** :القرآن وعلم النفس: ٢٥١.

(٢)- سورة الحشر الآية: ٢١.

النظم العجيب، وإن كان ليحس منه في أعماقه هذا التأثير الغريب[١] كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ *فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾.[٢]

فهذا **عمر بن الخطاب** ﷺ يقول (فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام)[٣].

وهذا **الوليد بن المغيرة** يقول وهو كافر بمحمد وبالقرآن؛ لا يتهم بحبه أو موالاته فهذا هو يقول: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه ليحطم ما تحته، وإنه يعلو وما يعلى)[٤]. فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه علم أنها منبع كل شر، ومأوى كل سوء، وأن كل خير فيها فبفضل من الله مَنَّ به عليها. لم يكن منها، كما قال تعالى﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدا** ﴾.[٥] وقوله تعالى ﴿ **وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾.[٦]

فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا في النفس ولا بها. ولكن هو الذي مَنَّ بهما. فالإسلام هو القادر على أن يعالج هذه الصدوع النفسية، ويعيد الوئام والآلفة بين هذه المتناقضات، والأضداد.

فالتغيير والتأثير، تغيير النفس وتغيير الغير، إذا امتلكته الشخصية الإنسانية فقد وصلت إلى ما تريد وحققت الهدف الذي من أجله خلقت قال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾.[٧]

---

(١)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٥١-٢٥٢.

(٢)- سورة المدثر الآيات: ١٨-١٩.

(٣)- السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٧/١.

(٤)- المصدر نفسه ٢٧٠/١-٢٧١.

(٥)- سورة النور الآية :٢١ .

(٦)- سورة الحجرات الآية :٧ .

(٧)- سورة الرعد الآية: ١١.

ومن خلال هذه الآية القرآنية نجد ان قانون التفوق القرآني الذي منحه الله تعالى للشخصية في هذه الحياة يقوم على ثلاثة أركان:

١- تحديد الهدف والهدف هنا تغيير الغير.

٢- الطريق إلى تحقيق ذلك الهدف وهنا تغيير ما بالنفس أولا.

٣- يقظة السمع والبصر والفؤاد (قوة الأنتباه).

فإذا أخذت الشخصية الإنسانية طريقها في البناء النفسي واتقنت وسائلها وأساليبها فإنها تحقق المهمة في التغيير والتأثير وعندئذ يتحقق النجاح الذي تبحث عنه الشخصية الإنسانية في البناء النفسي[١] وحين نتحدث عن البناء فنحن ندرك أننا لن نبني في أرض فضاء، وإنما نبني في أرض بها تراكيب وأبنية بعضها صالح وبعضها غير ذلك، لذلك يصبح الحديث عن البناء متضمناً لإزالة الركام غير النافع لكي يقوم البناء الأحدث والأنفع مكانه، لأن هناك بالتوازي عمليات هدم وبناء دائمة في خلايا الجسم لضمان بقائه وصحته ونموه وتطوره والنفس التي بنيت بناءً نفسياً فريداً هي أكثر سعياً للأرتقاء نحو وجه الله عز وجل.

وفي فصلنا هذا لن نخرج عن الخطة الرشيدة لبناء المجتمع الإسلامي في صلات أفراده الاجتماعية وأقامتها على أسس متينة من العقيدة وأحاطتها بالأخلاق الفاضلة مما جعل هذه العلاقات نابضة بالحياة مشرقة بضياء القرآن الكريم، وجعل هذا المجتمع يبدو في عظمته وسموه حياً متحركاً، والعالم من حوله ميت ينتظر فيه روح الله ﴿ **مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ**﴾.[٢]

وهذا ما سنتناوله في المباحث والمطالب الآتية:-

---

(١)- **ينظر**: آفاق بلا حدود، بحث في هندسة النفس الإنسانية، د. محمد التكريتي دار المنطلق :١٤١٨، ١٩٩٤م.

(٢)- سورة هود الآية: ٢٤.

المطلب الأول

الإيمان بعقيدة التوحيد

لقد جاء القرآن الكريم والجزيرة العربية تعج بآلهة كثيرة يصنعها الإنسان بيده من الطين، والحجر يسجد لها ويحلف بها، ويستنصرها، ولم يكن ما يناطح هذه السفاهة إلا ديانات منحرفة في الجزيرة وخارجها قد يكون فيها من السفاهات ما لا يقل عن عبادة الحجر وكانت توجد بعض الديانات من الاحناف والموحدين ولكنها لا تستطيع مجابهة الوثنية.

وإن أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعوره بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون، تمنحه التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والبناء والفناء، والتغير والتطور، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات الحكيمة التي تجري فيه.

إن الإنسان ليشعر بهذه الحقيقة، ويؤمن بها إيماناً عميقاً، سواء أستطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور، أو لم يستطع، فدليل الفطرة، ودليل البداهة، شاهد حق يسبق الشواهد النظرية، وقد يكون أصدق منها[1].

وفي سبيل الشعور الباطني، والوجدان النفسي يرشدنا القرآن الكريم ويسترعي أنظارنا إلى حقيقة نفسية واقعية، تعبر عن قبس الإيمان بوجود الخالق ووحدانيته، وعن فطرية الشعور الديني في نفس الإنسان ويتمثل ذلك الإحساس الداخلي الذي يحسه الإنسان من نفسه حينما يتحرر من سلطان الوهم والهوى، وينفلت من حكم المادة المظلمة، أو عندما يسأل عن مصدر هذا الكون، أو عندما تنزل به شدة تحيط به، ولا يرى فيما يقع عليه حسه طريقاً للخلاص

---

(١)- **ينظر**: العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، ومناهج المتكلمين د. محمد عياش الكبيسي: ٩٢، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه بأشراف الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد الله ، ١٩٩٥ .

منها.[1] قال تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّـهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾.[2]

وقد صور القرآن الكريم إحساس فرعون حينما أدركه الغرق، وأيقن أن لا نجاة له منه، فأعلن إيمانه حيث لا ينفع الإيمان ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.[3]

فكانت الصياغة الربانية يبدو فيها سر عجيب فتنزلات القرآن الكريم استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، منها عشر سنوات في المدينة وباقيها في مكة وهذه الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم في مكة لم يعالج إلا قضية واحدة هي قضية العقيدة بكل ما تشتمل عليه من توحيد للإله الحق وتحرير من أوهام الشرك وما يترتب على ذلك من إيمان بالبعث والحساب.

أما تفصيلات الحياة وفروعها وتنظيم المجتمع المسلم، وما يحكمه من تشريعات فكل هذا سكت عنه القرآن الكريم في مكة ولم يتحدث فيه، إلا بعد أن استقرت عقيدة المسلمين، واصبح لها مجتمع وسلطة تستطيع أن تنفذ أحكام الله وشريعته، ففي المدينة قد استوى البناء بكل أركانه،واستوت النفس على أركان متينة ومتماسكة من البناء فكانت الأحكام والتشريعات تنزل وفق بناء هذه النفس.[4]

ولقد بنى القرآن الكريم نفوس العرب بعقيدة سليمة، حيث نزلت الآيات القرآنية بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية حيث كانت تهدف أساساً إلى تأكيد عقيدة التوحيد.

---

(١) –**ينظر**: الإسلام عقيدة وشريعة: ٣٥–٣٦.

(٢)– سورة إبراهيم الآية: ١٩.

(٣)– سورة يونس الآية: ٩٠.

(٤)– **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ١٤٨، الطريق إلى النفس المطمئنة د.لطفي الشربيني: ٣،د.ت.

وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في أحداث تغيير في الشخصية. فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس والحياة، والكون بأكمله أنه يمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها، ويملأ قلبه بحب الله ورسوله والناس من حوله وللإنسانية عامة، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة.(١)

والباري عز وجل جعل التقوى هي أساس النور وهي الفرقان، وصلاح الأعمال، كما هي سبباً للرزق كما في الآيات الآتية قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم** ﴾.(٢)

وفي قوله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾.(٣)

وقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾.(٤)

وقوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً**﴾.(٥)

وبين الله عز وجل، أن الذي يؤمن بعقيدة التوحيد، يجعل الله له نوراً يفرق به بين الحق والباطل، ونوراً يفتح له أفقاً واسعاً في هذه الحياة الدنيا، لأن الذي لا يوحد الله عز وجل فكأنه ميت، وان كان يمارس الحياة، فقد كتب عليه الموت وهو في رباط الحياة لأن الحياة حياة القلوب والنفوس، وحياة التوحيد والإيمان، وجاءت الإشارات القرآنية لهذا المعنى في القرآن الكريم الذي يمكن أن نفهم أن الباري عز وجل يريد أن نؤمن بعقيدة التوحيد حتى نرى النور، لأن

---

(١) **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٥١.

(٢)- سورة الحديد الآية: ٢٨.

(٣)- سورة الأنفال الآية: ٢٩.

(٤)- سورة الأحزاب الآيات: ٧٠-٧١.

(٥)- سورة الطلاق الآية: ٤.

النـور واحـد وهـو نـور الإيمـان والأمـان والطمأنينـة النفسـية والقلبيـة، بيـد أن الظلمات كثيرة ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.(١)

فليس لك أخي الحبيب إلا أن تغمر قلبك بهذا النور وسوف تجني ثمرات الأمن النفسي لأن الذي يؤمن ويطمئن بعقيدة التوحيد يجعل الله له نوراً يمشي به في الناس، إشارة إلى كونه مستحضراً لتلك الجلايا القدسية ناظراً اليها، وعند هذا تتم درجات السعادات في النفس الإنسانية، ويمكن أن يقال: إن الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح، والنور عبارة عن إيصال نور الوحي والتنزيل به.

والواقف في الظلمات يبقى متحيراً لا يهتدي إلى وجه صلاحه فيستولي عليه الخوف والفزع والعجز.

وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقيل: عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي كان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وقيل: عمار بن ياسرﷺ، و أما الذي في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل، عمرو بن هشام لعنه الله، والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر(٢).

والإيمان بالله عز وجل، وبعقيدة التوحيد يجب أن لا يخالطها أرتياب أو شك، لأن هذا الأمر طريق إلى الوهم والاضطرابات النفسية والصراعات، فلذلك حذرنا القرآن الكريم من هذا الأمر لما في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾.(٣)

---

(١)- سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٢)- **ينظر**: تفسير الفخر الرازي ١٨١/٧-١٨٢، تفسير القرآن العظيم ٤٦٨/٢.

(٣)- سورة الحجرات الآية : ١٥ .

فالذين آمنوا بالله ثم لم يشكوا في وحدانية الله، ولا في نبوة نبيه ﷺ، والزمه طاعة الله ورسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم، وبذل مهجهم في جهادهم على ما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك في سبيله لتكون كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وهؤلاء الذين يفعلون ذلك فهم الصادقون في قولهم انا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله.

فالمجتمع من المؤمنين يستطيع السيطرة على معظم المشاكل العاطفية والنفسية التي يعاني منها الجنس البشري، لأن الإسلام والإيمان بعقيدة التوحيد تشعر الفرد بهويته وشخصيته الإسلامية الواضحة فهو ليس مجرد عبارة تقال إنما هو لمس لتجربة شعورية واقعية، وعلاج لحالة تقوم في النفس. حتى بعد إيمانها بما يصيب النفس المؤمنة تحت تأثير التجارب القاسية والابتلاءات الشديدة من أرتياب، ومن أضطراب وأن النفس المؤمنة لتصطدم في الحياة بشدائد تزلزل ونوازل تزعزع ،فالآية القرآنية فيها انطلاقة نفسية. وبناء قويم متماسك للنفس، فيكون عزاء النفس الأول والأخير بما تملك من الزاد من هذه العقيدة، عقيدة التوحيد، والتي تثبت فلا تضطرب وتثق فلا ترتاب، وتظل مستقيمة موصولة هي التي تستحق هذه الدرجة عند الله. والتعبير على هذا النحو ينبه القلوب المؤمنة إلى مزالق الطريق، وأخطار الرحلة، لتعزم أمرها وتحتسب وتستقيم ولا ترتاب عندما يدلهم الأفق ويظلم الجو، وتناوشها العواصف والرياح.(١)

وقد بعث محمد بن عبد الله والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً؛ فإذا كل شيء فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه التوى وأنعطف، ومنه ما فارق محله اللائق وبه شغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم. حتى جاءهم ﷺ بعقيدة التوحيد.حيث صنعت العقيدة رجالاً غيروا مسار الحياة، فما الطاقات النفسية التي كانوا يتحلون بها وأي بناء نفسي بناهم

---

(١)- **ينظر**: جامع البيان: ١٣/١٤٤.

الحبيب محمد ﷺ،قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾.(١)

أي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها ورجعوا إلى عبادته وطاعته، ولهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة وفي العقبى،فهم رجعوا إلى اله تائبين منيبين، لهم البشرى الطيبة بالثواب العظيم من الله على ألسنة رسله وملائكته يوم توفى كل نفس ما عملت فبشر يا محمد عبادي الذين آمنوا وصدقوا ربهم في إيمانهم وتركوا عبادة ما يعبد المشركون.(٢)

والمسلم مكلف بهذه العقيدة من لدن خالق السموات والأرض، ويكون الإخلاص له دون غيره كما قال تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾.(٣)

وأنهم ما كلفوا في كتابهم بما كلفوا به لشيء من الأشياء، إلا لأجل عبادة الله تعالى، جاعلين دينهم خالصاً له تعالى، فلا يشركون بالله عز وجل وهم حنفاء، أي مائلين عن جميع العقائد الزائفة إلى الإسلام، وفيه من تأكيد الإخلاص ما فيه من الميل إلى الاستقامة، وأن عبادة الله تعالى بالإخلاص و إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وما فيه من البعد للأشعار بعلو رتبته وبعد منزلة في الشرف،وهي قاعدة دين الله وحده وإخلاص الدين له والميل عن الشرك وأهله(٤).

وهذه العقيدة ليس فيها شك، فالذي يؤمن بعقيدة التوحيد فإنه يكون مطمئناً نفسياً لهذه العقيدة، لأن الله عز وجل هو الذي نفى عنها الشك كما في قوله تعالى ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

---

(١)- سورة الزمر الآية: ١٧

(٢)- **ينظر**: الجامع لأحكام القران: ١٣٥/١ .

(٣)- سورة البينة الآية: ٤.

(٤)- **ينظر**: روح المعاني: ٢٦١/١٥- ٢٦٢.

يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.(١)

فهي عقيدة صحيحة لا يمكن لأحد أن يشك فيها، وهذا الجمال الباهر إنما ينشأ من هذا العرض الذي يجعل الرسل موكباً موحداً في مواجهة الجاهلية الموحدة؛ يصور الحقيقة الباقية من وراء الملابسات المتغيرة؛ ويبرز المعالم المميزة للدعوة التي يحملها الرسل، وللجاهلية التي تواجههم، من وراء الزمان والمكان، ومن وراء الأجناس والأقوام، وباختصار فلقد سكن الجزيرة العربية في القرن السادس بعد الميلاد قوم من البدو، ولكن في أقل من خمسين سنة تحول هؤلاء الرحل من البدو إلى أمة موحدة على يد محمد ﷺ، فقد قدم لهم برنامجاً عالمياً لمنع الأمراض العقلية والنفسية والنهوض

(١)- سورة إبراهيم الآية: ١٠.

بالصحة النفسية، وفي حقيقة الألوهية كما تتجلى في قلوب تلك الجماعة المختارة التي تضيء للعباد لمحات من ذلك الجمال الباهر، لا يملك التعبير البشري إلا إن يشير إليها كما يشار إلى النجم البعيد الذي لا تبلغ الإشارة مداه، ولكنها فقط تلفت العين إلى سناه(١).

والعبادة لله عز وجل مع التوكل واللجوء إليه في كل أمر ونازلة لهو البناء النفسي الفريد الذي يبني الفرد به نفسه، كما في قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تعملون**﴾.(٢)

أي لله غيبهما وشهادتهما، والله أعلم ما غاب فيهما، ويرجع إليه الأمر يوم القيامة، إذ ليس للمخلوق أمراً إلا بأذنه، يلجأ إليه ويثق به والله يجازي كلاً بعمله.

وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر الله تعالى بعبادته والتوكل عليه، فانه كاف من توكل عليه وأناب إليه، أي ليس يخفى ما عليه مكذبوك يا محمد بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة وسينصرك وحزبك في الدارين.(٣)

وقال تعالى ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾.(٤) فهنا يتضح منهج العقيدة الصحيح فكيف يتخذ العبد رباً غير الله؟ ويتخذ عقيدة غير عقيدة الإسلام وإليه يرجع أمر العبد، وكيف اتخذ غير عقيدة، وهو يحكمني ويصرف أمري ويهيمن علي ويقومني ويوجهني؟ وأنا مأخوذ بنيتي وعملي محاسب على ما اكسبه من طاعة ومعصية أغير الله ابغي

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القرآن: ٢١٠٢/٤٠-٢١٠٣.

(٢)- سورة هود الآية:١٢٣.

(٣)- **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن ١١٧/٩، تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/٣.

(٤)- سورة الأنعام الآية: ١٦٤.

رباً وكل فرد مجزي بذنبه لا يحمله عنه غيره؟ إنها تسبيحه التوحيد الرضية الندية؛ يتجلى من خلالها ذلك المشهد الرائع.(١)

مشهد الحقيقة الإيمانية، كما هي في قلب رسول الله ﷺ، وهو مشهد لا يعبر عن روعته وبهائه إلا التعبير القرآني الفريد. لأن الذي يتخذ غير الله رباً فقد ارتضى بشريعة غير شريعة الله التي هي مستودع الويلات المصائب والنكبات والاضطرابات والصراعات النفسية التي لا تنتهي إلا بالرجوع إلى شريعة الباري عز وجل.(٢)

والعقيدة الإسلامية هي عقيدة هادفة، تسعى لغايتها بشدة وحزم، ولم يكن الطريق أمامها معبداً أو مفروشا بالرياحين، فقد شخصت إمام خطواتها مائة مشكلة ومشكلة، وسال الدم على جنبات الطريق، وسخر الشيطان حزبه، لإعاقة المسير مشككين ومنخذلين، أو مجابهين ومقاتلين، وكانت الحرب سجالا والى اليوم(٣).

وإن كانت العقيدة لم تبق في النفوس كما كانت أول مرة، ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يكون فيه الاستخلاف للذين آمنوا؛ إذا هم استقاموا على هذه العقيدة قال تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.(٤)

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القران ٢٠٥/١

(٢)-**ينظر**: في ظلال القرآن: ٢١٠٢/٤٠-٢١٠٣.

(١)- **ينظر**: م.ن:٣/ ١٢٤١

(٤)- سورة النور الآية : ٥٥ .

والباري (عز وجل) يُري عباده هذه الآيات في الكون لكي يؤمنوا بها، وبعدها يكون عذاب الله اليماً وشديداً في عدم النصح والإرشاد قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[1]

قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾،[2] فالوعد من الله عز وجل بنعمته علينا وتوفيقه ايانا للحق الذي انتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه فتعرفون حقيقة نصحي لكم ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد. ويكون منكم الشعور بالذنب، وعدم الأمان وعدم الثقة، وإزدواجية في القيم ومشاكل ذاتية غامضة إما مجتمع الإسلام فهو آمن حال من الشعور بالذنب وعدم الاستقرار، والله عز وجل في كل يوم يري عباده بعض آياته في الأنفس والآفاق. ويكشف لهم عن بعض أسرار هذا الكون الحافل بالأسرار، وهكذا يلقي إليهم في الختام هذا الإيقاع الأخير، وفي هذا التعبير الملفوف اللطيف المخيف.. ثم يدعهم يعملون ما يعملون، وفي أنفسهم أثر الإيقاع العميق[3] ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[4]

وفي لمحة من لمحات الوحي قال الرسول ﷺ: ﴿يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر﴾.[5] وإنه لهو هذا الزمان الذي نعيش فيه..ولا حيلة مع ذلك ولا خيار.إنه إما الصبر على هذا الجحيم الأرضي الذي تضعه الشياطين في الأرض وأما إعلان الهزيمة وانتصار الشيطان! وليعلم كل مسلم يريد أن يطبق منهج الله في الأرض وفي ذات نفسه أن معركته

---

(١)- سورة النمل الآية: ٩٣.

(٢)- سورة النمل الآية: ٧١.

(٣)- **ينظر**: جامع البيان ٢٥/١١.

(٤)- سورة البقرة الآية: ٧٤.

(٥)- مسند أحمد ٣٩٠/٢، حسن لغيره، مسند أحمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: ٣٤/١٥.

مع الجاهلية في هذا الشأن ليست معركة (أخلاقية) حسب وإنما هي معركة عقيدة، الجاهلية تريد أن تفتنه عن عقيدته ذاتها. تريد أن تقول له بلسانها أو بفعلها سواء- ان ما أنزله الله وأمر به إنما هو أمور (مثالية) غير قابلة للتطبيق! وإن (التطور) الذي هو قوة (حتمية) يجعل من المستحيل تطبيق المنهج الرباني الذي أمر الله بتطبيقه! وتعالى عما تقول الجاهلية علواً كبيراً. يجهل، وهو ينزل منهجه ويأمر باتباعه إلى آخر الزمان انه سيأتي تطور (حتمي!) يمنع تطبيق منهجه، ويجعل أوامره- سبحانه- غير ذات موضوع!.

إنها معركة عقيدة.. إما أن يخوضها المسلم بروح الجهاد في سبيل الله، وسبيل العقيدة، وإما انتصار الجاهلية في ذات نفسه وانتصار الشيطان.

وإنها لمعركة عنيفة وشاقة ،ومرهقة ما في ذلك شك ولكن جزاءها كذلك هائل وضخم انه الجنة[1]. ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.[2]

إذن فعقيدة التوحيد تعطي للفرد قوة نفسية هائلة تربطه بخالق السماء والأرض، وأن الله عز وجل قريب من الذي يوحده ويدعوه في أي وقت شاء فالراحة النفسية تكمن بهذه القوة المهيمنة على الوجود كله.

وحتى نفهم نظريات الشخصية كما جاءت في العلوم الغربية، ولمقارنتها مع ما جاء في الإسلام علينا أن ننظر في طبيعة الإنسان والغرض من خلقهِ، وكذلك نظرة الله والقرآن الكريم والكتب السماوية للإنسان، وعلينا البحث عن العلاقة بين النظريات المختلفة، حتى نجد إمكانية الاستفادة منها في علم النفس الإسلامي التي تمكن الإستفادة منها لتكوين وجهة النظر الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والحديث من أجل فهم السلوك البشري.

---

(١)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية: ٢/٢٣٧-٢٣٨.

(٢)- سورة السجدة الآية: ١٧.

أ- المطلب الثاني

الإيمان والشعور بالأمن

إن الإيمان بالله عز وجل شفاء للنفس من أمراضها، وتحقيق للشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الشعور بالقلق، ويجب أن لا يكون العلاج بعد وقوع المرض النفسي، ولكن إذا كان الإيمان مبثوثا في النفس منذ الصغر، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية.

والإيمان بالله عز وجل يفتح للإنسان في مجتمعه آفاقاً سامية كبيرة يشعر من خلاله بالأمن، مهما ازدحمت عليه مصائب الدنيا وأهوالها، فإنه باستشعاره بإيمانه بربه عز وجل، فإن أكبر مصيبة تهون عليه ولا يكون هذا الشخص عرضة للمرض النفسي. فهؤلاء الذين آمنوا بقلوبهم دائماً مطمئنة كما جاء في قوله تعالى ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَاب الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.(١)

فالإيمان إذا وقع على القلب ، حوله إلى جنة يفوح منها الرضا والطمأنينة، والراحة النفسية ويبعده عن الفوضى والاضطراب ، لأن الإيمان قوة كبيرة لا تعادلها أي قوة في الوجود وبذلك يبقى القلب صافياً نورانياً لا يقبل التغيير والتبدل فلهذا قال تعالى ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.(٢)

فان أريد بالهداية المستمرة فالأمر ظاهر بظهور كون الإيمان مؤدياً اليها، وان أريد أحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما قالوا في (هدى للمتقين) أي الصائرين إلى التقوى، وتطمئن قلوبهم أي تستقر وتسكن بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الا بذكر الله وحده دون غيره من الأمور تميل إليها النفوس وتستقر(٣).

---

(١)- سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٢)- سورة الرعد الآية:٢٨ .

(٣)- **ينظر**: تفسير الفخر الرازي ١٥/١٠، روح المعاني: ١٤٩/٧.

ويحس المؤمن بالأمن والطمأنينة إذا كان إيمانه لا تشوبه شائبة ولا يخالط هذا الإيمان بشيء من الأمور التي لا يرضاها الله عز وجل، فقد قال تعالى في معرض قوله عن الإيمان بدون ظلم ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾.(١)

فالفساد ضد الإيمان، فهو يؤدي إلى حدوث آثار نفسية تفوق آثار الكوارث الطبيعية تسبب في حالة من فقدان الأمن والتوتر والقلق، وتؤدي إلى الإصابة بالأمراض النفسية كما أن الفساد في السلوك الإنساني يقف وراء بعض المشكلات المتفاقمة مثل مشكلات المخدرات التي يؤدي إدمانها إلى حصد كبير من الأرواح بالإضافة إلى المشكلات الصحية والنفسية والإجتماعية المتعددة.

والقرآن الكريم يبني هذه النفس إذا علمت ان كل ما يحدث من أمور ومصائب في هذه الدنيا إنما بعلم الله عز وجل، فتكون النفس الإيمانية التي تحمل هذه المعاني من التصور والفهم الدقيق لمجريات الأمور فإنها سوف تكون نفساً مطمئنة وآمنة كما يقرر هذا الأمر السياق القرآني في قول الباري عز وجل ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم** ﴾.(٢)

إما الأشخاص الذين يلتزمون بإداء العبادات من صلاة وصوم أقل إصابة بالأمراض النفسية مثل الأكتئاب والوسواس القهري والقلق كما أن قوة الوازع الديني تمثل حماية من الوقوع في إدمان الخمور والمخدرات.

وهنا عرض حقيقة الإيمان الذي دعاهم إليه فهو الإيمان الذي يرد كل شيء إلى الله، ويعتقد أن كل ما يصيب من خير ومن شر فهو بإذن الله، وهي حقيقة لا يكون إيمان بغيرها فهي أساس جميع المشاعر الإيمانية عند مواجهة الحياة بأحداثها؛ خيرها، وشرها، وهذا جانب ضخم من التصور الإيماني الذي ينشئه الإسلام في ضمير المؤمن، فيحس عناية الله عز وجل في كل حدث،

---

(١)- سورة الأنعام الآية: ٨٢.

(٢)- سورة التغابن الآية: ١١.

وفي كل حركة ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء يصبر للأولى ويشكر للثانية، وقد يتسامى إلى آفاق فوق هذا، فيشكر في السراء وفي الضراء، وهذا التصور ينشأ الأمن النفسي الذي يحتاج إليه كل الناس(١).

فالإسلام وأحكامه دين الله وشرعه الذي لا يتجزأ، أو لا يختلط بغيره، فهو بمثابة المظلة الواقية من الضلال والانحراف والشر والسوء، والعاصم من كل أذى وضرر، فمن كان مسلماً بحق اتبع جميع أحكام الدين، والتزم كل ما شرعه القرآن الكريم فأحلَّ حلاله، وحرّم حرامه.(٢)

والخوف والحزن ينشأ في النفس كلما ابتعد الفرد عن دين الله (عز وجل)، فالاستقامة على الدين هو الذي يطرد الخوف والحزن عن النفوس، كما جاء في قوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ۝﴾.(٣)

فالذين كان دينهم خالصاً لله عز وجل، وقالوا ربنا الله الذي لا أله غيره ثم استقاموا على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، والفرد في هذه الدنيا يمتحن بالخير والشر حتى يتبين حقيقة إيمانه فالمؤمن الواثق بالله عز وجل يجب عليه أن تكون له نظرة شاملة في عملية التعامل بهذه المعطيات الخير وما يغدق الله عليه ، فإذا تعامل مع هذا الخير كما يريد الله عز وجل، كان في آمان نفسي واطمئنان، وإذا أساء التعامل فيما أعطي حار وتخبط في ظلمات الأوهام والصراعات النفسية، ويبقى المحور الثاني إذا ما أصيب بالشر، فعليه ان يتعامل معه بعامل الصبر لأنه فتنة، والحكمة في التعامل في الأمرين هو أساس الأمر وجوهره كما قرر الباري عز وجل ذلك في قوله ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾.(٤)

---

(١) –**ينظر**: تفسير القرآن العظيم ١٩٧/٦.

(٢)– **ينظر**: التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي ١٠٣/١، دار الفكر– دمشق.

(٣)– سورة الأحقاف الآية: ١٣.

(٤)– سورة الأنبياء الآية: ٣٥.

فالله سبحانه يختبر الناس بالشر ويبتليهم بها، أو بالخير فيفتنهم فيه بالرخاء والسعة والعافية فنفتنكم به، ونختبركم بالمصائب تارة وبالنعم أخرى، ليتبين من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط والينا ترجعون فنجازيكم بإعمالكم، فمن صبر وفعل خير فنجازيه بالحسنى، ومن كفر فجزاءهُ شر ومصيره جهنم.

والمشاهد لسيرة الرسول ﷺ، يرى ان صفاءه صلى الله عليه وسلم النفسي، وتوقره العقلي لم تشبها شائبة، فكان يترك أثره العميق في الآخرين، ولا يتأثر بما هو في نفوسهم من ضيق وانحصار. إنه موجه يدفع ولا يندفع، ورقي معنوياته جزء من صميم ذاته، لا يمكن أن يتخلف عنه، أو تتفاوت قيمته بين ارتجال وإعداد.

ويبقى العمل الصالح هو المقياس والميزان الذي توزن به أعمال الناس، فالعمل الصالح نتيجة للحياة الطيبة الكريمة الآمنة كما في قوله تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَة** ﴾.(١)

وهو وعد من الله عز وجل لمن عمل صالحاً ،وهو العمل المتابع لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من آدم؛ وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وان هذا العمل المأمور به مشروع من الله بان يحييه حياة طيبة في الدنيا، وان يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة أي جهة كانت، ولعل المراد الراحة النفسية،وللآلوسي (رحمه الله) رأي آخر إذ يقول :المراد بالحياة الطيبة التي تكون في الجنة إذ هناك حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شقاوة، ولعل المراد بالحياة الطيبة في الدنيا بأنه يجمع الله عز وجل على الإنسان شمله وفي الآخرة تكون الحياة الأبدية التي لا شك إنها سوف تكون طيبة(٢).

---

(١)- سورة النحل الآية: ٩٧.

(٢)- **ينظر** :تفسير القرآن العظيم ٤٥١/٣، روح المعاني ٢٢٦/٧.

ولهذه المعاني السامية جاءت سورة العصر ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾.[١]

ففي هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة إنها تضع دستور الإسلام كله في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة. وهذا هو الأعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة أنه على امتداد الزمان، وامتداد الإنسان في جميع الدهور، ليس هنالك إلا منهج واحد رابح وطريق واحد ناج، هو ذلك الذي ترسم السورة حدوده وهذا هو الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسارة فالحق وقوله يحتاج إلى عزيمة الصبر[٢].

والإعراض عن ذكر الله عز وجل نتيجته الضنك في الحياة الدنيا ولعل هذا اللفظ يوحي بانقباضات نفسية، كما عبر عنه السياق في قوله تعالى ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾.[٣]

أي الذي اذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم على خلافه، فان له معيشة ضيقة والضنك في المنازل والأماكن والمعايش ويكون الضنك على جميع المستويات والأصعدة فيمن يعرض عن ذكر الله عز وجل[٤].

والمؤمن الصادق الإيمان نفسه مطمئنة راضية على رزقها، لأنها تعلم أن الرزق بيد الله عز وجل؛ فالمؤمن لا يعرف الخوف لأنه يعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما عبرت الآيات عن هذا الأمر:

---

(١)- سورة العصر الآيات: ١-٣.

(٢)-**ينظر**: في ظلال القرآن: ٦/٣٩٦٤.

(٣)- سورة طه الآية: ١٢٤.

(٤)- **ينظر**: جامع البيان: ٩/٢٢٥.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.[1] **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِين ﴾.**[2]

وهو كذلك لا يخاف الموت لأنه يعلم أن اجله محدود كما في قوله تعالى **﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.**[3]

إن الإيمان بالله تعالى، واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن الكريم هو السبيل الوحيد للتخلص من الهم والقلق والطريق الوحيد الذي يؤدي إلى تحقيق أمن الإنسان وسعادته وإن فقدان الإيمان بالله، وعدم اتباع منهجه في الحياة يؤدي إلى الهم والقلق والشقاء. **وعليه فإن :-**

١- الإيمان معراج الروح والأمن، وانشراح النفس أمام مسؤولياتها الضخمة في الحياة فمن عمر قلبه الإيمان بالله صفت نفسه واطمأنت.

٢- وبالإيمان تكون نفس المؤمن صافية مطمئنة إلى الطريق الذي تسلكه، وعظمة الحق الذي في قرآنها مطمئنة إلى سمو الغاية التي تهدف إليها.

٣- وهذا الإيمان له أثره على صاحبه، وعلى المجموع، أما أثره على صاحبه، فهو معين لسعادته، ينظر المؤمن من خلال صفاء نفسه إلى الحياة، فيصفو بنظرته الكدر، وتتضاءل بها الهموم ،وأما أثره على المجموع، فهو تخلص عن الانانية والشح والجبن إلى مستوى النظر إلى حاجة الجنس الإنساني.

٤- ونفسية المؤمن قوية وشخصيته مهيبة، ذلك ان التجاءه الصادق إلى الله عز وجل يشعره أن معه اقوى القوى فينهل من هذا الشعور معيناً لا ينضب من القوة والثقة بالله إذ هو غايته.

٥- والمؤمن أبدا في نعيم مقيم في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة لصلته الدائمة -بربه- ممتلئ حكمة وخلقاً وطيباً وادباً، إذ هو تربية الله العزيز الحكيم.

---

(١)- سورة الذاريات الآية: ٢٢.

(٢)- سورة هود الآية: ٦.

(٣)- سورة الأعراف الآية: ٣٤.

وإن كل هذه الآثار الإيمانية في نفس المؤمن هي نتيجة طبيعية وحتمية للإيمان الصادق والطاعة المطلقة والحب الخالص لربه، فإن لم تجد هذه الآثار النيرة في سلوك المؤمن ووجد نقيضها، فما ذلك الا ثمرة الادعاء الكاذب للإيمان، ونتيجة الاتجار والخداع للناس فيه.(١)

ويمكن لنا القول أن المتأمل في العلاقة بين تعاليم الدين الإسلامي وبين تنظيم حياة الإنسان وتعديل سلوكه لابد ان يلاحظ التأثير الإيجابي للالتزام بتعاليم الدين والتعلق بالإيمان الذي يشعر بالأمن، الذي يضمن الوقاية والعلاج من الاضطرابات النفسية التي تزايد انتشارها في العصر الحالي، ومثال ذلك تأثير التنشئة الدينية للصغار على ضبط سلوكياتهم ومنعهم من الاستجابة للإنحراف، وكذلك الدعوة الدائمة إلى حسن الخلق في التعامل الإنساني بما يخفف من فرض الصراعات التي تسبب القلق، ودعوة الدين إلى إفشاء السلام هي دعوة الإيمان الصادق.

المطلب الثالث

الإيمان بالانتماء إلى الجماعة

حرص القرآن الكريم على تأكيد الروابط الجماعية لما له الأثر في صياغة الشخصية المسلمة، ويحس الفرد بأنه منتمٍ إلى جماعة يحبهم ويحبونه أخوة في الله عز وجل في السراء والضراء، فالقرآن الكريم يبني النفس من خلال الاعتصام بحبلهِ المتين.

والشخص الذي يحجم عن معاونة غيره حقيق أن تنصب عليه المتاعب والمشكلات. أن كل ما تتطلبه الحياة من الفرد أن يكون عاملاً منتجاً محباً للناس، فعالاً في الحب، ولاشك أن انتماء الفرد إلى جماعة يحبهم ويحبونه، كما في قوله تعالى ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾.(٢) وارتباطه بهم بعلاقات إنسانية جيدة، إنما يعتبران من العوامل

---

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١١٨-١٢٢.

(٢)-- سورة الحجر الآية: ٤٧.

الهامة التي تساعد على تكوين شخصيته تكويناً سليماً، وعلى تحقيق الأمن والطمأنينة في نفسه،فقد حث القرآن الكريم على الأخوة، وقرنها بالإصلاح لأنها أساس الجماعة، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾.(١)

فالأخوة في الدين توجب الإصلاح بين المسلمين إذا اقتتلوا ويحمل الأمر على حكم الله وحكم رسوله، ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.(٢)

ومما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو المحرك الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه وأن يستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم، ليردوهم إلى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة، وهو إجراء صارم وجازم، كذلك وإن الأصل في نظام الأمة المسلمة أن يكون للمسلمين في أنحاء الأرض إمامة واحدة، وتكون جماعة تحت رأي مأخوذ من مشورة الجماعة.(٣)

والمحبة في الله عز وجل هي أصل الجماعة، لأن بهذه المحبة تدوم الجماعة وتنمو وتقوى، وجاء تقرير هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.(٤)

---

(١)- سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٢)- سورة الحجرات الآية : ٩ .

(٣)-**ينظر**: في ظلال القرآن ٣٣٤٣/٦.

(٤)- سورة الحشر الآية: ٩.

وهؤلاء القوم يؤثرون ويعرفون معنى الإيثار بمعناه الدقيق الذي هو بذل ما في الوسع حتى تمد يد العون إلى أخيك المسلم، وحتى تؤتي الجماعة ثمارها لابد من هذا الفهم حتى تكون الجماعة قوية متماسكة فهم يحبون من هاجر إليهم، ويحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين بما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، ولا يجدون في صدورهم حسداً مما أتوا المهاجرين، ويؤثرون على أنفسهم يعني حاجة، أي يقدمون حاجات الناس على حاجات أنفسهم، ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، ومن سلم من الشح فقد أفلح ونجح.(١)

والقرآن الكريم يحذر من شق عصا الجماعة، ويحذر من الذين ينخرون بناء الجماعة، فالشعور بالتلون، وعدم الوضوح له الأثر النفسي السيئ الذي يؤدي إلى عدم فهم مجريات الأمور، فقد قال تعالى في ذلك ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُون الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُون وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾.(٢)

فهؤلاء القوم الذين هم في وادٍ يسيل من صديد أهل جهنم الذين يصلون، لا يريدون الله عز وجل بصلاتهم، وهم عن صلاتهم ساهون،ويراءون في صلاتهم ويمنعون منافع ما عندهم، وهم يصلون ولكنهم لا يقيمون الصلاة، بل يؤدون حركات الصلاة وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها، ولا تعيش بها، وأرواحهم لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات، أنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصاً لله، ومن ثم هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها. ساهون عنها لم يقيموها حق إقامتها، والمطلوب، هو إقامة الصلاة لا مجرد أدائها، و أقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها، والقيام لله وحده بها، حتى يتحقق معنى الجماعة في الصف المسلم.(٣)

---

(١)- **ينظر**: تفسير القرآن العظيم ١٤٣/٦-١٤٤.

(٢)- سورة الماعون الآيات: ٤-٧.

(٣)- **ينظر**: جامع البيان ١٥/ ٣١١-٣١٤، في ظلال القرآن ٣٩٨٥/٦-٣٩٨٦.

وأكد القرآن الكريم على الجماعة، وحث على التماسك والقوة، وعدم التفرق لأن العمل يثمر إذا أنبثق عن الجماعة، وفي ذلك قال عز وجل ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾.(١)

فالجماعة تصبح بنعمة الله عز وجل إخوانا، ولهذه الألفة تناغم روحاني موحد لا ينقطع فالله عز وجل يأمر المؤمنين أن يتخذوا منهم طائفة متميزة تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود ما رسم الكتاب والسنة، لا ترهب أحداً ولا تخشى في الله لومة لائم تقوم بالذود عن حياض الدين ورفع منارة الحق والعدل.

فالمسلمون جميعاً مكلفون بتكوين هذه الجماعة المؤتلفة، ويكون لها حق الأشراف والرقابة والتوجيه والحساب والمتابعة، وفي سبيل قيامها بواجبها يجب أن تتوافر في أفرادها شروط العلم الديني، والعلوم التي يحتاجها من يخاطب الناس ويؤثر فيهم مع التقوى والتخلق بأخلاق الأنبياء. وأن يكون الداعية مثلاً أعلى في الخلق الكامل. والذين توافرت فيهم هذه الشروط، فأولئك هم البعيدون في درجات الكمال، وهم خلفاء الله في أرضه، وخلفاء رسوله في أمته، وهم المفلحون في الدنيا والآخرة، والأمة التي هداتها وقادتها على هذا العلم والصلاح، لابد أن تكون العزة والرفعة في ركابها، وهؤلاء تمسكوا بكتاب الله وعهده واعتصموا بحبله جميعاً، ولا يتفرقون عنه أبداً، فإن الداء العضال في الفرقة والانحلال. وفي الآية تمثيل الاستيثاق بالعهد، أو القرآن ا لكريم والوثوق بحمايته باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل متين وثيق لا يأمن انقطاعه.(٢)

---

(١)- سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

(٢)- **ينظر**: التفسير الفريد للقرآن المجيد: ٣٩٧/١-٣٩٨، التفسير الواضح: ١٠/١.

والله عز وجل يهدي هذه الجماعة إلى الصراط المستقيم، لأنها قائمة على نصرة دينه، ورفع كلمته كما في قوله تعالى ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾،[1] فالذين صدقوا الله وأقروا بوحدانيته، وما بعث به محمدُ ﷺ واعتصموا به وتمسكوا بالنور المبين الذي أنزله إلى نبيه، فسوف تنالهم رحمتهِ التي تنجيهم من عقابه وتوجب لهم ثوابه ورحمته وجنتهِ ويلحقهم من فضله ما ألف أهل الإيمان به والتصديق برسلهِ،ويوفقهم لإصابة فضلهِ الذي تفضل به عن أوليائه وسددهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ولأقتفاء آثارهم، وأتباع دينهم، وذلك هو الصراط المستقيم، هو دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام، والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به متى صح الإيمان؟ ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الجميع له. وهو صاحب السلطان والقدرة وحده، وهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل – رحمة في هذه الحياة الدنيا – قبل الحياة الأخرى – وفضل في العاجلة قبل الفضل في الآجلة، فالإيمان هو الواحة الندية التي يجد فيها الروح والنور من هاجرة الظلال في تيه الحيرة والقلق والشرود كما أنه القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه في كرامة وحرية ونظافة واستقامة، وليس هذا في أي نظام آخر غير نظام الإيمان كما جاء به الإسلام، هذا النظام الذي يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده فالإيمان واحة كبيرة، عليها تتربى الجماعة وبه تكون خطوات هذه الجماعة كبيرة ومثمرة[2].

والأفق النفسي الذي يمده الله عز وجل للجماعة كبير ونوره واسع وأنه مهما كانت الجهود صادقة، تكون الإمدادات الآلهة كبيرة وهائلة لأن العمل لله عز وجل بصدق لهو أساس الأمر الذي يجتمع عليه، ففي هذا النداء القرآني

---

(١)- سورة النساء الآية: ١٧٥.

(٢)- **ينظر**: جامع البيان: ٤٠/٤ .

يطلب من الذين اعتصموا بحبلهِ أن يكونوا مؤمنين، لأن الله عز وجل سيدخلهم برحمة منه وفضل كبير.

فالمطلوب من كل مسلم أن يعمل لنصرة دين الله بأن يسعى لإقامة شرع الله فينصره الله بقدر سعيه وجهده. ولكن مما لاشك فيه أن العمل الجماعي لنصرة الإسلام هو الذي أرشده إليه الإسلام وأشار إليه القرآن الكريم، في قوله تعالى **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾**.(١)

والمراد بـ(الأمة) في الآية جماعة من المسلمين تقوم بالدعوة إلى الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أي تقوم بنصرة الدين بشكل جماعي منظم، وعملها هذا بهذا الشكل أجدى وأنفع من عمل المسلمين فرادى ومتفرقين، وهذا يعني أن جمع جهود الأفراد بعضهم إلى بعض، والعمل سوية بتنظيم جماعي منظم يحبه الله ويطلبه الإسلام قطعاً للأمر بتكون (أمَّة) تقوم بنصرة الدين. (٢).

قال تعالى **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾**.(٣) فإن أساس وهيكل الحوافز كله يتغير تماماً عندما يسلم الإنسان امره لإرادة الله عز وجل، فتكون حركات وسكنات الجماعة كلها بهدي من الله وفي سبيل الله ونصرة دينه.

فلإسلام وسائله المحكمة في صياغة المؤمنين به صياغة تختلف عن الأديان الأخرى والمبادئ والفلسفات الأرضية بما فيه من حكمة وعمق في خفايا النفس الإنسانية .(٤)

وهذه الصياغة تمثلت في الصبغة الربانية في قوله تعالى **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾**.(١)

---

(١)- سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

(٢)- ينظر: جامع البيان: ٤٠/٤ .

(٣)- سورة آل عمران: ١٤٦.

(٤)- **ينظر**: التصور الإسلامي، للإنسان والحياة: ١٧٣.

فالإسلام سياج الإنسانية – من حيث جمعها على قواعد فكرية وفطرية عريضة تضمن وحدة الفكرة الإنسانية المتجاوبة مع فطرته، فلا يفرض على أحد فرضاً، ليؤمن به الغير نفاقاً أو مصلحة أو إكراها، ولا حاجة أصلاً في الإسلام إلى الإكراه، قال تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.(٢)

وهو خالق الإنسان وهادية، فلا تناقض بين طبيعة الخلق وطبيعة الهداية، إذ أن مصدرهما واحد، يتصف بالكمال المطلق.(٣) وعلى هذا فالانتماء إلى جماعة يجب أن يتم في ما أراد الله عز وجل أن تكون خليفة في الأرض وأن تعمل وتفكر وتخطط ليل نهار لأدخال السعادة في نفوس العباد، وأن تفقه أسس البناء القرآني، لا أن تنام وتحقق مصالحها الشخصية ومآربها وتقول نحن (جماعة مؤمنة) ويمكن معرفة سير صحة هذه الجماعة من خلال:-

١-أن تكون لهذه الجماعة ثمار طيبة واسهامات كبيرة في صالح الإسلام والمسلمين.

٢-يجب أن يكون لها برنامج واضح ومحدد.

٣-أن تعمل هذه الجماعة على تزويج الشباب والشابات الذين يقف الفقر عائقاً في زواجهم.

٤-معاونة الفقراء والأيتام ورفد طلبة العلم والمعرفة بالمال.

٥- إنزال الناس منازلهم كلمة رائدة في فقه السياسة، وبدون الاعتماد عليها سوف ندخل تحت مضمون قوله تعالى ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا**﴾.(٤)

---

(١)- سورة البقرة الآية :١٣٨.

(٢)- سورة البقرة: الآية: ٢٥٦ .

(٣)- **ينظر**: السابق: ١٥٦ .

(٤)- سورة الأعراف الآية: ٣٨.

٦- يجب على الجماعة أن تنقل جنودها وقواعدها في المجال التربوي إلى مصاحبة الدعاة الربانيين لأن هؤلاء قد صقلتهم التجارب الطويلة.

٧- اتقان فن الحوار ومعرفة أصول الاختلاف وآدابه داخل الصف الإسلامي.

٨- كسب الحوار الإعلامي لصالح المسلمين ويجب أن يعرف الناس أن الإسلام له سبق القصد في كل العلوم والمعارف.

وبعدها إذا تعثرت الجماعة في سيرها فيجب أن تقوي العلاقة مع الله عز وجل لأن الله هو الذي يؤيد الجماعة المؤمنة بنصرة وتأييده، لأنها تعمل لنصرة دينه، فإذا كان سيرها سعياً لوجه الله، كانت العوائق ميسرة والعقبات عن الطريق قد رفعت، وبعدها سترى الجماعة النور وسط العتمات، لأن الله عز وجل هي غايتها.

المطلب الرابع

العبادات

العبادات: هي النظام التعبدي الذي يحدد طبيعة الصلة بين الإنسان وربه ويحدد الوسائل العملية التي يسلكها الإنسان ليسمو بالروح في مدارج الكمال[١] من على جبل النور ... في غار حراء .. والكون ساجد لله، ومحمد بن عبد الله يعتصر ذهنه وفكره بعيداً عن صخب الحياة وأباطيلها في زمن استشرى فيه الباطل وبسط أرديته أرض الناس .. وبينما هو مستغرق في تأمله في هذا المكان البعيد عن أهل مكة يبحث عن الطريق، إذ ملك الوحي جبريل عليه السلام يضمه إلى صدره ويبلغه نداء الله ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ *اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾.[٢]

ومن هذه اللحظة التي انبثق فيها شعاع الوحي أصبح للعبادة مفهوم جديد .. وتغيرت نظرة الإنسان إلى كل ما يصدر عنه. ولم تعد العبادة رسوماً وطقوساً تؤدى داخل المعابد والصوامع والبيع، وركب الفساد الجائر يطحن الناس ويقضي على أمنهم واستقرارهم وسعادتهم ،نعم تغيرت هذه النظرة الضيقة للعبادة وأصبحت (أقرأ باسم ربك) منارة هادية وضعت يد الإنسان على الحقيقة:

---

(١)- **ينظر:** مدخل إلى التصور الإسلامي: ١٠٦.

(٢)- سورة العلق الآيات : ١-٥.

فالقراءة باسم الله. والعلم باسم الله. والصلاة باسم الله. والحياة وما فيها باسم الله بل والممات بإسم الله ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.(١)

والعبادات هي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، ونظراً إلى أن المقصود من هذه العبادات الأربع – مضمونة إلى الإقرار بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ – هو تطهير القلب وتزكية النفس، وقوة مراقبة الله التي تبعث على امتثال أوامره والمحافظة على شرائعه في جميع نواحيها، كانت هي العمد التي يبنى عليها الإسلام.(٢)

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ ﴿بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا﴾.(٣)

في محراب الكون يقف المؤمن خاشعاً مرتلاً آيات التقديس والاجلال يرى ربه مع النسمات العذبة والشمس المشرقة والقمر المضيء .. ومع ركب البشر المتحرك. وفي الأرض المبسوطة والسماء المرفوعة وفي قطرات الماء ورائحة الأزهار واختلاف الثمار وتقلب الليل والنهار .. يرى ربه مع الأنفاس التي تتردد والقلب الذي يخفق والعين التي تبصر .. يحس به في كل شيء ومع كل شيء وليس بعد هذا الخشوع عبادة فإنها الرباط الوثيق الذي يشد أوتار القلب –دائماً– إلى الله ويعرف الإنسان أن الحياة لا تقاس ببطن مملوء، وأموال ملأ الخزائن، وأجسام عراض وألسنة حداد وإنما قيمتها في أشواق الروح وانفعالاتها بمظاهر هذا الوجود، والوصول إلى ذلك الإحساس بخالق هذا كله، ومن هنا يصبح البشر عبيداً لله: تخشع قلوبهم وتلين جلودهم امام عظمة بارئهم وخالقهم فيتحقق

---

(١)– سورة الأنعام الآيات: ١٦٢.

(٢)– **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ١٩٠، الإسلام عقيدة وشريعة: ٨٩–٩٠.

(٣)– صحيح البخاري ١٢/١ ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان

الغرض الأسمى من وجودهم على ظهر هذه الأرض[١] قال تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِي**﴾.[٢]

وسيتضح ذلك الأمر فيما سنشرع به في هذا المبحث من خلال مايأتي:

الـــصـــلاة:

تعد العبادات الكنز الكبير لتعبئة البناء النفسي لشخصيات الإنسان، وفي تغيير سلوكهم؛ أسلوب العمل والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغرسها في نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة:- الصلاة والصيام، والزكاة، والحج. إن القيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس والتحكم في أهوائها وشهواتها، كما يعلمه حب الناس، والإحسان إليهم، وينمي في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي، وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة، ولاشك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بإخلاص وانتظام يؤدي إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة كما يمده بوقاية من الأمراض النفسية[٣].

الصلاة أول فرائض الإسلام منهج متكامل لتربية المجتمع: تطهره ظاهراً وباطناً، وتروي فيه شجرة الأخلاق بماء الوضوء ونور الذكر وروعة التجرد لله فإذا ما تنشده الإنسانية من مساواة وعفة ومحبة ورحمة وقوة وأدب واقع حي ملموس تراه في أصوات الساجدين والمتبتلين والداعين والذاكرين والمتجهين لربهم والخاشعين لسيدهم ... شعورهم واحد وشعارهم واحد الله أكبر .. الله أكبر.

---

(١)- **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢)- سورة الذاريات الآيات: ٥٦.

(٣)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس:- ٢٥٥.

وهي عبادة بدنية فرضها الله على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، في أوقات محدودة، يقف فيها مستقبلاً بوجهه أينما كان جهة المسجد الحرام الكائن بمكة[١].

وهي الرباط الروحي الذي يصل المسلم بربه بعد الإيمان به، وهي نور يشرق في جنبات النفس الإنسانية فيجعل المسلم ينظر إلى الحياة نظرة خاصة به أساسها الفهم عن الله والوقوف عند حدوده، وتعظيم ما عظم الله، وتحقير ما حقره، فلا يتلوث بشيء يدنسه، ولا يرتع في شهوات يعلم أنها تجلب عليه مقت الله وغضبه وهي مفتاح كل خير، والباب الموصل إلى السعاة وتركها مجلبة لكل شر، وسبيل الشقاء الأبدي والطرد من رحمة الله[٢].

إن الصلاة هي صلة بين العبد وربه، وحين يقف المؤمن في الصلاة بخشوع حقيقي يحس أنه متصل مع الباري عز وجل ويشعر أنه ضعيف فهو يحس بطاقة روحية هائلة فيها الصفاء الروحي والاطمئنان، ويحس بالانصراف التام عن الدنيا ومشاكلها وهمومها وهذا الأمر من شأنه أن يبعث على الاسترخاء التام،والباري عز وجل يحث عباده على الدعاء ويصرح لهم بذلك لأن الإنسان يجب أن يدعو الله عز وجل في كل أمر، وللدعاء معنى نفسي جميل، وهو أن المسلم يشعر بأن الله عز وجل يستجيب دعاءه، فهو لا يقنط ولا ييأس، لأن الله عز وجل وعد عباده بالإجابة؛أذن الدعاء يعكس معناً نفسياً سوف نكشف عن نقابه في قوله تعالى ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾.[٣]

---

(١)- **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ١٩١، الإسلام عقيدة وشريعة: ٩٣.

(٢)- **ينظر**: فقه العبادات، حسن أيوب: ٧، ط٦، دار الندوة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م شجرة الإسلام، عبد الله دمبيا: ٤٧، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٣)- سورة البقرة الآية:- ١٨٦.

وإذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا ؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم واجيب دعوة الداعين منهم، وليس المقصود من الدعاء الإعلام؛ بل إظهار العبودية والذلة والانكسار والرجوع إلى الله بالكلية، فإذا كان مقصودة من الدعاء إظهار الذلة والمسكنة، ثم بعد ذلك رضي بما قدره الله وقضاه فذلك من أعظم المقامات(١).

والصلاة دلالة على الاستعانة به وحده، وتذكر لمعاني كتابه، وتسبيح وتهليل، وإنابة وصلة قلبية بالملائكة عن اليمين وعن الشمال قعيد، فيسلم عليهم، وصلة قلبية بإخوانه المسلمين فيسلم عليهم أجمعين أيا كانوا ويدعو لهم من أعماق قلبه دعاء يوثق الصلة الروحية بهم، ويثبت العقيدة في سويداء القلب تثبيتاً لا تهزمها أي عقيدة دخيلة، وتوثيقاً لجماعة المصلين، وتفقداً وحباً لهم، وهي إلى جوار كونها جزءاً من النظام الروحي فهي جزء من النظام الصحي، صحة الجسم وصحة النفس، وجزء من النظام الاجتماعي في التعارف والتعاون والانسجام – انسجام الفكر والروح والخلق(٢).

كذلك يكون الفلاح في صلاة العبد بخشوع، لأن الخشوع أمر مهم يترتب عليه كثير من الأمور، كما في سورة المؤمنون ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾.(٣)

والفلاح اطمئنان نفسي لا يحده شيء، والمراد بالمؤمنين المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا ﷺ من التوحيد والنبوة، والخشوع صفة موضحة لهم أو مادحة لهم، وللخشوع معانٍ مختلفة فقد فسره:- قتادة: تنكيس الرأس، وعن علي كرم الله وجهه ترك الالتفات، وقال الضحاك وضع اليمين على الشمال، وإذا أردنا أن نمحص هذه الأقوال نجدها تنحصر في شيء واحد وهو

---

(١)- **ينظر**: جامع البيان: ١٥٨/٢، تفسير الفخر الرازي: ١٠٧/٣.

(٢)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة: ١٢٧-١٢٨.

(٣)- سورة المؤمنون الآية: ١-٢.

قوة الصلة بالله عز وجل، واستشعار ذلك الأمر فتنكيس الرأس وحده دون ملازمة الخشوع لا يكون كافياً وكذلك الالتفات ووضع اليمين على الشمال.

والخشوع هو التذلل لله بطاعته، والاتصال الدائم به عز وجل والهلع والجزع صفتان خطيرتان يجب على المسلم أن يتجنبهما لأنها تؤدي إلى هدم نفسي خطير، وقد حث القرآن الكريم إلى أن المصلين لهم حصانة آلهية تمنعهم من أن يدرجوا تحت هذه الصفة، قال تعالى ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلا الْمُصَلِّين**﴾.(١)

وهم المؤمنون عامة، فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم. وهم يداومون في الصلاة على مواقيتها، والصلاة فوق أنها ركن الإسلام وعلامة الإيمان؛ هي وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد، ومظهر العبودية الخالصة التي يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية في صورة معينة، وصفة الدوام تعطي صورة الاستقرار والاستطراد، فهي صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل لأن بهذه الصلاة يجد المؤمن حلاوة عظيمة لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.(٢)

وقال تعالى ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾.(٣)

فبمجرد ذكر أسم الله يحرك الوجل في ضمائرهم ومشاعرهم، ولا اعتراض لهم على قضاء الله فيهم، فهم يعبدون الله حق عبادته، وهكذا يربط بين العقيدة والشعائر فهي منبثقة من العقيدة وقائمة عليها. والشعائر تعبير عن هذه العقيدة ورمز لها، والمهم أن تصطبغ الحياة كلها، ويصطبغ نشاطها كله بتلك الصبغة

---

(١)- سورة المعارج الآيات ١٩-٢٢.

(٢)- **ينظر**: الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٢٨٩-٢٩١.

(٣)- سورة الحج الآيات:- ٣٤-٣٥.

فتتوحد الطاقة ويتوحد الاتجاه، ولا تتمزق النفس الإنسانية في شتى الاتجاهات[1].

وللصلاة آثار كثيرة نحصرها فيما يأتي:-

١-الآثار الروحية والنفسية:-

فالإنسان مركب من الجسم والروح، فكما إن جسمه يحتاج إلى غذاء ينميه ويقويه ويمنحه من المناعة ما يقاوم به الأمراض، فإن روحه كذلك تحتاج إلى غذاء ينميها ويقويها ويسمو بها إلى عالم الملكوت. وهذا الغذاء كامن في إقامة الصلاة شأنها شأن بقية الواجبات، إن القلق النفسي يفتك بالمجتمعات البشرية في الوقت الحاضر، وهو يزداد ضراوة يوماً بعد يوم نظراً لتعقد الحياة وتشابك المشاغل ويسلك طريقه إلى القلوب في سهولة ويسر، لأن الطرق أمامه معبدة عدا الطرق المؤدية إلى قلوب المؤمنين المقيمين الصلاة إذ مداخلها أمام هذه القلوب مسدودة، لذلك فأن القلق لا يظفر بها، فإن تسرب منه شيء إليها، فأنه يذوب ويتلاشى أمام قوة الإيمان المتولدة من صلة الإنسان بربه في صلاته كل يوم.[2]

٢-الآثار الخلقية والاجتماعية:-

الصلاة تغرس في نفوس المصلين المقيمين لها بذور الأخلاق الفاضلة، وتنمي في أعماقهم أسباب التعارف والتعاون والتواد والتراحم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى.

ولصلاة الجماعة الدور الكبير في التعارف والتعاون، وكذلك صلاة الجمعة والعيدين.

٣-الآثار الصحية:-

---

(١)- **ينظر**: جامع البيان: ١٧/١٦١-١٦٢.

(٢)- **ينظر**: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية نظام الدين عبد الحميد: ٥٤-٦٩، مكتبة القدس – بغداد.

ليس هنالك دين اعتنى بالنظافة مثلما اعتنى بها الإسلام كما أن للوضوء تأثيراً نفسياً، فإن له تأثيراً فسيولوجياً فإن الاغتسال بالماء خمس مرات يومياً وعلى فترات معينة من العمل اليومي إنما يساعد على استرخاء العضلات، وتخفيف حدة التوتر النفسي والبدني. ولذلك أوصى ﷺ بالوضوء إذا غضب الإنسان، فإنه أوجب الوضوء للصلاة. فلا صلاة بدون وضوء. وإذا فقد الوضوء وجب التيمم بالصعيد الطاهر الطيب، ليكون موصول السبب بالوضوء.(١)

ومن فوائد الصلاة الصحية أيضاً هذه الحركات التي يشترك فيها جميع أعضاء الجسم من الرأس واليدين والرجلين والفقرات ومفاصل الجسم أثناء القيام والركوع والسجود والجلوس والاعتدال، إذ في كل حركة من هذه الحركات فائدة صحية.(٢)

(والصلاة التي تربط الإنسان بخالقهِ، فإذا هو كائن عجيب لا يشبهه شيء من خلق الله كله. كائن يقف بجسمه على الأرض وروحه تسبح في السماء .. كائن قادر – في عجزه وطاقته المحدودة الفانية، أن يحطم السدود والحواجز وأن تنفسح جوانحه فيشمل الكون وأن تنفسح روحه فتشمل الحياة. وأن ينفسح كيانه فيتذوق الخلد ويتذوق حقيقة الوجود).(٣)

فالصلاة هي المراقبة لله في كل عمل وكل فكرة وكل شعور ،وهي الإحساس الدائم بالله في كل لحظة ؛فالصلاة والعبادة، وصلاة التهجد، وقراءة القرآن ومئات من المشاعر الخفية واللمسات اللطيفة، والخفقات، واللمحات والومضات. وفي النهاية يتدفق هذا الحب الواغل في الأعماق وكذلك في الصلاة في موضع السجود حيث الذي يحس فيه الفرد انه ساجد لله عز وجل

---

(١)- **ينظر**: الإسلام وأمراض العصر جمال أبو العزائم :١ د .ت .

(٢)- **ينظر**: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: ٥٤-٦٩.

(٣)- منهج التربية الإسلامية: ٦٥/١.

وهو متجه بقلبه وروحه إلى خالق الوجود والكون وبها يتخلص الإنسان من الكثير من العقد النفسية والاضطرابات.(١)

حب أعمق من أن يصفه اللفظ، وألطف من أن يمسكه التعبير. سارب في النفس، مشع في الكون، لا تمسكه الألفاظ ولكنه على خفائه ذلك قوي جاهز مبين ! يعلمه صاحبه ويحسه في أعماقه، ولا يحتاج أن يعبر عنه بلفظ، فهو ممتلئ به لا يحس الفراغ الذي يحوج للتعبير. وهم على موائد الله وضيافته يفد المؤمنون إلى مساجدهم في تلك الصورة الجليلة الخاشعة صفوفاً متراصة ينسون في موقفهم هذا جنسياتهم وأحسابهم ومراكزهم الدنيوية ويجمع بينهم ذلك الرباط الموحد الذي لا يهن ولا يضعف وهو رباط الإيمان بالله عز وجل، وذلك الحب، وهو قمة العبادة هو الكفيل بطاعة الله طاعة منبعثة من الرضا، لا من القهر والخوف من العقاب ... وهو الكفيل بالتطوع النبيل فوق ما تفرضه الضرورة وما يفرضه القانون. التطوع الذي يرتقي بالإنسانية إلى أعلى. ويحثها على التقدم إلى أمام فالإنسان المتعمق في الكون الفسيح وما تنساب إليه الدلائل والحقائق، يحس بانه مغمور بفيض الله عز وجل الذي يتصل به ويدعوه في اليوم خمس مرات.(٢)

ولعل القرآن الكريم حين جعل الصلاة من أوصاف المتقين فقال ﴿**الم*ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾.(٣) أراد أن يبين السر في هذه التقوى التي هيمنت على سلوك المجتمع المسلم أفراداً وجماعات في كل حركة وسكون، مع القريب والبعيد .. مع العدو والصديق .. في بيته وعمله .. في تعامله الدولي

---

(١)- **ينظر**: الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي ٢١١-٢١٢، مط اشبيلية – بغداد.

(٢)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية: ٦٠/١، منهج القرآن في تربية المجتمع: ١٩٦.

(٣)- سورة البقرة الآيات: ١-٣.

ونظام مجتمعه الداخلي بدأ في كل هذا نورانياً رحيماً عادلاً مراقباً لله ناظراً إلى خالقه .. شاعراً باطلاعه عليه. والسر في هذا بعد الإيمان بالله هو إقامة الصلاة (ويقيمون) برهان على صورة التجمع والتعاون والتناسق في اقرار الصلاة ورفع مكانها في كل مكان[1]. قال تعالى ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾.[2]

الزكاة:

الزكاة هي التي تربط المسلمين برباط الحب والإخاء الصادق بين الغني والفقير، وتسمو بهما إلى ثواب الله، الذي أشترى به المال، وهي ثقة الغني أن صرف المال لله ينميه ولا ينقصه ﴿**ما نقص مال من صدقة**﴾.[3]

---

(١)- **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ١٩١-١٩٢.

(٢)- سورة الحج الآية: ٤١.

(٣)- سنن الترمذي٤/٤٧٦ ، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب التواضع وهذا حديث حسن صحيح.

فتتقيه من الشح والأنانية تعوده البذل، بل حب البذل وتذوق طعم التضحية، كما تثبت العقيدة عملياً، وتشرح النفس برضوان الله وتنمي الضمير وترهفه، وتدرب على الطاعة.

والزكاة في الإسلام ضمان اجتماعي، يفرضها الدين وتنظمها الدولة الإسلامية، وتقام من أجلها الحروب استخلاصاً لحقوق الفقراء، وقد حذر الله تعالى من الامتناع عن أداء هذا الحق[١] بقوله ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ*يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾.[٢] فهي تشريع يحفظ للفرد استقلاله وحريته في العمل والكسب، ويحفظ المجتمع حقه على الفرد في المعونة والتضامن، وبذلك يبرز المبدأ الإسلامي العام وهو تحميل الفرد من حقوق الجماعة، وتحميل الجماعة من حقوق الأفراد، وهي تعالج جانباً خطيراً إذا عرفنا أن هذه الزكاة تسد عدة جوانب في المجتمع الإسلامي.[٣]

وللزكاة أثر نفسي كبير في بناء النفس، لما فيها من تذكر بمعاناة الفقراء وآلامهم، وهي تقوي الشعور بين المسلم وأخيه وكذلك شعور مستحقي الزكاة بالاطمئنان النفسي بأن مالهم من حق في أموال الأغنياء يصلهم سنوياً دون انقطاع أو تأخر فلا يخافون غائلة الفقر والحرمان، فهم في راحة نفسية كبيرة.[٤] والقرآن الكريم يربي المجتمع على هذا التجرد من حب المال يرسم خطة محكمة تحاصر النفس من كل جوانبها فإذا بها سخية لينة كريمة معطية .. تدفع وتبذل بكل ما تستطيع في السر والعلن ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً.

---

(١)- **ينظر**: التصور الإسلامي للكون والحياة: ٥١٣٠، شجرة الإسلام: ٥٥-٥٦.

(٢)- سورة التوبة:-الآية: ٣٤-٣٥.

(٣)- **ينظر**: الإسلام عقيدة وشريعة: ١١٠، فقه العبادات: ١١١.

(٤)- **ينظر**: العبادة وآثارها الاجتماعية والنفسية: ٧٩-٨٠.

وتتمثل حقوق الله في المال في أوامر الله تعالى في هذا المال، ولها جانبان: جانب سلبي:- ويتمثل في تجنب الخبيث، وجانب إيجابي ويتمثل في فعل ما يرضي الله تعالى، كإيتاء الزكاة، والأنفاق في سبيل الله.(١)

وهي طهرة من الشح والبخل والأثرة وحب الذات والقسوة على المجتمع،وكذلك لها دورها الفعال بالانتماء الاجتماعي.قال تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيما**﴾.(٢)

خذ يا محمد من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وتزكيهم بها، وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص، وأدع لهم بالمغفرة لذنوبهم، فدعاءوك واستغفارك طمأنينة لهم بأن قد عفا عنهم، وتاب عليهم، والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم،وذلك أن أخذ الصدقة منهم يرد إليهم شعورهم بعضويتهم الكاملة في الجماعة المسلمة، فهم يشاركون في واجباتها، وينهضون باعبائها، وفي تطوعهم بهذه الصدقات تطهير لهم وتزكية وفي دعاء الرسول ﷺ لهم طمأنينة وسكن(٣).

والزكاة .. تطهير من شح النفس، وإطلاق للروح من الأثرة البغيضة التي تحس بوجودها وحدها ولا تحس بالآخرين. إنها إحساس بالأخوة النبيلة التي تجمع الأسرة البشرية الواحدة، فإذا كلها قريب من قريب، ولكل فرد فيها دور مهم مع الآخرين الأخوة التي تخرج بالإنسانية عن الشعور (بالملك) فيما يمتلك فليس هناك ملك خالص في الأسرة الواحدة، وإنما الناس شركاء في الخير، أصلاء في رزق الله العميم، وحتى الفقير لا يحس بيأس من هذه الحياة، إذا هو عاش في دوامة من الفقر فسوف يكون باله في أغلب الأحيان غير مستقر لما يعاني ويكابد، فإذا لم يدفع الأغنياء الزكاة إلى الفقراء، رأيت المجتمع تكثر

---

(١)- **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ٢٠٧، وفلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: ١٣٢.

(٢)- سورة التوبة الآية :١٠٣.

(٣)- **ينظر**: جامع البيان: ١٦/١١ .

فيه السرقة، فالباري عز وجل أراد لهذه النفس أن تكون ذات بناء جيد إذ هي طبقت منهج الله عز وجل الذي فيه يشرق القلب وينتفض من الأدران إلى الجوهر المشرق المستضيئ بنور الله، هنالك حيث أودعه الله ليتصل به ويلقاه.

وللزكاة أهداف نفسية؛ حيث خلق الله الإنسان وركب فيه جملة من الميول والرغبات والعواطف والأحاسيس، وهي تنفعل في المواطن والحالات التي يجب أن تنفعل فيها بوجه من الوجوه، فإذا ما استجاب لها صاحبها بوحي من أعماقه وجد برد الراحة يأخذ سبيله إلى نفسه ويشعر بالارتياح في وجدانه.

وكذلك في إخراج الزكاة تعويد النفس على الجود والسخاء وتوطينها على البذل والعطاء، وتخليصها من خصلة البخل والإمساك والأنانية وعبادة المال.[١]

إذن هذا البناء الذي قال عنه الرسول ﷺ بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا[٢].

فعلاً هو البناء النفسي الفريد للنفس الإنسانية إذا ما تمسكت به نجت وأفلحت، وكانت في مأمن من القلق والاضطرابات النفسية.

---

(١)- **ينظر** :منهج التربية الإسلامية: ١/٦٥-٦٦.

(٢)- سبق تخريجه في ص ١٧٢.

الصيام:

الصوم وهو المنهج الروحي الثاني، وهو مران متواصل شهراً كاملاً، لاستيعاب أهداف المجاهدة النفسية، فهو نقاء روحي، وإخلاص في العبادة، إذ لا تشوبها شائبة النفاق لذا فإن الصوم أختصه الله، وهو تدريب للإرادة على تحمل الصعاب، ابتغاء رضوان الله وتطويع النفس على كبح جماح الاعتداء والإساءة باللسان والجوارح، وهو هبوط إلى مستوى الفقراء ومشاركتهم حياة الحرمان، ليندفع الصائم بصدق إلى رفع الضر عنهم، لا الاتجار بهم، كما هو شأن الكثيرين !

وهو الصلة الدائمة مع الله عز وجل، وهو من دعائم هذا الدين، والفرائض التي بها يتم النظام فإن الإنسان مجبول على حب نفسه، فيما يعود عليها بالنفع الخاص، تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين.(١)

والصوم هو الواحة التي يفد إليها المؤمنون فيرون فيها خضرة الإيمان، ونماء المعرفة وأنهار التقى والطهر، ويستنشقون عطر الرضا والسكينة ويعودون إلى ركب الحياة المضطرب يصلحون اعوجاجه، ويقومون اضطرابه ويتولون هم قيادته فيعيدون له الاستقرار ويذهبون عنه الخوف والقلق.

والصيام هو الامتناع عن الأكل والشرب، والملابسة الجنسية طول النهار – من الفجر إلى غروب الشمس – بقصد امتثال أمر الله. وقد فرضه الله على جميع القادرين عليه.(٢)

ويعد الصيام من الدعائم المهمة للبناء النفسي فهو تربية شعورية، ففيه تهذيب للنفس وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، فالإمساك عن الطعام والشراب من قبل الفجر إلى غروب الشمس في جميع أيام رمضان، إنما هو

---

(١)– **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة: ١٢٨.

(٢)– منهج القرآن في تربية المجتمع: ٢١٥، الإسلام عقيدة وشريعة: ١٢٥.

تدريب للإنسان على مقاومة شهواتهِ والسيطرة عليها ويؤدي ذلك إلى بث روح التقوى فيهِ.(١)

قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.(٢)

ففي قوله تعالى بيان علة الصيام وهي تربية نفسية المؤمن وصدرت الآية بالنداء، وهو نداء من الحبيب للحبيب، وتنبيه من الحبيب للحبيب، وقال الحسن:- إذا سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا) فأرفع لها سمعك، فإنه لأمر تؤمر به، أو لنهي تنهى عنه، وقال جعفر الصادق لذة في النداء، أزال بها تعب العبادة والعناء، يشير إلى أن المحب يبادر إلى إمتثال أمر محبوبه ، حتى لو أمر بإلقاء نفسه في النار.(٣)

وحين يحس المؤمن أن كل خاطرة في نفسه، وكل إحساس في شعوره وكل لفتة، وكل نظرة وكل خالجة وكل سر، ينبغي أن تكون – في هذا الشهر خالصة – نظيفة متطهرة تصلح للصيام والتبتل، والتوجه الكامل إلى الله .. حينئذ تملأ التقوى القلب وتنطلق الروح إلى آفاق عالية من النور المشرق الوضئ.

إنها التقوى لله غاية الصيام .. التقوى التي تنشأ من الطاعة. الطاعة التي تتطوع بالامتناع عن شهوات النفس وشهوات الجسد، في حين تملك ألاّ تمتنع ولا تطيع ! أي بناء نفسي فريد الذي بناه القرآن الكريم لهذه النفس.(٤)

وإن الإنسان عندما ينوي الصوم يعرف أنه يقبل على الله بهذه الطاعة التي هي سر خفي بينه وبين ومولاه فيظل نهاره خاشعاً موصول القلب بالله

---

(١)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٦٤.

(٢)- سورة البقرة الآية: ١٨٣.

(٣)- **ينظر**: تنوير الأذهان: ١٢٨/٢-١٣٠.

(٤)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية: ٦٥/١.

سبحانه وتعالى، فيبتعد عن كل ما يفسد عليه صومه ويقطع عنه طاعته ويدعو إلى سخط الله عليه وغضبه، ويقبل بنفس واعية تلمس أسباب الخير المفضية إلى رضائه وثوابه الجزيل.

فإذا استنجد به مستنجد ذهب لنجدته، وإذا طلب منه شخص عونه سارع الى تقديمه مادياً كان أو معنوياً، وإذا وجد ما يكرهه صبر واحتسب، وإذا وجد ما يسره شكر الله فتقرب، وهذا دليل على امتلاء النفس بالرضا والطمأنينة.(١)

(ومن الفوائد النفسية للصيام أنه يشعر الغني بآلام الجوع ويبعث في نفسه عواطف الرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين، فيدفعه ذلك إلى البر بهم والإحسان إليهم مما يقوي في المجتمع روح التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي).(٢)

وللصوم فوائد صحية فهو يعالج:-

١- اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية.
٢- زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الأكل وقلة الحركة.
٣- زيادة الضغط.
٤- البول السكري.
٥- أمراض القلب.
٦- التهاب المفاصل.
٧- بعض أمراض الجلد.
٨- علاج اضطرابات الهضم واضطراب الأمعاء.
٩- التهاب الكلى الحاد.

---

(١)- **ينظر**: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: ٨٨.

(٢)- القرآن وعلم النفس:- ٢٦٥

إذن هو بناء طبي فضلاً عن كونه بناءً نفسياً، فالباري عز وجل يريد لعباده المؤمنين أن يكونوا من أقوى الناس في جميع المجالات والأصعدة.(١)

فلقد أعتنى الإسلام بالشخصية الإنسانية ونشأتها، فأرادها تنشأ سوية في كل مراحل حياتها، ولاشك أن الإنسان المسلم لو سار وفق الآداب الإسلامية، وكان قلبه يتقلب في شريعة الله تعالى حيث تقلب، يحبها ويفديها بنفسه وماله واهله، يراعي أمر الله تعالى، وينسجم معه في كل شؤون حياته، وكأن شرع الله واحكامه هواه المتبع الذي يملي عليه أن يفعل، ويمنعه مما يخالف هواه، يسير وفق ما يحب الشرع ويرضاه، لو كان كذلك لما شعر بأي مرض نفسي من قلق أو أرق أو اضطراب.(٢)

الحج:

الحج هو استقطاب الحجيج من آفاق الأرض في بيت الله، في مؤتمر رباني يلبي خالقه، ويعاهده ويتضرع إليه في أخشع لحظات العمر – يوم عرفة، وعند الكعبة – بيت

الله – وفي شعاب مكة مهد الإسلام الأول، ورحاب المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، ودار الهجرة، وتأدية المناسك التي تهز المشاعر هزاً، وتنقل الجميع إلى رحاب رضوان الله وعفوه ومباهاته الملائكة بحجيجه ، والصلاة في المسجدين الحرام والنبوي، والسلام على نبي الهدى ﷺ، وهو معراج الروح الى الله عز وجل ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾.(٣)

---

(١)– **ينظر**: العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: ٩١، الإعجاز الطبي في القرآن: ٢١٤.

(٢)– **ينظر**: الإعجاز العلمي في السنة النبوية د. صالح أحمد رضا: ١٣٠٨/٢، مكتبة العبيكات، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

(٣)– سورة الذاريات الآية: ٥٠.

وهو مشهد الملايين متجردين من كل شيء إلا بما يشبه الكفن، وهي تضج بالدعاء لله عز وجل، ونحن أمام فريضة جمعت مبادئ التربية كلها، وهي كفيلة بما تحمله من معاني الخير والطهر أن تعيد للإنسان إنسانيته فيعود إلى دياره كما خلقه الله نقاء في الفطرة وإشراقاً في السريرة، وإخلاصاً يملأ عليه حياته ويدفعه إلى بذل نفسه وماله في سبيل إسعاد أمته وإخوانه.

وللحج فوائد نفسية عظيمة، فزيارة بيت الله الحرام، له الأثر الكبير في النفس وزيارة أماكن البطولات والمعارك يترك في المسلم انطباعاً نفسياً جميلاً له الأثر البالغ في بناء النفس،وفي الحج تهذيب للنفس على التواضع والألفة في ارتداء هذه الملابس المتواضعة حيث لاحاكم ولا محكوم، كلهم سواسية في ميزان الله عز وجل، وهو أيضاً جهاد للنفس على تحمل الآلام و الجهد والتعب وعدم الخصام ومباشرة النساء(١).

قال تعالى ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَاب**﴾.(٢)

ففي الحج يصير محرماً عليه الأمور المحظورة عليه فلا جماع، ولا فحش من الكلام، ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات، من السباب والتنابز بالألقاب، ولا خصام مع الخدم والرفقة.

ولا جدال في الحج حيث كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون كلهم يدعي أن موقفه موقف إبراهيم عليه السلام، فقطعه الله حين أعلم نبيه بمناسكهم(٣).

---

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للكون والحياة:١٣٠، منهج القرآن في تربية المجتمع: ٢٢٢.

(٢)- سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٣)- **ينظر**: روح المعاني: ١/٨٥-٨٦، الدر المنثور: ١/٥٣٠.

والله عز وجل عندما يجمع الناس في هذا الموقف فيه أثر نفسي بالغ وتربوي دقيق هو أن الجماعة والوحدة هي أساس هذا الدين قال تعالى ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾.(١)

يأمر الله إبراهيم عليه السلام إذا فرغ من إقامته الأساس الذي كلف به، أن يؤذن في الناس بالحج، وأن يدعوهم إلى بيت الله الحرام، ووعده أن يلبي الناس دعوته فيتقاطرون على البيت من كل فج، رجالاً يسعون على أقدامهم وركوباً، وعلى كل ضامر جهده السير فضجر من الجهد والجوع.

وما يزال وعد الله يتحقق منذ إبراهيم عليه السلام إلى اليوم والغد، وما تزال أفئدة من الناس تهوى الى البيت الحرام وترف إلى رؤيته والطواف به ..الغني القادر الذي يجد الظهر يركبه ووسيلة الركوب المختلفة تنقله؛ والفقير المعدم الذي لا يجد إلا قدميه، وعشرات من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة تلبية لدعوة الله التي إذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام، فهم يؤتون على ضوامر الإبل، وهم يحضرون من بلاد نائية وسفر بعيد إذعاناً للدعوة وإجابة لأمر الله قياماً بما أفترض عليهم،حيث يودعون الأحقاد والخلافات ويقبلون على الله عز وجل تحت صعيد واحد وكلمة واحدة وتلبية واحدة ولسان حالهم يقول (لبيك اللهم لبيك *لبيك لا شريك لك لبيك).(٢)

والذين يذهبون إلى الحج صافية قلوبهم لهذه الفريضة، يحكون عجباً ويحسون عجباً.

إن حالات (الوجد) التي تستجيشها في وجدانهم من زيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها لهي حالات عجيبة نادرة المثال في واقع الحياة.

---

(١)- سورة الحج الآيات: ٢٧.

(٢)- **ينظر**: في ظلال القرآن: ٢٤١٨/٤، التفسير الفريد للقرآن المجيد: ٢٠٤٠/٣.

حالات ترتفع فيها النفوس عن ملابسات الأرض، ومطامع الأرض، وشهوات الأرض، وتتجرد لله خالصة، تتوجه إليه أن يتقبلها في عباده، ويمنحها مغفرته ورضوانه.

والشفافية التي يحسها الناس هناك، وهم يسيرون حيث سار الرسول صلوات الله عليه ويصلون حيث صلى وحيث تنزل عليه الوحي، وحيث جاهد وصبر، وحارب وانتصر.

ففي هذه الأجواء ترتفع النفس بأجواء نفسية فريدة يحلق بها المسلم في أجواء جميلة، فهي الصلة الدائمة المستمرة بالله عز وجل.[1]

(فشعائر الحج تؤثر في مشاعر الحاج وسلوكه أيما تأثير، فترق نفسه وتسمو أحاسيسه، وتعمل دواعي الإيمان في قلبه وتسوقه نحو الفضائل، وينشط سائق الهدى في أعماقه فيبعده عن الرذائل ويكون موصول السبب برقابة الله عليه في غالب أحواله، فإذا ما زينت له نفسه الاقتراب من سيئة من السيئات همزته هذه الرقابة وذكرته بعقاب الله، فتخنس فيه وساوس الشيطان، وحل محله دوافع الهدى السالكة به الى ما فيه رضى الرحمان).[2]

---

(١)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية: ٦٦/١.

(٢)- العبادة وآثارها النفسية والاجتماعية: ٩٨.

المبحث الخامس

حساب النفس واليقظة الدائمة.

حساب النفس

مادام أمامنا حساب، فلابد من حساب مسبق، نبادر به أنفسنا- وتلك بديهة، أما حساب الله فأدق وأشمل واعدل واكمل من حسابنا ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾،(١) وللقرآن الكريم مع الحساب أروع صور لتنفذ إلى أعماق الضمير ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...**﴾،(٢) أما حساب الإنسان نفسه فهو انطلاقاً من هول المطلع، فان الإنسان ليفزع إلى نفسه ليحاسبها والى روحه ليقدم غذاءها الروحي الموصول بربه اشفاقاً على نفسه ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾،(٣) فهنا ينبعث دافع المحاسبة لدى المسلم- إذ هو مسؤول عن كرامة نفسه ومكانتها في الدنيا، ومسؤول عن مصيرها في الأخرى.

أما وسيلة المحاسبة؛ فمعرفة النفس- معرفة خصائصها الفطرية، لأن المعرفة مفتاح التوجيه السلوكي ومفتاح التكيف العلمي السليم. والتوجيه من غير علم خبط عشواء، والتوجيه عن علم لهو كبد الصواب.

أما ميزان صلاح النفس- فهو حب الله وحب ما يصدر عن الله ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾،(٤) أما قواعد الحساب فهي ان تشغل عن نقد غيرك باصلاح ما تراه في نفسك من عيوبهم ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾.(٥)

---

(١)- سورة البقرة الآية: ٢٨١.

(٢)- سورة الأنبياء الآية: ٤٧.

(٣)- سورة التحريم الآية: ٦.

(٤)- سورة الأنفال الآية: ٢.

(٥)- سورة البقرة الآية: ٤٤.

أما اليقظة الدائمة فهي ملازمة النفس والمحاسبة رقابة لدوافع السلوك وللنتائج وهي دائماً تستلزم يقظة مستديمة وانتباهاً وحذراً لتنفيذ أهدافها، إذ لا محاسبة مع غفلة، والله تعالى ينبه رسوله الحكيم إلى اليقظة الدائمة[١]

﴿وَلا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ﴾.[٢]

الصبر:

الصبر وذكر الله عز وجل، والتوبة والاستغفار لمسات وإشارات خفية تساعد النفس الإنسانية على بناء شخصيتها، لأن كل أمر من هذه الأمور الأربعة عامل نفسي يبني النفس، حيث الصبر على نكبات الدهر ومصائبه يعلم النفس التهذيب والتربية، ولهج الناس بذكر الله عز وجل لا يجعل للشيطان مكاناً في قلب الذاكر، وتبقى التوبة التي هي الشعور الحسي الفياض الذي طالما لمسه المؤمن إذا ما أرتكب ذنباً أو معصية، فيجد أن له رباً يتوب عليه فتجد نفسه اطمأنت وسكنت، لما تعلم من الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا، والاستغفار الذي يزول به الهم والحزن وتحقق السكينة النفسية والرضا .

وسوف نقوم بدراسة هذه الألفاظ بشيء من الاختصار:-

١- **الصبر:- الصبر في اللغة:-** الحبس والكف، ومنه: قيل فلان صبراً، إذا أمسك وحبس[٣]، ومنه قوله تعالى **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.**[٤]

أما في الاصطلاح : فهو حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، ويكون الصبر على حقيقته ،إذا حبس العبد نفسه ووفقها مع سنن الله وآياته في نفسه وفي الآفاق، ومع نعم

---

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي: ١٣٥-١٣٩.

(٢)- سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

(٣)- لسان العرب مادة صبر: ٤٣٨/٤.

(٤)- سورة الكهف الآية: ٢٨.

الله عليه، ومع أسماء الله وصفاته وآثارها، وما تقتضيه من هدي الفطرة ونورها، ومع رسله ورسالاته، فعندئذ يذوق حلاوة الصبر، ولذلك قرنه الله مع الصدق والشكر في كثير من المواضع، كما في قوله تعالى ﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾.(١) الصبر مفتاح الفرج، ولا يفيد مع المصيبة الجزع، بل يجب أن يكون رائد المصاب بمصيبة الصبر والصلاة قال تعالى ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾.(٢)

أمر الله عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا بالاستعانة بالصبر والصلاة، وأعلموا أنها من طاعة الله، والصلاة أكبر العون على الثبات في الأمر.

وأنها جلاء القلوب والأرواح، واستعينوا بهما أيضاً على أنفسكم الأمارة بالسوء، وإن الصلاة لشاقة صعبة الاحتمال إلا على المخبتين لله الخائفين من شديد نقمته وعذابه وإنما تثقل عليهم لأنهم مستغرقون في مناجاة ربهم فلا يشعرون بشيء غيره.(٣)

والصبر على ثلاثة أنواع:-

١- صبر على طاعة الله.

٢- وصبر على معصية الله.

٣- وصبر على امتحان الله.

فالأول والثاني صبر على ما يُتعلق بالكسب، والثالث:- صبر على ما لا كسب للعبد فيه.

فالأول:- أن يكون الباعث له هو الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾.(٤)

---

(١)- سورة إبراهيم الآية: ٥.

(٢)- سورة البقرة الآية: ٤٥.

(٣)- **ينظر**: تفسير القرآن العظيم: ١/١٢٨-١٢٩، التفسير الفريد: ١/٤١.

(٤)- سورة النحل الآية:١٢٧ .

والثاني: وهو أن يكون الصبر الباعث له محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه.
والثالث:- وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، وهو أن يكون صابراً مع الله، أي قد جعل نفسه وقفاً على أوامره ومحارمه، فهو لذلك يكون في راحة نفسية كبيرة تزوده بالأمل الكبير في هذه الحياة .

وفي آية أخرى خص الصابرين بأنه معهم في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.(١)

وفي هذه الآية خص الله عز وجل الصابرين، وأرشدهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، فالصبر على المكاره تدركون مرضاتي، فإني مع الصابرين على القيام بأداء فرائضي وترك معاصيّ، أنصرهم وأرعاهم وأكلؤهم حتى يظفروا بما طلبوا، فالعبد أما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها، والله عز وجل يجازيه على الصبر على المصائب.(٢)

والذين آمنوا دائماً يتواصون بالصبر والرحمة قال تعالى ﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾.(٣)

فالصبر هو العنصر الضروري للإيمان بصفة عامة ولاقتحام العقبة بصفة خاصة والتواصي به يقرر درجة وراء درجة الصبر ذاته، درجة تماسك الجماعة المؤمنة وتواصيها على معنى الصبر، وتعاونها على تكاليف الإيمان،فهي أعضاء متجاوبة الحس، تشعر شعوراً واحداً بمشقة الجهاد لتحقيق الإيمان في الأرض، وحمل تكاليفه فيوصي بعضها بعضا بالصبر على العبء المشترك، ويثبت بعضها بعضا فلا تتخاذل، ويقوي بعضها بعضا فلا تنهزم، وهذا أمر غير الصبر الفردي، وأن يكون قائماً عن الصبر الفردي، وهو إيحاء بواجب المؤمن في الجماعة المؤمنة، وهو إلا يكون عنصر تخذيل بل عنصر تثبيت،

---

(١)- سورة البقرة الآية: ١٥٣.
(٢)- **ينظر** :جامع البيان: ٣٨٢/٢، تفسير القرآن العظيم: ٢٨٥/١.
(٣)- سورة البلد الآية: ١٧.

ولا يكون داعية هزيمة بل داعية أقتحام، ولايكون مثار جزع بل محيط طمأنينة.[١]

والباري عز وجل، يمحص رجال هذه الدعوة بالصبر على المحن، والصبر في الجهاد لهو أمر عظيم يتبين فيه قوة النفس على الصبر كما قال تعالى ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾.[٢] وبالله لنبلونكم ونعاملنكم معاملة المختبر بأمركم بالجهاد في سبيل الله وغيره، حتى نعلم ويعلم الكل حقيقة حالكم، وحتى يتميز للجميع المجاهدون الصابرون من المنافقين الكاذبين، والله يعلم السرائر وما تخفي الصدور.[٣]وفي قوله تعالى ﴿**إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾.[٤]

فالصبر في القتال شريطة النصر، والجزع مغبة الهزيمة، فإذا تعلم الإنسان الصبر على تحمل المشاق، ومصائب الدهر، والصبر على أذى الناس وعداوتهم، والصبر على عبادة الله وطاعته، وعلى مقاومة شهواته وانفعالاته، والصبر على العمل والإنتاج، فإنه يصبح إنساناً ذا شخصية ناضجة متزنة متكاملة منتجة فعالة، ويصبح عصياً على القلق، وفي مأمن من الاضطرابات النفسية. وبذلك يصبح المؤمن قادراً على تحقيق أهدافه العلمية والعملية، ويمكن من تحقيق أهدافه العظيمة والعالية، فالمؤمن الصابر لا يجزع لما يلحق به من أذى ولا يضعف ولا ينهار، إذا ألمت به مصائب الدهر وكوارثه، فقد وصاه ربه بالصبر، وعلمه أن ما يصيبه في الحياة الدنيا إنما هو إبتلاء ليعلم الصابرين منا، وقدم الباري عز وجل في آياته عوامل نفسية لها الأثر البالغ في البناء ونبه المؤمن أنه سيلاقي من الأذى ما يلاقي فعليه الصبر والثبات [٥].

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القرآن: ٣٩١٣/٦.

(٢)- سورة محمد الآية: ٣١.

(٣)- التفسير الواضح: ٣٢/٢٣، التفسير الفريد للقرآن المجيد: ٢٨٩٦/٤.

(٤)- سورة الأنفال الآية :٦٥ .

(٥)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٦٩-٢٧٠.

قال تعالى ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون أولئك عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾.(١)

وقال عز وجل ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور**﴾.(٢)

ومن الوهم الذي قد يقع فيه الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة أن مدافعة المصائب تناقض الصبر، وهذا وهم غير صحيح لأن حقيقة الصبر هي:- أن تثبت حيث أمرك الشرع بالثبات وأنت تقوم بما أمر الله بفعله أو أباحه لك.

والشرع أمرك بدفع ما يؤذيك، وبدفع ما يستحق الدفع والإزالة شرعاً ،وإن كان الجميع بقدر الله تعالى فالمصيبة التي يمكن رفعها ودفعها بإزالة أسبابها أو بعمل ما يدفعها، من الأمور المشروعة غير الممنوعة، وعلى الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة كلها أن يباشروا جميعاً باتخاذ الأسباب المشروعة لإزالة ما حلَّ فيهم من نكبات ومصائب، وأن يصبروا على ذلك بثبات وصبر والله تعالى دائماً مع الصابرين(٣).

وللإسلام قيمه الثابتة في الأخذ بيد الإنسانية، ايا كانت هويتها إلى شاطئ الامان، والسمو بها إلى اعلى مستوى تدركه طاقات الدعاة، وامكانات الدولة الإسلامية، إذ المسلمون جهود دفاقة للعمل والبناء يشحنهم صبر وإيمان ملتهب لا يهدأ ولا يخبو، وهم أبداً القادة لركب الحياة وهم الاسياد بفكرهم المسلم وصدق انتسابهم إلى الله عز وجل(٤).

---

(١)- سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢)- سورة آل عمران: ١٨٦.

(٣)- **ينظر** :السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: ٢١٧.

(٤)- **ينظر** :مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ٢٠.

ذكر الله عز وجل:

ذكر الله عز وجل المحرك الدائم للمؤمن في يومه، فقد رتب له الباري عز وجل، أن يذكره من الصباح وحتى العشاء في الصلوات الخمس فهي ذكر لله عز وجل، فمن أين يأتي للنفس القلق النفسي إذا كانت هي متصلة برب العالمين الذي هو في رعايته وحمايته من الصباح وحتى العشاء.

وبهذا الذكر تطمئن القلوب ولا تضطرب ، قال تعالى ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب**﴾.(١)

فالذكر يؤدي الى تزكية النفس وصفائها، فالقلوب تسكن وتستأنس بذكر الله، إلا بذكر الله تستأنس قلوب المؤمنين.

والله عز وجل يقرر أنه يقضي بالهدى لمن ينيب إليه، فيدل هذا على أنه إنما يضل من لا ينيب ومن لا يستجيب ولا يضل منيباً ولا مستجيباً، لأن ذكر الله عز وجل هو الذي تطمئن إليه النفوس.(٢)

وجاء الأمر به مطلقاً ومقيداً في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾.(٣)

وفي قوله تعالى ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾.(٤)

والقرآن ذكر وخلود للمسلمين، هذا وان قراءة القرآن الكريم واستيعاب معانيه وحفظه والعمل به والخشوع الكامل هو الغذاء الكامل للروح والنشاط

---

(١)- سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٢)- **ينظر**: جامع البيان: ١٣/١٤٥، في ظلال القرآن: ٤/٢٠٧٢.

(٣)- سورة الأحزاب الآيات: ٤١-٤٣.

(٤)- سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

الكامل للنفس، فهو الحياة في أنشط حالاتها ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾.(١)

والذكر في اللغة: الصيت والثناء والمسموع الحسن الجميل، والمعنى في القرآن الكريم ينبه إلى ذكر الله فاعرفوا له ذلك(٢) قال تعالى ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾.(٣)

والذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه أتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب.

وقد جاء الأمر به في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراوَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾.(٤)

وإما النهي عن ضده: فكقوله ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾.(٥)

وقوله ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.(٦)

ومن شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر؛ فإنها رياض الجنة،عن جابر ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال (يا أيها

---

(١) –سورة الأنبياء الآية: ١٠.

(٢)– **ينظر**: لسان العرب ١٦٥/٨، والفائق ١٣/٢. وينظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ٢٢٣، دار الكتاب العربي.

(٣)– سورة ص الآية: ١.

(٤)– سورة الأحزاب الآية: ٤١–٤٢.

(٥)– سورة الأعراف الآية: ٢٠٤.

(٦)– سورة الحشر الآية: ١٩.

الناس، ارتعوا في رياض الجنة قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة ؟ قال (مجالس الذكر) ..الحديث).[١]

إذن في هذه المواطن منافع روحية وعقلية وبدنية ونفسية للمؤمن، فكلما كانت تيارات نفسه موجهة نحو ميزان العمل الإسلامي رقت وتقدمت في هذه الرياض[٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له: حمدان ، فقال:(سيروا هذا حمدان، سبق المفرِّدون، قيل: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال، الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)[٣].

وعن معاذ بن جبل، قال سألت رسول الله ﷺ: أي الإعمال أحب إلى الله ؟ قال: ﴿أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل﴾.[٤]

والذكر: هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن (الغفلة) ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره:

والذكر نوعان:-

الأول:- ذكر أسماء الرب – تبارك وتعالى – وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى.

الثاني:- ذكر أمره ونهيه وأحكامه.

ومن ذكره سبحانه: ذكره بآلائه، وإنعامه، وإحسانه ومواقع فضله على عبيده، وهو أيضاً من أجِّل أنواع الذكر.

---

(١)-مسند أحمد: ١٥٠/٣.

(٢)- **ينظر**: علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني: ٢٢٤.

(٣)- صحيح مسلم ٢٠٦٢/٤، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله.

(٤) – مسند أحمد: ١٦/٦، اسناده صحيح، مسند احمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: ٢٢٦/٢٩.

ومن علو الهمة في الذكر الخلاص من القيود، والبقاء مع الشهود، ولزوم المسامرة أما الخلاص من القيود: فهو التخلص من الغفلة والنسيان، والحجُبُ الحائلة بين القلب وبين الرب سبحانه.

والبقاء مع الشهود:- ملازمة الحضور مع المذكور، ومشاهدة القلب له، حتى كأنه يراه.ولزوم المسامرة: هي لزوم مناجاة القلب لربه؛ تملقاً تارة وتضرعاً تارة، وثناءً تارة، واستعظاماً تارة، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والقلب، وهذا شأن كل محب وحبيبه.

ومن نتائج الأعراض عن ذكر الله عز وجل: في الدنيا:-

أولاً- نتائجه على العاملين:-

١- **علة البدن:**- إن الأثر الأول الذي يتركه الإسراف إنّما يكمن في علة البدن، ذلك أن هذا البدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين، والقوانين الإلهية، بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص تطرقت إليه العلة في الإعراض عن ذكر الله، وحين تتطرق العلة إليه، فإنه يقعد بالمسلم عن القيام بالواجبات، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، أو المرتبطة به.

٢- **قسوة القلب:**- الأثر الثاني الذي يترتب عن الأعراض عن ذكر الله عز وجل، ذلك أن هذا القلب يرق، ويلين بالجوع، أو بقلة الغذاء، وحين يقسو القلب، أو يجحد، فإن صاحبه ينقطع عن البر والطاعات ، والويل كل الويل لمن كانت هذه حالته ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾.(١)

٣- **خمول الفكر:**- ذلك أن خمول الفكر ونشاطه مرتبط بعدة عوامل، ويوم أن يصاب الفكر بالخمول يوم أن يحرم المسلم الفقه والحكمة، وحينئذ يفقد أخص الخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات.

٤- **تحريك دواعي الشر والإثم:**- لأن الإعراض يولد في النفس طاقة ضخمة، ووجود هذه الطاقة من شأنه أن يحرك الغرائز الساكنة، أو الكامنة في

---

(١)- سورة الزمر الآية: ٢٢.

هذه النفس، ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على الصوم لمن لم يكن قادراً على مؤن النكاح.

ومنها الانهيار في ساعات المحن والشدائد، وعدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين، وأما آثاره على العمل الإسلامي، فسهولة القضاء عليه، أو على الأقل تأخيره إلى الوراء عشرات السنين، نظراً لأن السلاح الوحيد الذي يواجه به أعداء الله هو الإيمان بالله عز وجل وذكره في كل حال.(١)

ويبقى السؤال ما أسباب الأمراض النفسية التي تؤدي إلى حدوث هذه الأمراض؟ لبيان ذلك سوف نقوم بجولة مختصرة لبيان هذه الأمراض ونحصرها في ستة أمراض:- قبل الشروع في بيان هذه الأمراض يمكننا أن نقول إن أكثر الأمراض انتشاراً في عالمنا الذي نعيشه هذه الأيام هي الأمراض النفسية فثلثا الأسَّرةِ في المستشفيات – في عالم الغرب غير المسلم – مخصصة لهذه الأمراض النفسية، وثلثها الباقي لسائر الأمراض العضوية، إن هذه الحال التي عليها الغرب، وقلة الأمراض النفسية في عالم المسلمين، ليحتاج إلى وقفة متأنية منا فاحصة لهذه الأمراض نستبين من خلالها السبب الرئيس الذي أبعد عالمنا الإسلامي شبح النفس المريضة المتهافتة التي لا تقوى على مجابهة أي حدث من الأحداث اليومية التي تقابلها في كل لحظة من لحظات حياتها، وقد أجمل رسول الله ﷺ هذا السبب في صيغة تعجيبية جميلة فعن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير – وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن – إن اصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له﴾.(٢)

فيمكن أن نستخلص أسباب الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان وهي:-

---

(١)- **ينظر**: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح: ٤٨/١، دار الفرقان، ط١ ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٢)- مسند أحمد ١٦/٦، اسناده صحيح على شرط مسلم، مسند احمد، تحقيق شعيب الارنؤوط: ٣٥١/٣٩.

السبب الأول: ضعف الإيمان.

فالمؤمن الواثق أن ما ينزل به من أمور هي من قضاء الله وقدره، والعبد المؤمن برزقه، المتوكل على الله عز وجل، وأثر نجاحه وفشله هو بسعيه، فهذا لا يصيبه المرض النفسي ولا يتطرق إليه، لأن الإيمان ومحله القلب–هو المحطة الأساسية التي تقف عندها أول ما نقف في كل شؤوننا في كل اتجاهاتنا فإذا قوي الإيمان قويت النفس وعزَّت وأبدت تفهمها لمجريات الحياة، وإن ضعف الإيمان ضعفت النفس وهزلت وأصبحت مكاناً موبوء للمرض النفسي، وفوجئت بأي طارئ في الحياة.

السبب الثاني:– إهمال التربية على الصفات الحميدة.

فبين الله تعالى أن النفس الإنسانية خيوط تربطها بالتقوى والصلاح وأخرى تربطها بالفجور والطغيان، ويبقى على الإنسان أن يطهر نفسه من الصفات الذميمة ويقوي فيها الصفات الطيبة فيفلح وينجح بعد ذلك.

السبب الثالث:– الظلم:– فالظلم بالنسبة للظالم مرض، فإن الإنسان لا يقوم بظلم غيره، أو يتسبب في ظلم أحد من الناس إلا لمرض داخلي ينتابه، إذ لو كان سوياً لما أقدم على ظلم غيره.

والظلم وضع الشيء في غير موضعهِ الشرعي، وصاحب الإيمان الضعيف قد يكبت هذا الظلم في نفسه ليتفاعل مع ما فيها من رغبة في الانتقام، أو حق على المجتمع، وما أشبه ذلك من الأمراض.

فدفع الظلم عن المجتمع الإسلامي، ورفعه عن تعاملهم فيما بينهم طاعة لله تعالى، واذعاناً لأوامره، واتباعاً لسنة المصطفى ﷺ يبعد عن المجتمع سبباً كبيراً من أسباب الأمراض النفسية، سبق الرسول ﷺ كلها في التنبيه إليه والإبعاد عنه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

السبب الرابع:– شعوره بالفقر: وطلبه المزيد؛ فمن الأسباب التي تورث أمراضاً نفسية وعقداً راسخة في النفس الإنسانية ما يقع في هذه الحياة الدنيا من مصائب تصيب أفراداً، أو جماعات بخسائر فادحة في المال، أو الجسد أو

الأهل أو الأولاد وكذا الأمراض التي يقع فيها الإنسان أو أحد أفراد أسرته فيتقلب في الألم ويتلوى من شدته، مما يكون له الأثر الكبير في نفسه. ولاشك أن استحضار الإيمان بالله وأنه خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وأنه فعال لما يريد وأن الصابر على البلاء له أجر كبير، وأن الإيمان بالقضاء والقدر أصل أصيل في الإيمان يرجع إليه الإنسان في كل ما يجري عليه من أمور الدنيا.

السبب الخامس:- الفراغ: حيث لا يكون عند الإنسان أي عمل يقوم به ويشغل به نفسه فتمضي النفس الإنسانية في شتى مناحي الفكر في أحلام اليقظة، ويكون للشر مجال واسع في فراغ الإنسان وعدم وجود شغل يشغل به هذا الفراغ.(١)

فالنفس الإنسانية تكون سليمة من الأمراض النفسية من خلال:-

١- الخلو من الانحراف- قوله تعالى **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**.(٢)

٢- تحقيق التوازن- قوله تعالى **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِين﴾**.(٣)

٣- تحقيق التوافق- قوله تعالى **﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾**.(٤)

٤- تحصيل السعادة- قوله تعالى **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾**.(٥)

---

(١)- **ينظر**: الإعجاز العلمي في السنة النبوية: ١٣٣٦-١٣٧٣.

(٢)- سورة الشمس الآيات:٩-١٠ .

(٣)- سورة القصص الآية : ٧٧ .

(٤)- سورة الإسراء الآية :٨٤ .

(٥)- سورة الضحى الآية :١١ .

٥- تحقيق الذات- قوله تعالى ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾.(١)

٦- حسن الخلق- قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.(٢)

٧- والتاريخ الإسلامي حافل بنماذج إنسانية عظيمة كانت في صحة نفسية، وتحملت العذاب في الدنيا في سبيل السعادة في الآخرة، فأقبلوا على الموت فرحين مستبشرين.

فهؤلاء وجدوا في تحقيق ذاتهم في عمل يرضي الله عز وجل فأخلصت وصدقت وصبرت واحتسبت، فرضي الله عنهم، ورضوا عنه، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فسعدوا في الدنيا والآخرة.(٣)

والباري عز وجل يذكر من يذكره، فالذي يذكر الله عز وجل فسوف يملأ الله قلبه نوراً ونوراً في سمعه، وتكون المجازاة بالثواب، قال تعالى ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾.(٤)

إن الله كلفنا في هذه الآية بأمرين:- الذكر، والفكر، أما الذكر فقد يكون باللسان أن يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقرؤا كتابه، اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي، واذكروني بالثناء والطاعة، أذكركم بالثناء والنعمة، اذكروني في الدنيا أذكركم بالآخرة، اذكروني في الخلوات أذكركم في الفلوات اذكروني بمجاهدتي

---

(١)- سورة هود الآية : ٦١.

(٢) -سورة الأنعام الآية :٦٨.

(٣)- **ينظر** :مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية السنة الخامسة، تعريفات الصحة النفسية في الإسلام د. كمال إبراهيم مرسي العدد الثاني عشر، ٢٢٠-٢٥٨ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

(٤) سورة البقرة الآية:- ١٥٢

أذكركم بهدايتي، اذكروني بالصدق والإخلاص، أذكركم بمزيد من الاختصاص، اذكروني بالربوبية في الفاتحة أذكركم بالرحمة والعبودية في الفاتحة، اذكروني بالطاعة قلباً وقالباً، فيعم الذكر باللسان والقلب والجوارح، وعلى كل حال فالذي يذكر الله عز وجل، فإن الله سيذكره، والذي يذكره الله فلا يخاف بخساً ولا هضما.[1]

والإعراض عن ذكر الله عز وجل نتيجة الهدم النفسي والقلق الدائم المستمر، وإن كان ظاهر الأمر الرضا، ولكن هذه النفس تحمل في أعماقها أغوار ليس لها قرار. فعبر القرآن الكريم عن الإعراض عن ذكر الله بالمعيشة الضنك فقد قال تعالى في ذلك ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾.[2]

أي ومن أعرض عن القرآن الكريم؛ أي انقطع عن الاتصال بي، لانشغاله في الدنيا، وذلك جزاء على عدم الذكر في الأولى حتى إذا سأل (رب لمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) كان الجواب (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)، ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه، أسرف فألقى بالهدى من بين يديه، وهو أنفس شراء وأذخر، وأسرف في أنفاق بصره في غير ما خلق له فلم يبصر من آيات الله شيئا، فلا جرم يعيش معيشة ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى، فهو في خزي وضنك في الدنيا والآخرة.[3]وقال تعالى ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾.[4]

---

(١)- **ينظر**: تفسير الفخر الرازي: ١٥٨/٤-١٥٩، روح المعاني: ١٩/٢.

(٢)- سورة طه الآية: من ١٢٤-١٢٦.

(٣)- **ينظر**: روح المعاني: ٢٧٦/١٦، في ظلال القرآن: ٢٣٥٥/٤.

(٤)- سورة العنكبوت الآية: ٤٥.

فالذكر في الصلاة وفي غير الصلاة أكبر نهياً وأعظم عن الفحشاء والمنكر من كل ما سواه، نعم فإن دوام الذكر يحقق المراقبة في كل لحظة وكيف يعصي ذاكر لمولاه.

لأن اللسان الذاكر لا يعرف المعصية لذكره لله عز وجل، والله يعلم ما تصنعون، لقد وصفت لكم ما تقوى به مراقبتكم فافعلوه، وثقوا أن الله يعلم ما تصنعون صغيراً وكبيراً سراً أو علانية وسيجازيكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه سبحانه، فالدوام على الذكر يعطي الفرد حصانة ربانية وحماية من الله عز وجل.(١)

والباري عز وجل أثنى على الذاكرين لله عز وجل وحسن جزائهم فقال تعالى ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾.(٢)

وأما خسران من غفل عنه فقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.(٣)

وقد ختم بالذكر الصلاة في قوله تعالى ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾.(٤)

---

(١)- **ينظر**: روح المعاني: ١٦٤/٢٠، التفسير الفريد: ٢٤٠٦/٣.

(٢)- سورة الأحزاب الآية: ٣٥.

(٣)- سورة المنافقون الآية: ٩.

(٤)- سورة النساء الآية: ١٠٣.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول ففي قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾.(١)

وأما مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها، وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة ،كقوله تعالى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾.(٢)

والمؤمن الذي يريد أن يسير في طريق التقرب إلى الله تعالى لا يكتفي بذكر الله كل يوم أثناء الصلاة فقط وإنما يقوم أيضاً بذكر الله كثيراً خارج الصلاة، وذلك بالإكثار من التسبيح والتكبير والابتهال والدعاء، وأن التقرب إلى الله تعالى بوساطة العبادات وتلاوة القرآن والأوراد والأدعية إنما يعمل على تعميق الإيمان في القلب، وبث الشعور بالأمن والسكينة في النفس، وهو بذلك في بناء نفسي وفي مأمن من القلق والاضطرابات النفسية(٣)، وذكر الله عز وجل هو مسك الختام في غذاء الروح وذلك ان ذكره عز وجل هو تذكير للإنسان بقيمته ومسؤولياته، وتذكير له باستقامة سلوكه وغزارة جهده، وذكر للقيم الإنسانية التي يحيا المسلم لنشرها والعمل بها، بل وذكر للحياة بأوسع معانيها. إذ أن خالق الحياة وخالق الإنسان وخالق الكون يوحي ذكره بجميع هذه المعاني، فمن غفل عن ذكر الله فقد غفل عن ذكر نفسه فنسي مسؤولياته في الحياة ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾،(٤) ومن غفل عن نفسه فقد فقد قيمته ووجوده وخسره المجتمع وهبط محراره إلى مادون الصفر، وان ذكر

---

(١)- سورة آل عمران الآيات: ١٩٠-١٩١.

(٢)- سورة طه الآية: ١٤.

(٣)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس:- ٢٧٣.

(٤) -سورة الحشر الآية: ١٩.

الله هذا الذكر الواعي الخاشع ليملأ قلب المؤمن الذاكر فرحاً وثقة بربه واطمئناناً بقربه، وأملاً أن يكون معه في أخراه كما هو قريب منه في دنياه[1].

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١٥٣- ١٥٥.

التوبة:

التوبة إلى الله عز وجل هي العطاء النفسي الكبير الذي يمحنه الله عز وجل للتائبين المنكسرين على بابه الراجين عفوه ،لأن المذنب يحس بثقل الذنوب على قلبه مما يؤدي إلى الاضطراب النفسي ؛فإذا وجد المسلم ان هنالك ربا يتوب عليه وإن بلغت ذنوبه عنان السماء فإن ذلك الأمر يعود عليه بالبناء النفسي الفريد .

ويمكن ان نعرف التوبة في اللغة والاصطلاح .

أما في اللغة:

فالتوبة لغة: (الرجوع عن الذنب وتوبة جمع توبة ومثل عزم و عزمة ، وتاب إلى الله توبةً ومتاباً)[١].

أما في الاصطلاح فهي: هي الندم والعزم على عدم الرجوع إلى ذنب بتوبة صادقة[٢].

والتوبة نهاية المطاف للنفس المؤمنة المذنبة، وهي الندم والشعور بانحراف سلوك إلى استقامة، وبهوى مضل إلى هدى مشرق، وبظلام انزاح عن القلب، إلى نور استوطنه وشع منه، وهو ليس ظاهرة تحمل عقدة الذنب، بل إنما هي عنصر اساسي لتكامل الشخصية الإنسانية المسلمة[٣].

ويهتم العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن خبراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب، فيراها في ضوء جديد بحيث لايرى فيها ما يبرر شعوره بالذنب وشعوره بالنقص، فيخف تأنيبه لنفسه ويصبح أكثر تقبلاً لذاته، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي.

---

(١)- لسان العرب ٢٠٣/١، مختار الصحاح: ٨٠.

(٢)- ينظر: مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي: ٣٢٣، مكتبة الشرق الجديد-بغداد.

(٣)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١٤١.

ويمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة؛ فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله، فتخف حدة قلقه. ثم أن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسانية لنفسه، وزيادة ثقته فيها، ورضائه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه(١).

وقد أمر الله تعالى بالتوبة فقال ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.(٢)

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.(٣)

وقال النبي ﷺ ﴿يا أيها الناس توبوا الى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة﴾.(٤)

والتوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو من معصية فلو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبهِ، وأن خلا عن ذلك، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، لو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما

---

(١)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٧٤.

(٢)- سورة النور الآية: ٣١.

(٣)- سورة التحريم الآية: ٨.

(٤)- صحيح مسلم٤/٢٠٧٥، كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب استحباب الاستغفار مسند أحمد ٤/٢١١.

أصل ذلك، فلابد منه[١]. ولهذا قال النبي ﷺ إنه لَيُغَانُ [٢]على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة.[٣]

والتوبة: هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بأيمانه وتوحيده، فقد انتظمت سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن فمن أعطى الفاتحة حقها – علماً وشهوداً وحالاً معرفة – علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني غيٌّ ينافي قصده وأرادته، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخراً ،وفي عدم القنوط من رحمة الله أمل واسع وفسيح وهو الأفق السامي الذي وضعه الله عز وجل أمام المذنبين في عدم اليأس من رحمته كما جاء في قوله تعالى ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾.[٤]

فقد عني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف عن نفسه أهل الإيمان والشرك، لأن الله عم بقوله (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف، ولا تيأسوا من رحمة الله، أن الله يستر الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها، وهو الغفور

---

(١)– **ينظر**: مختصر منهاج القاصدين: ٣٢٢.

(٢)– ليغان : (والمراد بالغين : فترات عن الذكر الذي شأنه أن يدوم عليه فإذا فتر عنه لأمر ما عد ذلك، وقيل: هي هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد) فتح الباري: ١٠١/١١ .

(٣)–صحيح ابن حبان: ٢٠٤/٣ كتاب البر والإحسان ، باب الأدعية .

(٤)– سورة الزمر الآية: ٥٣.

الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت وإنها لدعوة إلى العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله إن الله رحيم بعباده، وهل يعلم ضعفهم وعجزهم؟ ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه – ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، ويجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث !

ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنساني بناء واه، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا ما أفلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة الوثقى التي تشده.(١)

وجاء في قوله تعالى أنه يتوب على عباده، وأن عملوا السوء ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾.(٢)

(هذه الآية عامة لكل من عمل ذنباً، واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين، والسوء بجهالة يعم الكفر والمعاصي، فكل من عصى ربه فهو جاهل، حتى ينزع عن معصيته، ثم يتوبون من قريب معناه، قيل: المرض والموت، كل ما كان قبل الموت فهو قريب، والله عز وجل كتب على نفسه بمحض فضله أن يقبل توبة الذين يرتكبون المعاصي مطاوعة لحماقتهم،أو استجابة لنداء شهواتهم، إذ بادروا بالتوبة النصوح على قرب عهد من ذنوبهم والله سبحانه عليم بالتوبة الصادقة حكيم في قبولها والعفو عن صاحبها، وهو لا يعاقب التائب النادم على ما اقترف من إثم).(٣)

---

(١)– **ينظر**: جامع البيان: ١٦/٢٤.

(٢)– سورة النساء الآية: ١٧.

(٣)– الجامع لإحكام القرآن: ٥/٩٠-٩٢، التفسير الفريد: ١/٥١٦.

والله عز وجل يتوب على من يظلم إذا هو أقبل على الله عز وجل وأصلح ذاته، كما في قوله تعالى ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.(١)

فمن تاب بعد سرقته وأناب إلى الله فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، فأما أموال الناس فلابد من ردها إليهم.

والتصريح بذلك لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته، وأصلح أمره في التقصي لرد مال السرقة إن أمكن أو أن يستحل لنفسه من مالكه أو ينفعه في سبيل الله إن جهله، فإن الله يتوب عليه بأن يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة، وإن قبول التوبة تفضل منه، والله رحيم بعباده عز وجل.(٢)

والله عز وجل غفار لعباده، ولكن يجب أن تكون هذه التوبة خالصة ونصوحاً لله عز وجل قال تعالى ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.(٣)

فالله سبحانه غفور لمن تاب من شركه فرجع منه إلى الإيمان وذاق حلاوة الإيمان وأخلص الألوهية، ولم يشرك في عبادته أحداً، وأدى فرائضهُ التي افترضها عليه الله سبحانه وتعالى واجتنب المعاصي ثم اهتدى ولزم ذلك، فاستقام ولم يضيع شيئاً منه فأن الله عز وجل يغفر له ذنوبه ويتوب عليه، والتوبة ليست كلمة تقال، إنما هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح، ويتجلى أثرها في السلوك العملي في عالم الواقع، فإذا وقعت التوبة وصح الإيمان، وصدقه العمل فهنا يسلك الإنسان الطريق، على هدى من الإيمان، وعلى نور من العمل الصالح، فالاهتداء هنا ثمرة، ونتيجة للمحاولة

---

(١)- سورة المائدة الآية: ٣٩.

(٢)- **ينظر**: تفسير القرآن العظيم ٢/٣٠٠، روح المعاني ٣/١٣٤-١٣٥.

(٣)- سورة طه الآية: ٨٢.

والعمل.[١]وفي قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[٢]

وهذا شأن القلوب السليمة الصافية التي تعرف الحق وضَّاءً لاشك فيه، فلذا عندما يعرض عليها شيء من الإثم فإنها سترده ولن تقبله أبداً لأنها أعلنت التوبة لله عز وجل دون إصرار على الذنب[٣].

والعباد الذين إذا صدر منهم ذنب اتبعوه بالتوبة والاستغفار ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ فأنهم يجدون الله عز وجل تواباً رحيماً، وهي بشرى كبيرة تزف إلى التائبين، وتطييباً لقلوبهم، وبشارة لهم بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وإعلاء لقدرهم بأنهم علموا أن لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه[٤]،وحين تعرف النفس الإنسانية ذلك كله تكون قد تهيأت للبناء السليم، ويكون هذا أول هدف تقوم به هذه العقيدة الضخمة في حياة النفوس، ثم تكون الخطوة التالية هي إقامة البناء ذاته. هي بناء النفس بمقتضى هذا العلم الذي تعلمته من العقيدة، فإن لهذه العقيدة مقتضى، وتكون موجودة على الحقيقة إلا حين يتحقق مقتضاها في واقع الأرض، والبناء على مقتضى ذلك العلم يكون بتربية النفوس على طاعة الله عز وجل[٥].

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنوب وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده، إنما يدفعه إلى الاستغفار والتوبة والابتعاد عن ارتكاب المعاصي أملاً في مغفرة الله ورضوانه، وإذا تاب المسلم توبة نصوحاً، والتزم بطاعة الله وعبادته وبالعمل الصالح، ارتاح باله، واطمأنت نفسه وزال

---

(١)- **ينظر**: جامع البيان ١٩٤/٢٦، في ظلال القرآن ٢٣٤٦/٤.

(٢)- سورة آل عمران الآيات: ١٣٥-١٣٦.

(٣)- **ينظر**: الاعجاز العلمي في السنة النبوية: ٢/ ١٣٢٢.

(٤)- **ينظر**: تفسير القرآن العظيم ٥٥٧/١، التفسير الفريد ٤٢٧/١.

(٥)-**ينظر** : منهج التربية الإسلامية ٣٤٠/٢-٣٤١.

عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق واضطرابات الشخصية. لأن الشعور بالذنب ينتج من عدة أمور منها النقص بعدم الارتياح والطمأنينة لذلك الأمر لأن الباري عز وجل فطر الناس على فطرة الخير لا الشر.[1]

وإن هذه التوبة والندامة على كل خطأ أو معصية أو تفريط في حق الله مهما صغر، هي التي ترد الإنسان أبداً إلى نقائه وصفائه، وتزيح عنه غبار الذنب وظلمة المعصية، وتشرح صدره بالرجوع إلى الله والى الحق والصواب، ذلك ان الصغائر ممهدات للكبائر فاذا ألف المعصية هلك[2] ﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ**﴾.[3]

---

(١)- **ينظر**: القرآن وعلم النفس: ٢٧٥.

(٢)- **ينظر** :مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١٤٢.

(٣)- سورة آل عمران من الآية: ١١.

الاستغفار:

الاستغفار هو نتيجة حتمية للمحاسبة الواعية للنفس المقصرة المذنبة، والاستغفار طلب المغفرة من الله عز وجل، وشعور بالإثم فيما أخطأنا له من سلوك والالتجاء إليه أن لا يؤاخذنا بذنوبنا، وأن يرحمنا بألا نعود إليها، فهو يقظة الضمير في نبذ الشر وحوزة الخير، وهو رجعة الى الله رب الكون، نلوذ به من غضبه ونطمع في رحمته، وهو حياء من الله أن يرانا حيث نهانا، أو يفتقدنا حيث أمرنا، إنها التربية اليقظة والنفس المتفتحة والضمير الحي والإرادة الواعية.

والنفس التي تستغفر الله عز وجل، لها نصيبها من التفتح النفسي، أنه يهز الكيان النفسي كله ويوقظه وينشطه ويجدد حياته، إنها تجربة نفسية رائعة حية، كأنها لمسة رقيقة تلمس طرف عصب مكشوف، فيتفزز ويتأثر وينقل اللمسة إلى مركز الحس بكامل وقعها وكامل تدفقها، إنها عملية جميلة ممتعة .. تملأ الحياة ثراء وسعة ومتاعاً متجدداً على الدوام.(١)

فالاستغناء عن هذه الشعائر غير ممكن، لأنها هدف في ذاتها وواجب إلهي لابد من أدائه جعلها الله منهجاً ويبتعد عن مواطن الزلل والسوء فإذا لم تؤد غرضها فليس لعيب في الدواء وإنما العيب في المريض الذي لم يلتزم أوامر الطبيب الذي أرشده إلى طريقة تعاطي الدواء.(٢)

والاستغفار طريق الرزق، والأولاد، وطريق الآخرة بما فيه من جنات وأنهار كما في قوله تعالى ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراًوَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**﴾.(٣)

---

(١)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١٤٠، منهج التربية الإسلامية: ٤٦.

(٢)- **ينظر**: منهج القرآن في تربية المجتمع: ٢٣٤.

(٣)- سورة نوح الآيات: ١٠-١٢.

قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرْ اللَّهَ يَجِدْ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾.(١)

والتوبة والاستغفار يجتمعان، وذلك إن الإنسان لا يستطيع أن يقيم بنياناً في نفسه ما لم يزح البناء السابق غير المرضي، ولو بنى إلى جوار بناء فاسد، لاجتمع النقيضان، ولكان كاذباً فيما يبني وفيما يُبنى، فالاستغفار إزاحة صادقة لجميع آثار الذنب في النفس.

وتنظيف ونقاء الضمير لتلقي البناء الجديد والتوبة عهد مع الله ألا نعود وعهد على نقيض الذنب، وهو الخير الذي يأمر به الله لذلك قال تعالى ﴿**وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾،(٢) وليس معنى الاستغفار ادراك العصمة والكمال، إذ الكمال لله وحده، ولكنه غسيل للماضي في النفس وصفاء لها واطمئنان إلى رضوان الله عز وجل(٣).

لابد أن النفس حين ترى نفسها في الميزان تخرج دائماً بتقصير تتفاوت درجته، وإن التقي لينقطع عن الصغائر حين يحاسب نفسه بين يدي ربه، فإليه يهدي الله عز وجل أما يخفف من روعته ويهدئ من نفسه ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾.(٤) وحين ترتدع النفس في هذا الحساب الدائم، ويؤيد العقل كل حق في هذا الحساب ويخشع القلب له حينئذ يتجاوب السلوك تبعاً له من قول وكتابة وعمل حينئذ ينطلق المسلم بسلوك متين يتناسب ومكانته بين يدي ربه وبين المؤمنين وملازمة المحاسبة رقابة لدوافع السلوك والنتائج وهي جميعها تستلزم يقظة مستديمة وانتباهاً وحذراً، لتستنفذ أهدافها، إذ لا محاسبة مع غفلة، والله تعالى

---

(١)- سورة النساء الآية: ١١٠.

(٢)- سورة هود الآية: ٣.

(٣)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي: ١٤٣- ١٤٤.

(٤)-سورة هود الآية : ١١٤ .

ينبه رسوله الحكيم إلى اليقظة الدائمة ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِين**﴾.[1]

فلابد من الارتقاء بالروح من توافر أربع وسائل لا ينفك بعضها عن بعض هي:-

أ- طبيعة النفس.

ب- طبيعة الروح.

جـ- طبيعة التكيف.

د- وطبيعة الحياة.[2]

إذن لابد من:

١- تقييم الحاجة لتطوير علم النفس الإسلامي.

٢- وضع معايير سوية للسلوك البشري كما جاء بها الإسلام.

٣- ادخال نظرية الشخصية الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١)- سورة الأعراف الآية : ٢٠٥ .

(٢)- **ينظر**: السابق: ١٣٩-١٤٠.

المبحث السادس

أثر البناء النفسي على الأسرة

يبدأ القران الكريم بإقامة المجتمع الطاهر النظيف بضمير الفرد، فيطهر عقيدته ونفسهِ، ويسمو بدوافعه، ويوزع طاقاته بين الأرض والسماء وبين الدنيا والآخرة، وبيان الحاضر والآتي، ويتعهده بفرائض تروضه على الحياة النظيفة والخلق الكريم.

والأسرة هي الوحدة الأولى في المجتمع، والبيئة الصغيرة للفرد ولهذا أقامها القرآن الكريم على أساس من الحق والعدل والإحسان، وأحاطها بفيض من البر والمواساة والحب،أذن تربية أسر على قواعد القرآن الكريم وتعاليمه، له الأثر البالغ، والعامل النفسي الكبير في التعامل مع معطيات المجتمع بما يريد الله عز وجل، ولا يكون ذلك إلا بتوخي المبادئ القوية التي يشاد عليها صرح الأسرة، وتضمن بقاءها ونموها، قوية مثمرة، ثم بقوة الهيمنة على تلك المبادئ ومراقبة تنفيذها.[1]

والأسرة في الإسلام وحدة واحدة شديدة التماسك قوية الاواصر، فينبغي أن يكون هناك تعاون تام بين أفرادها، ويلزم أن يعرف كل منهم حقوقه وواجباته، بل إن الإسلام يذهب إلى مدى أعمق من الحقوق والواجبات، فهو يحث على الحب، وعلى الإيثار بين إفراد الأسرة، وهذا هو القرآن الكريم يوضح درجات الأسرة في الحب والقربى قال تعالى **﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾**.[2]

---

(١)- **ينظر**: منهج القرآن في التربية، محمد شديد:١٥٢،ط١ مؤسسة الرسالة والإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت: ١٦٠، دار الشروق، ط٤، ١٩٦٨.

(٢) سورة التوبة الآية: ٢٤.

وهذا يبين حب الله ورسوله والجهاد في سبيله يسبق كل حب ثم يأتي بعده حب إفراد الأسرة على النمط الذي أوردته الآية.[1]

والإسلام أهتم بالأسرة لأنها أساس المجتمع، وأدل شيء على مقدار أحترام الإسلام للأسرة، أن القرآن الكريم لم يتعرض لبيان الأحكام في ناحية من نواحي المجتمع كما بين أحكام الأسرة، فقد تكلم في المقام الأول في بنائها وهو الزواج؛ فذكر كثيراً من أحكام الزواج، ومن حيث الإنشاء، ومن حيث الأحكام المترتبة على العقد، فبين حقوق الزوجين، والواجبات التي لكل واحد منهما على الآخر، والقرآن الكريم لما بين أحكام الأسرة عناية منه بأحكامها، ولكي تكون دائمة باقية لا يرتاب في جزء منها مرتاب ولا ينحرف عن أحكامها منحرف، ولا يتأول لها متأول بغير ما أنزل الله سبحانه،ولكي لا يبتعد الناس عن تقليد غيرهم في أمر الأسرة، ويطمئن كل من يخضع إلى الحكم الإسلامي، إلى إنها أحكام الله عز وجل لا مناص له في الخروج عليها، إلا إذا خرج عن الإسلام.

وقد دلنا القرآن الكريم في محيط الأسرة على حسن أختيار الزوج والزوجة، ومعالجة نشوز الزوجة، وأنه شرع العلاج الوقائي، قبل معالجة إصلاح الخلافات خوفاً من الشقاق وانهيار الحياة الزوجية، التي يحرص القرآن الكريم على بنائها واستدامة بقائها.[2]

والقرآن الكريم أرشد إلى نكاح الصالحين، وإذا كانت نية الزواج صادقة، كان الإغناء والتيسر والتوفيق من الله عز وجل، كما في قوله تعالى ﴿**وَأَنكِحُوا**

---

(١)- **ينظر**: الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي: ١٠٥ د. احمد شلبي، دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج مباحث اجتماعية في نطاق الأسرة، وفي نطاق المجتمع وفي نطاق المال، ط٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣.

(٢)- **ينظر** :المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة: ٦٩-٧٠، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٠-١٩٧٠، موازين القران الكريم:٢٣٤، عز الدين بليق دار الفتح للطباعة، ط١،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.(١)

فالزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية. وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة، فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها، والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس، والإسلام نظام متكامل، لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال، ولا يجوز أن يقف الفقر عائقاً عن التزويج–متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه، فالرزق بيد الله عز وجل وقد تكفل الله بإغنائهم، إن هم اختاروا طريق العفة النظيف.(٢)

ومدخل تكوين الأسرة هو الزواج، كما في قوله تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾.(٣)

فالزواج حق مشروع للرجل، والمرأة متى بلغا سن الزواج، لأنه العامل في تحصين النفس، وتزكيتها، وصد جماحها، فيه يهدأ البدن من الأضطراب وتسكن النفس من معترك الصراع الأليم، وهذا ما صورته الآية أعلاه.(٤)

على أساس أن الزواج يقوم على نية العشرة الدائمة، التي لا تنقطع، وذلك لتحقيق الثمرة منه، والتي تتلخص في:

١– السكينة.

٢– المودة والرحمة.

---

(١) –سورة النور الآية: ٣٢.

(٢)– ينظر في ظلال القران ٤/٢٥١٤–٢٥١٥.

(٣)– سورة الروم الآية: ٢١.

(٤)– ينظر: منهجنا التربوي، عبد الحافظ الكبيسي:١٩٣، دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية، ط١، ١٠٤٧–١٩٨٧.

٣- التفكير في آية هذا الزواج.

وعلى هذا الأساس، فإن الزواج يحقق الجو الصالح لعملية التنشئة الإجتماعية.(١)

وبهذا حدد القران الكريم علاقات الأسرة، ودور كل فرد سواء بين الزوجين، أو الأولاد ولكن؛ ما العمل إذا أصاب هذا البنيان صدع أو ريح تكاد تودي به كما في حالات النشوز؟

يحدد القران الكريم أسلوب العلاج، الذي يتلخص في الآتي:

١- الموعظة الحسنة ٢- الهجر في المضاجع ٣- الضرب غير المبرح وهذا ما حددته سورة النساء. كما في قوله تعالى ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**﴾.(٢)

فإذا لم تجد هذه الوسائل فإنه يجوز الطلاق في هذه الحالة هذا بالنسبة للمرأة، أما إذا نشز الرجل، أو خافت المرأة نشوزه، فيمكن التوصل إلى الصلح بينهما، لتستمر الأسرة فإذا استحال الأمر، فللمرأة أن تتنازل عن حقوقها وتطلب الخلع من الزوج كما في قوله تعالى ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أو إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾.(٣)

---

(١)- **ينظر** :علاقة الوالدين بالطفل، وأثرها في جنح الأحداث: ١٤٢، مكتبة ألا نجلو- مصر ١٩٧٠.

(٢)- سورة النساء الآية: ٣٤.

(٣)- سورة النساء الآية: ١٢٨.

إن الغرض الذي نستخلصه من أسلوب القرآن الكريم هو:

أ- إصلاح ذات البين وتقوية العلاقة بين الرجل والمرأة في ما يكون لصالحهما.

ب- الإصلاح وحسم النزاع بينهما في بداية الأمر وخاصة داخل نطاق محدود كالأسرة.

جـ- القرآن الكريم قدم الأساليب والوسائل للإصلاح لكلا الطرفين إذا تعذرت هذه الطرق وحالت الحياة الزوجية من الاستمرار ارشد إلى الطلاق.

فالسكن والرحمة والمودة هو ما يؤديه إشباع الحاجة الجنسية بالزواج فأقر الإسلام مشروعيته. ومن الواضح أن الزنا يؤدي نفس الإشباع الجنسي لكن الإسلام لا يعترف به حاجة فلو كانت الحاجة في نظر الإسلام مجرد الإشباع بصرف النظر عن الآثار والمقاصد لكان المفروض أن يعترف به، لأنه يؤدي هذا الإشباع ولكن الحقيقة أن الإسلام ينظر في الحاجة إلى آثارها على الفرد والمجتمع، ومن ثم فهو يحرم الزنا ويصفه بأخبث الأوصاف ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا**﴾.(١)

وكذلك الآيات التي تحدثت عن تحريم الخمر نجدها تربط بين هذا التحريم وبين ما ينتج عن تعاطي الخمر من آثار ضارة في ذات الفرد وفي ذات مجتمعهِ، كالعداوة والبغضاء، وفقد العقل من ثم الصد عن ذكر الله وإقامة الصلاة.(٢)

وهذا هو شكل الخلية الأولى للأسرة أساساً للنظام الاجتماعي، الذي حدده القرآن الكريم، ووضع له أسساً وقواعد ابتداء بالزواج، وما يتخلله من أمور

---

(١)- سورة الإسراء الآية:- ٣٢.

(٢)- **ينظر**: الحاجات الاقتصادية في المذهب الاقتصادي الإسلامي، أحمد عواد محمد الكبيسي: ١٣٣، مط العاني بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

وحوادث حتى يكون دور الأسرة فاعلاً بما يترتب عليه من آداب القرآن الكريم الذي وضح دور المجتمع الذي هو عبارة عن مجموعة الأسرة.[١]

ولم يقبل لهذه العلاقة أن تفصل حتى في حال الكراهية كما في قولة تعالى ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾.[٢] ومن خلال ما تقدم يتبين:

١- إن القرآن الكريم عندما وضع هذه الأسس والمبادئ الدقيقة لتكوين الأسرة، هدفهُ إنشاء مجتمع صالح متمسك بمنهج الله عز وجل.

٢- لمس القرآن الكريم المناطق الحساسة في النفس الإنسانية ووضع لها العلاج الناجح والخطوات الدقيقة في بناء الأسرة.

٣- دعا الأسرة إلى الإلتزام بالمودة والمحبة والعدالة والتكامل، حتى لا تصطلي الأسر بنار الخلاف، أو الفرقة البغيضة. وفي جو كهذا يستطيع الفرد أن يحقق ذاته، ويحقق رغبة الاستعلاء في نفسه، دون أن يضطر للنزاع الفردي، ففي المجال متسع وفي الأرض سعة.

والقرآن الكريم، ينتقل بالمجتمع والفرد والأسرة من محيط الغفلة والكسل والسلبية إلى مرحلة النشاط والعمل والإيجابية، والخير ضد الشر، وخير الناس من بدأ بإصلاح نفسه، قبل أن يتصدى لإصلاح غيره، ورسول الله ﷺ يقول ﴿ خيركم خيركم لأهله﴾.[٣]

---

(١)- **ينظر**: فلسفة التربية الإسلامية:- ١١٦-١١٨.

(٢)- سورة النساء الآية: ١٩.

(٣)- سنن ابن ماجه ٦٣٦/١، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء.

ويقـول ﴿ أكمـل المـؤمنين إيمانـاً أحسـنهم خلقـاً وخيـاركم خيـاركم لنسائهم﴾.[١]

والقرآن الكريم عندما ينتقل بالإصلاح من الفرد إلى الأسرة حتى تكمل حلقة الوصل بينهما فيقول ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾.[٢]

أي أدبوهم وعلموهم، واعملوا بطاعة الله، واتقوا المعاصي وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وان عليكم أن تسندوا النصح لأهلكم من الزوجة والولد والخدم، وكل من يكونوا في كنفكم، فالنار عليها زبانية غلاظ الأقوال في التقريع والتوبيخ قساة، عملهم تنفيذ أمر الله عز وجل، فلا عذر في هذا اليوم، فقد مضى من الإعتذار والتوبة، فأعملوا بما يريد الله عز وجل ما زلتم على ساحة الأرض.[٣]

وحذر القرآن الكريم على مسايرة النزعة الطارئة، وأرشد إلى محاربتها وعدم التأثر بها، بل شكك في وجدانها، والشعور بها، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾.[٤]

والقرآن الكريم كذلك رسم العلاج في حالة التفاقم وشدة الخلاف وعجز الزوجين بأنفسهما عن إزالته كما في قوله تعالى ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**

---

(١)- سنن الترمذي ٤٤٦/٣، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها. وهذا حديث حسن صحيح

(٢)- سورة التحريم الآية: ٦.

(٣)- **ينظر** :تفسير القران العظيم ٢٢٠/٦، التفسير الفريد للقران المجيد ٣١٣٨/٤.

(٤)- سورة النساء الآية: ١٩.

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيرا﴾.[1]

فالآية تشير إلى الإجمال في القول، والمبيت والنفقة وقيل هو أن تضع لها كما تحب ان تضع لك، فإذا كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن، فعسى الله أن يرزقكم منها ولداً صالحاً، وتتحول هذه الكراهية إلى محبة وعاشروهن بما لا ينكر الشرع والعرف والطبع، ليبقى البيت محافظاً على توازنه.[2]

فان الله تعالى لما ذكر نشوز المرأة بين أن على الزوج أن يعظها، ثم يهجرها، ثم يضربها، فإذا لم يبق بعد الضرب إلا المحاكمة فيجب أن ينصف المظلوم من الظالم، فيبعثوا حكماً عادلاً عارفاً حسن السياسة والنظر في حصول المصلحة فان أراد تأليفاً وفق الله بينهما ويحصل ما يريدان.[3]

فالقرآن الكريم في خطواته المتناسقة، رسم الحياة السعيدة الهانئة للأسرة، إنما يريد بذلك أن تعيش الأسرة في أمن نفسي واستقرار، والذي ينبغي أن يتوفر في كل نفس "إنسانية" لها مهمة تقضيها على هذه الأرض غير مهمة الحيوان؛ أما إذا أطلق الحبل على غاربه، فيكون هذا القلق الدائم هذا الضغط العصبي، هذا الجنون، هذا الانتحار. وإذا أطلقت الأسرة هذه الشهوات من دون حدود فلم تعد أسرة فيها راحة وسكن ورابطة زوجية، ولا أطفالاً يمسكون بأيديهم الرقيقة حبالها، فتتوثق وتتعمق في الوجدان .أما الجنس فهو دافع من دوافع الفطرة،

---

(١)- سورة النساء الآية: ٣٥.

(٢)- **ينظر**: تفسير الخازن ٣٣٨/١، التفسير الواضح٨٢/١.

(٣)- **ينظر**: تفسير الفخر الرازي ٩٤/٥-٩٥، روح المعاني: ٢٦/٣-٢٧.

وليس حوله طيف من استفزاز وإنكار لقوله ﷺ ﴿حبب إلي من دنياكم: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة﴾.[1]

(...وأن في بضع أحدكم) [أي ممارسة العمل الجنسي مع الزوجة] لأجر، قالوا يا رسول الله! إن أحد يأتي شهوته ثم يكون له أجر؟ قال أريتم أن وضعها في حرام أليس عليه فيها وزر؟ فإذا وضعها في حلال فله عليها أجر)[2].

وفي قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾.[3] وقوله ﷺ ﴿أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾.[4] صورة رائعة طاهرة نظيفة، تصورها الآية الكريمة وحديث الحبيب محمد ﷺ مشروعية ممارسة ما أحل الله وشرعه وهو الزواج.

وقد حرص القرآن الكريم على أن يعيش الشاب المسلم عندما يخرج من أسرته أن يجد ما يساعده على السيطرة على دافعه الجنسي، ولا يعرضه إلى ما شأنه أن يثير هذا الدافع، ولذلك طالب القرآن الكريم بغض النظر، كما طالب النساء بإخفاء زينتهن وممارستهن الخلقية، التي قد تفتن الرجال كالشعر والعنق والصدر، كما في النداء القرآني في قوله عز وجل ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ**

---

(١)- سنن النسائي ٦١/٧، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء.

(٢)- صحيح مسلم ٦٩٧/٢ كتاب الزكاة باب بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من أنواع المعروف.

(٣)- سورة الحديد الآية:٢٧.

(٤)- صحيح البخاري ١٩٤٩/٥، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.(١)

فالتربية الإسلامية معنية بالنمو العاطفي عنايتها بكل أنواع النمو في الكائن البشري.

فالإسلام يهدف إلى إقامة أسرة ومجتمع نظيف، لا تهاج فيهما الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي.

والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسد العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون، وإلا أن يفلت أمام الأعصاب والإرادة. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، واما الإمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة، أو هي تكاد تكون عملية تعذيب.

ولكن قد يكون المؤمن المتعمق في آلاء الكون، والقائم بالليل والمسبح بالنهار، قد تكون العملية أخف وطئاً وضراوة.(٢)

فالفتاة النظيفة لا تجد أن تتزوج . ولا أن تحقق- رسالتها في الحياة، والفتى النظيف في حيرة من أمره لا يصل إلى شئ مما يريد. وهذا إن ظلا على نظافة فهذا الإغراء كله، والفتنة الجائحة، والصور المثيرة والنسوة العارية، والمشية الخليعة، والقصة الخليعة، والأغنية الداعرة، والاختلاط الدنس، والجو الموبوء..

---

(١)- سورة النور الآيات: ٣٠-٣١.

(٢)- **ينظر** :في ظلال القران: ٤/٢٥١٠-٢٥١١.

ما نتيجة كل هذا بالنسبة للأطفال والمراهقين الشباب؟ كيف يكونون مسلمين؟ وما هو الأثر النفسي المتروك لهم؟ كلا لا يمكن أن نحلم في الخيال، ونفترض أن يكونوا مسلمين فيجب مسك القيادة بشدة، لنفوز برضا الله.[1]

بعد هذه الجولة التي قضيناه داخل الأسرة يتقرر لنا وبأدق عبارة وأوضحها، أن الباري عز وجل يريد من المسلم أن يتبع منهجه ويطبقه بكل تفاصيله في كل نواحي الحياة، وأن تكون نفوسنا متأثرة بهذا المنهج، ومطبقة له على أرض واقع الحياة، وذلك حتى نخرج بنتيجة ينشدها العالم بأسره هي أن نكون "سعداء" في الحياة، وهذا الأمر يكون باتباع القرآن الكريم، وجعله دستور الحياة الخالد.

وينتقل القرآن الكريم إلى جانب آخر مهم في الأسرة، وهو أتجاه الفطرة، الذي حرص القرآن الكريم على تهذيبه، هو التكافل بين الوالدين والأبناء، ويبرز حقوق الأباء ويلزم الأبناء تجاهم بمسؤوليات دقيقة لا يمكن تجاوزها، كما في قوله تعالى ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أو كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا**﴾.[2]

حيث أمر الله سبحانه وتعالى أن لا يعبدوا غيره تعالى، لأن عبادته غاية التعظيم وأن تحسنوا بهما واحسنوا بهما إحساناً، وهو بتوحيد المعبود بعد النهي عن الشرك. والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله، والقرآن الكريم بهذه

---

(١)- **ينظر**: منهج التربية الإسلامية: ٢١٩/١.

(٢)- سورة الإسراء الآيات: ٢٣.

العبارات الندية والصور الموحية يستجيش وجدان البر والتقوى في قلوب الأبناء الذي يشعر به الأبوان تجاه هذا البر بأثر نفسي عميق في النفس.(١)

وفي قوله تعالى كذلك ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ *قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾.(٢)

وتأتي التوصية القرآنية بالأم، وكيف حملت بالابن؟ وتحملت في ذلك الآلام والأوجاع، كما في قوله تعالى ﴿**وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾.(٣)

ونجد الصورة الثانية من الحالة وهي حقوق الأولاد تجاه الأباء فالإنسان قد يبلغ في حب أولاده، حتى يفتن بهم، أو يركب الشطط من أجلهم، نجد القرآن الكريم يحذر من الانحراف حتى لا يسير الإنسان وراء غريزته دون هدى أو بصيرة، كما نلمسه في الآيات القرآنية الآتية:

فقد جاء في قوله تعالى ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا**﴾.(٤)

فيلفت نظرنا القرآن الكريم أن المال والبنين زينة وليس قيمة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأقوال والعبادات، فإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين، فإن الباقيات الصالحات خيرُ ثواباً وخير أملا.

---

(١)- **ينظر**: روح المعاني ٥٤/٨، في ظلال القرآن ٢٢٢١/٤.

(٢)- سورة الأنعام الآية: ١٥٠-١٥١.

(٣)- سورة الأحقاف الآية: ١٥.

(٤)- سورة الكهف الآية: ٤٦.

فعندما يتعلق بهما القلوب ويناط بها الرجاء، فأكرم بها من قيمة، وأنعم بها لما فيها ثواب وأمل يوم الجزاء.(١)

وفي قوله تعالى ﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنْ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾.(٢)

وفي قوله تعالى ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ**﴾.(٣)

وهكذا ترك للغزيرة شأن رعاية الأولاد، فإذا وجدوا من الناس من انحرفوا عن الطبيعة، وشغلوا بأنفسهم وملاذهم عن أولادهم فإن الإسلام يتدخل ليعيد هؤلاء راغمين أو طائعين إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، أو على الأقل مستلزماتها إن كانت الفطرة قد ماتت عندهم وحتى يستطيعوا أن يواجهوا مشكلات الحياة.(٤)

ولا تقوم العلاقة في الأسرة على المصلحة المادية، ومنطق الربح والخسارة، إنما تقوم على البذل والرعاية من الآباء، وعلى البر والطاعة والإحسان من جانب الأبناء، فيقرن الإحسان للأبوين بعبادة الله عز وجل وشكرهما، اعترافاً بفضلهما، وضماناً لهما من الإهمال والضياع في كبرهما ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع للأسرة.

والباري عز وجل يريد للبيت أن يكون بمثابة الأمن والسكينة والراحة، فأمر بآداب الاستئذان في داخله، كما في قوله تعالى﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القرآن: ٢٢٧/٤.

(٢)- سورة الفتح الآية: ٢.

(٣)- سورة الحديد الآية: ٢٠.

(٤)- **ينظر**: الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي:١١٠-١١٤.

لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ إيمانكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهِيرَةِ﴾.(١)

وكفل القرآن الكريم، ونظم آداب دخوله، وبدأها بالاستئناس قبل الدخول، وهي لفظة مدلولها فسيح يدرك بالبصيرة والذوق، كما جاء في نداء الحق عز وجل في قوله **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾.**(٢)كما حرم الدخول إلى البيوت بغير أذن لقول الرسول ﷺ ﴿لو أن أمرءاً اطلع عليك بغير أذن فحذقته بحصاة، ففقأت عينه ما كان عليك من جناح﴾.(٣)والقرآن الكريم أكد على خطوة أخرى لها أثرها الفعال في بناء الأسرة، كما في قوله تعالى **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾.**(٤)وفي قوله تعالى **﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.**(٥)

ذكره لنبيه محمدﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك، والدائرة الثانية، التي تلي الأسرة هي التي تضم الأقارب وذوي الأرحام. والروابط الفطرية القائمة فيها تعين على شد الأزر فيما بين أعضائها.

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الدوافع الفطرية بين الأقرباء ووثقها بتذكير بها وتأكيد عليها (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله

---

(١)- سورة النور الآية: ٥٨.

(٢)- سورة النور الآية: ٢٧.

(٣)- صحح مسلم ١٦٩٩/٣، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره.

(٤)- سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٥)- سورة الروم الآية: ٣٨.

الله، ومن قطعني قطعه الله)[1]، وذلك لرص صفوف الأسر مع بعضها، وأعتبر هذه الصلة من اكثر الأعمال مثوبة، لتحقق هذه الصلة المحبة والألفة والتعاون والتراحم والتشاور والتناصح فيرتفع صرح البناء والخير والتطوير، أما حين تكون القطيعة بين الأسر، فحينئذ يذبل جمال الحياة ويسود جبينها، ويخبو صوت الإصلاح والتعاون والبناء، ما يضعف الأمة ويهدمها. لذا فإن الله تعالى ربط بين قطيعة الرحم والإفساد في الأرض ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ *أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾.[2]

وان الصمم وعمى البصيرة والطرد من الرحمة الإلهية والإفساد في الأرض كلها مترابطة سبباً أو نتيجة مع قطيعة الرحم[3].

وقد اقتضى أن يفهم الإنسان أن رسالته في الأرض لا تتحقق إلا بتكوين المجتمع والأسرة وإن من لوازم هذه الأسرة استقرار العواطف، وتخصيص أنثى لكل رجل ورجل لكل أنثى، ليتكون الحضن الصحيح لتربية الأجيال الناشئة في عش هادئ يتمتع بالسلام النفسي والمادي.. ولتتكون بين أفراد المجتمع علاقة أخرى، غير علاقة التقاتل الوحشي بين الذكور على اصطياد الإناث، ولتتوجه اهتمامات الفرد بعد قضاء حاجة الجنسين في سلام وأمن إلى أهداف إنسانية أخرى التي يشملها كيان الإنسان بكل جوارحه وعواطفه،ويقوم مركز العواطف بمساعدة الإرادة في توجيه السلوك وفق الأوامر والنواهي التي تصدرها.

---

(١)- صحيح مسلم ١٩٨١/٤، كتاب البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعها.

(٢)- سورة محمد الآية:-٢٢-٢٣.

(٣)- **ينظر**: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ١٩٣.

وعند ذلك يتم سلوك الإنسان السوي منسجماً مع عقيدته، أو مع أسلم الطرق وأفضلها، ويلاحظ أن العواطف تتأثر بالوجدانيات كما تؤثر فيها، وتتأثر العواطف أيضا بالعقائد كما تؤثر فيها، فوظيفة العواطف في الوضع السليم:

أ- مساعدة الإرادة في توجيه السلوك، وفق الأوامر والنواهي التي تصدرها.

ب- تغذية مركز الوجدانيات وتصعيد النفس من البهيمة إلى الكمال الإنساني، وذلك في حالة انسجامها وتفاعلها مع العقائد السليمة.(١)

ومن الأهمية بمكان أن نذكر الدائرة الثالثة وهي الجوار بعد الأسرة والقرابة، بسبب انتقال اهتمام الإسلام من الصلات الأوثق فطرياً والأهم في تماسك الأسرة إلى ما سواها، فلا يهمل أي أفق من أفاق هذه الدوائر الاجتماعية، ويعطي كل دائرة حقها الكامل من الرعاية والاهتمام، والجار في القرآن الكريم ثلاثة (الجار ذو القربى، والجار الجنب والصاحب بالجنب)، فالجار القريب منك رحماً، والجار الأجنبي عنك، والصاحب بالجنب من صحبك في سفر أو شركة أو حرفة، أو كان قاعداً إلى جانبك في مجلس أو مسجد أو أي مكان، أولئك أوصى بهم الإسلام حرصاً منه أن يبني المسلم كيان المجتمع ويضطلع برسالته الإسلامية بنشر الإسلام بكل ما يجاوره، كما يضطلع برسالته الإنسانية في مساعدة الإنسان، والتعاون معه على تطوير الحياة في كل خير، ورسالته الإنسانية هذه من الإسلام عقيدة ومنهاجاً.

وقد وصى القران الكريم بالجار كما في قوله تعالى ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ إيمانكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾.(٢) فهو تأكيد على البناء الشامخ الذي

---

(١)- **ينظر**: العقيدة الإسلامية، وأسسها: ٦٣-٦٤.

(٢)- سورة النساء الآية: ٣٦.

يرسم خطواته الإسلام للمجتمع الإسلامي المتعاون، ليغمره الحب والإخاء والطيب والثقة.[١]

وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم اروع المعاني في رعاية الجار حيث قال ﴿...ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره.. الحديث ﴾.[٢] وفي قوله ﷺ ﴿والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال من لايؤمن جارة بوائقه﴾.[٣]

وفي نهاية المطاف يمكن لنا القول:

إن القرآن الكريم، عندما يضع هذه الخطوات الأساسية للأسرة، يريد أن يرتقي بها، للتأثر بالمنهج القرآني، الذي يولد العامل النفسي الذي له الأثر في البناء، وهي بعد ذلك تنهض من كبوة القلق والاضطراب النفسي الذي ينخر بالنفس الإنسانية إذا تنكبت عن الصراط المستقيم باحثة عن النور في غير مكانه وأصله، فالقرآن الكريم أراد للأسرة عيشة هانئة طيبة وكفل ذلك لمن يريد هذه العيشة، كما لمسناه في الآيات القرآنية التي إستعرضناها في مبحثنا. فهو يريد بالأمة أن تكون على أساس متين من البناء الصالح، الذي يبدأ بالفرد والمجتمع، ومن ثم الأسرة، ومن ثم الدولة. حتى يتحقق فينا قوله تعالى ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾.[٤]

---

(١)- **ينظر**: في ظلال القران ٣٧٠/٢ ، مدخل للتصور الإسلامي للإنسان والحياة: ١٩٤.

(٢) صحيح مسلم٦٨/١ كتاب الإيمان – باب الحث على إكرام الضيف.

(٣) صحيح البخاري ٢٢٤٠/٥ كتاب الأدب . باب أثم من لا يؤمن جاره بوائقه.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

لقد حان الوقت الذي يجب فيه على عالم النفس المسلم، الاستفادة من تعاليم الإسلام وعلومه، وفهمه للدين الإسلامي من القرآن الكريم والحديث فهي إثراء وتطوير علم النفس، لو تمكنوا من تحقيق هذه فإنهم يحققون إرادة الله عز وجل في وضع الإنسانية على الطريق القويم والصراط المستقيم، ومواجهة التحديات الماثلة إمام الإسلام في القرن العشرين، والعودة بأسر مؤمنة تجعل القرآن الكريم دستوراً لها ومنهاجاً، حتى لا تصطلي بنار الحيرة والتخبط في الظلام.

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب ظهرت لنا عدة نتائج تناثرت بين طياته و التي يمكن ان نجملها فيما يأتي :

١- النفس الإنسانية مساحتها واسعة ، ويجب على الفرد ان يدرك أبعادها و ينقي ما بها من شوائب و يبني في ساحتها بناءً متيناً و قوياً .

٢- للبناء النفسي أسس و مراحل يبنى عليها فيجب القيام أولاً بالتخلية من أنواع الأمراض والديانات مثل التدين المصلحي و الذهني ومن ثم إدخال المفاهيم الصحيحة الصالحة للبناء وهي مايطلق عليها بالتحلية.

٣- نبذ جميع أنواع التطرف الذي يؤدي إلى هدم النفس الإنسانية ونخرها مثل التطرف الفكري و السلوكي و العاطفي.

٤- على الفرد أن يقوم بعملية التحلية بعد التخلية، وذلك من خلال أدراك الغاية التي من اجلها خلق الإنسان و المنهج الذي يجب ان يسير عليه ألا وهو كتاب الله (عز وجل) و سنة رسوله الحبيب محمد (**صلى الله عليه وسلم**)

٥- عند البناء النفسي يجب أن ندرك شمولية و تكامل المنهج الذي من خلاله تبنى النفس مثل شمولية الزمان و المكان .

٦- شمولية صنوف المعرفة النقلية و العقلية و القلبية من خلال مراعاة الجانب الأخلاقي والوسطية و الاعتدال و الإبداع و الانطلاقة الكونية مع المرابطة، و العلاقة بالأخر حتى يكون البناء النفسي قد استوى على أسس متينة وقوية لا تؤثر به المنعطفات والمنزلقات بل هو بناء قوي مستمد أصله من قوله تعالى **(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ـ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [١]

---

(١)- سورة التوبة الآية :- ١٠٩

ثبت المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم...

١. أساس البلاغة الطاهر احمد الزاوي، ، ط ٣، ١٩٨٠- لبنان.

٢. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)، دار السلام القاهرة،ط٦، ١٤٢٤ هـ.

٣. الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت ، دار الشروق، ط٤، ١٩٦٨.

٤. الإسلام في حياة المسلم، د. محمد البهي، ط٢ ،١٩٧٣ مكتبة وهبة القاهرة.

٥. الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)،تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط١ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٧. الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي ، مط اشبيلية – بغداد.

٨. الإعجاز العلمي في السنة النبوية د. صالح أحمد رضا ، مكتبة العبيكات، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩. آفات على الطريق ،د. السيد محمد نوح:- ط١، ١٤١٣ – ١٩٩٣ – دار الفرقان.

١٠. آفاق بلا حدود، بحث في هندسة النفس الإنسانية، د. محمد التكريتي، دار المنطلق :١٤١٨، ١٩٩٤م.

١١. الأمراض النفسية علاجها الروحي في الإسلام د عبد الستار أبو غدة الكويت د.ط

١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١ – ١٤١٨هـ

١٣. الإيمان بالله هو الطريق إلى النفس المطمئنة ، د. لطفي الشربيني، د.ت.

١٤. الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ط١، مطبعة النهضة.

١٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة،ط١، ١٤١٩ هـ.

١٦. البناء النفسي لشخصية الأسير الفلسطيني وعلاقته ببعض المتغيرات إسلام محمود محمد شهوان ، رسالة ماجستير، الجامعة – غزة– كلية التربية – قسم علوم النفس– ٢٠٠٧ م.

١٧. التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عزالدين توفيق ،دار السلام.

١٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ هـ.

١٩. تحليل السلوك التنظيمي ،د. موسى المدهون ،إبراهيم الجرراوي دار الملاين.

٢٠. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)تحقيق: طارق فتحي السيد الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

- لبنان،ط١ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢١. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف ١٩٦٣.
٢٢. تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ط١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢٣. تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦هـ) دراسة وتحقيق: علال عبد القادر ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية،ط١ ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.
٢٤. تفسير الإمام الشافعي ،الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) دار التدمرية - المملكة العربية السعودية،ط١: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.
٢٥. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الحديث - القاهرة ط١.
٢٦. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم.
٢٧. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
٢٨. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير

القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)،المحقق: محمد حسين شمس الدين، الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت،ط١ – ١٤١٩ هـ.

٢٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية،ط٣– ١٤١٩ هـ.

٣٠. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية،ط١ ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٣١. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش،ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٣٢. تفسير الماوردي ، النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)،المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٣٣. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط١ ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ .

٣٤. التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله المحقق، غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان،ط١ ،١٤١٢ هـ، ١٩٧/٧.

٣٥. تفسير النسفى ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥.
٣٦. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر دمشق:٣/٢٤٧١.ط١ - ١٤٢٢ هـ.
٣٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة بيروت - لبنان،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٨. تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي هـ.
٣٩. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٤١٥ هـ.
٤٠. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١ لسنة ١٤١٩هـ.
٤١. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)،تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان،ط١ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤٢. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (ت ٦٨هـ)،جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان.

٤٣. توفيق الرحمن في دروس القرآن، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت ١٣٧٦هـ)حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة المملكة العربية السعودية – الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة،ط١ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م،
٤٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
٤٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ،الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٤٦. جدد حياتك، محمد الغزالي، مؤسسة الخانجي .
٤٧. الحاجات الاقتصادية في المذهب الاقتصادي الإسلامي، أحمد عواد محمد الكبيسي ، مط العاني بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.
٤٨. الحياة الاجتماعية في التفكير الإسلامي: د. احمد شلبي دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبردج مباحث اجتماعية في نطاق الأسرة، وفي نطاق المجتمع وفي نطاق المال، ط٢، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣.
٤٩. الخصائص المميزة السيكولوجية الشخصية الإسلامية د. ماهر محمد عمر د.ت
٥٠. روح المعاني ، الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥١. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف

بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٥٢. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .
٥٣. الشخصية الإسلامية نحو إعادة تشكيل، عبد الرزاق هادي صالح، ط ١، دار السيدة– بيروت، لبنان، ١٩٨٨م .
٥٤. الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي ، د. نزار العاني ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار الفرقان – عمان .
٥٥. الشخصية الإنسانية في القران الكريم دراسة موضوعية بلاغية ،د. سعيد خضر رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب بإشراف د. محس ن عبد الحميد سنة ١٤٢٤_٢٠٠٤م
٥٦. العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم، ومناهج المتكلمين د. محمد عياش الكبيسي ، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه بأشراف الأستاذ الدكتور محمد رمضان عبد الله .
٥٧. علاقة الوالدين بالطفل، وأثرها في جنح الأحداث، مكتبة ألا نجلو– مصر ١٩٧٠.
٥٨. علم النفس الدعوي (دراسات نفسية تربوية)، د. عبد العزيز محمد النغيمشي، ط١،د. م، ١٤١٥ هـ.
٥٩. علم النفس وتطبيقاته التربوية والاجتماعية، د. عبد علي الجسماني مطبعة دار الخلود– بغداد، العراق، ١٩٨٤ م .
٦٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ط١ ، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م دار ابن حزم.
٦١. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على

الكشاف) شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (: ٧٤٣ هـ)مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٦٢. الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر دراسة تأصيلية نقدية موسى إبراهيم الإبراهيم :- ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م - دار عمار .
٦٣. فقه العبادات، حسن أيوب ط٦، دار الندوة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
شجرة الإسلام، عبد الله دمبيا ، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٦٤. في النقد الإسلامي المعاصر ، د. عماد الدين خليل ط ١٣٩٤هـ - ١٩٧٢- مؤسسة الرسالة .
٦٥. كتاب تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)،قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية،ط١ ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٦٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان،ط١ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
٦٨. لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر - بيروت، ط .
٦٩. لطائف الإشارات ، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)،المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة

المصرية العامة للكتاب – مصر ،ط٣.
٧٠. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة: ٦٩-٧٠ دار الفكر، ط٢، ١٣٩٠-١٩٧٠.
٧١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)،المحقق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلميه – بيروت،ط١ – ١٤١٨ هـ .
٧٢. مختار الصحاح ،محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي.
٧٣. مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي مكتبة الشرق الجديد–بغداد.
٧٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تفسير البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)،المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٧٥. مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، ط١ دار القلم– دمشق، ١٩٩٢ .
٧٦. منهج القرآن في التربية، محمد شديد ،ط١ مؤسسة الرسالة.
٧٧. منهج القرآن في تربية المجتمع ، الطريق إلى النفس المطمئنة د.لطفي الشربيني: ،د.ت.
٧٨. منهجنا التربوي، عبد الحافظ الكبيسي ، دراسة موضوعية في رحاب التربية الإسلامية، ط١، ١٠٤٧-١٩٨٧.
٧٩. موازين القران الكريم ، عز الدين بليق دار الفتح للطباعة ط١٤٠٣،١هـ ١٩٨٣م.
٨٠. الموسوعة العربية، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥م
٨١. النحو الوافي، عباس حسن، ط ٤، انتشارات ناصر خسرو.

٨٢. نظريــة الركــائز الأربعــة للبنــاء النفســي حمــدي علــي الفرمــاوي (فهم سلوك الإنسان في ظلال الفرقان)، عمان: دار الصفاء، ٢٠٠٩ م
٨٣. نظريــة الركــائز الأربعــة للبنــاء النفســي حمــدي علــي الفرمــاوي: (فهــم سلوك الإنسان في ظلال الفرقان)، عمان: دار الصفاء، ٢٠٠٩ م.
٨٤. نظــم الــدرر فــي تناســب الآيــات والســور، إبــراهيم بــن عمــر بــن حســن الربــاط ن علــي بــن أبــي بكــر البقــاعي (ت ٨٨٥هـ) دار الكتــاب الإسلامي القاهرة.
٨٥. الــنفس انفعالاتهــا و أمراضــها و علاجهــا ، د. علــي كمــال ط١٩٨٣ دار واسط .
٨٦. الــوجيز فــي تفســير الكتــاب العزيــز، أبــو الحســن علــي بــن أحمــد بــن محمــد بــن علــي الواحــدي، النيســابوري، الشــافعي (ت ٤٦٨هـ)،تحقيق: صــفوان عــدنان داوودي، دار القلــم الــدار الشامية – دمشق، بيروت،ط١ ١٤١٥ هـ.
٨٧. ومــن التبعيــة إلــى الأصــالة فــي مجــال التعلــيم والقــانون ، أنــور الجندي، دار الاعتصام ، ١٩٧٧